تُراث

torathehc

تراثية ثقافية منوعة تصدر عن نادي تراث الإمارات العدد 269 مارس 2022

لهجات الإمارات

ثراء لغوي وإنساني

تركي سعيد الظهوري:

اللهجة توثق مفردات الأجداد

اللهجات في الإمارات

جداول متنوعة من نبع واحد

معجم ألفاظ لهجة الإمارات وتأصيلها

أبوظبي شعرًا في الرحلة الشابورية

مقاربة تاريخية للمسرح الإماراتي

نص شعري حول

«حكاية العقيلي واليازيّه»

السر التاريخي وراء تسمية ربدان

حكايات الاتحاد الثنائي

بين أبوظبي ودبي

نادي تراث الإمارات وإحياء اللهجات الشعبية

لهجة أهل الإمارات

بدأ يظهر الاهتمام بجمع وتدوين مفردات الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة في فترة التحولات السياسية والاقتصادية التي واكبت اكتشاف النفط في ستينيات القرن المنصرم وما صاحبها من طفرة كبيرة ومتسارعة في مختلف المجالات غيّرت من الهيكل التقليدي للنسيج الحضري؛ وكان من أهم ما نشر في ذلك الوقت دراسة صدرت عام 1973 للباحث ت.م.جونستون، بعنوان «**دراسات في لهجات شرق الجزيرة العربية**»، وجاءت مادة الكتاب على مستوى من الغزارة مكنته بأن فتح الطريق لمن جاء بعده، حيث تبعتها دراسات عدة خاصة بعد أن أصبحت الحاجة ملحة لإكمالها؛ لرحيل كبار السن الذين يتحدثون بلهجاتهم الأصيلة التي نشؤوا عليها ولم تؤثر فيها طبيعة الحياة الحديثة، وظهور جيل جديد بدأ يستعمل لهجات أخرى غير لهجته. ومن أهم تلك الدراسات التي ظهرت «**معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات**» للدكتور فالح حنظل الصادر عام 1982، و«**لهجة الشارقة.. دراسة لغوية**» لإبراهيم الكسواني والصادر عام 1984، و«**تحولات اللغة الدارجة**» عام 1989 لعلي الشرهان، و«**دراسات في أدب الإمارات وثقافتها ولهجاتها**» 2003 لأحمد عبيد، وله مؤلفات أخرى بعنوان «**ظاهرة الإبدال في لهجات دولة الإمارات 2013**» و«**دراسات في لهجات الإمارات**» وغيرها من الدراسات.

كما وضع مركز زايد للدراسات والبحوث التابع لنادي تراث الإمارات معجماً لغوياً لألفاظ لهجة الإمارات، بعد تأصيله لمفردات هذه اللهجة وتعابيرها المختلفة وردها إلى أصولها الفصيحة في العربية، وهذا التأصيل خطوة واسعة على طريق تفصيح كلامنا الدارج وتصحيحه، مما يعمق هويتنا الثقافية العربية الإسلامية الأصيلة التي تشكل اللغة إحدى دعائمها.

إن السامع غير المتخصص لن يميز لهجات أهل الإمارات، خاصة ونحن نسمع اليوم في الدولة لهجة عامية وسيطة مفهومة مبسطة أخذت من لهجات عربية عدة ربما من أجل تقريب المعنى وللتطور الحاصل في شتى مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية ولتعدد الجنسيات على أرض الإمارات.

ومن خلال تسليط الضوء على الجهود العلمية والبحثية المهمة والمقدرة السابقة لدراسة لهجات أهل الإمارات، فإننا لازلنا بحاجة إلى نوع موثق من المعاجم يعنى بالفنون القولية الشعبية، لتصبح مراجع علمية رصينة موثوقاً بها للباحثين في التراث والشعر الشعبي، وكلنا أمل بأن تستمتعوا بموضوعات هذا العدد المتنوعة، الذي نخصص ملفه للحديث حول هذا الموضوع المهم ألا وهو المعاجم اللغوية.

شمسة الظاهري
رئيس التحرير

20
ساحة الحوار

تركي سعيد الظهوري: اللهجة توثق مفردات الأجداد

تتنوع البيئات بتنوع الجغرافيا التي يعيشها السكان وهذا يوثر على اللهجة المستخدمة في الصوت والأسلوب وأحياناً المعنى بين مكانٍ وآخر. فعلى سبيل المثال اللهجة المحلية في الدولة للمناطق الحضرية القريبة من البحر تختلف عن تلك التي تعيش في المناطق الصحراوية والجبلية.. وهذا التنوع البيئي أدى لتنوع اللهجات في المفردات والألفاظ وأحياناً المعاني وكذلك اختلاف الأصوات للحرف الواحد إضافة لقواعد التفخيم والترقيق والإبدال في الكلمات وغيرها... حوار صلاح أبوزيد

51
ارتياد الآفاق

أبوظبي شعرًا في الرحلة الشابورية

زين العابدين بن حسن باقر، رحالة وشاعر كويتي، زار أبوظبي في رحلة ابتدأها من عربستان إلى أبو ظبي سنة 1936م. كان شاعرا جوالا مشهورا في بلده وعصره يكتب الشعر باللغتين العربية والفارسية. نظم ارجوزته هذه إثر رحلة ما بين الكويت وأبوظبي، استقبله خلال رحلته الشيخ شخبوط بن سلطان ال نهيان. وصفت أبيات أرجوزته الطويلة رحلته إلى أبوظبي وتفاصيل الحياة فيها، في أيام عيد الأضحى، ذكر فيها الذبائح والبلاليط وأصناف أطعمة أكلها مثل العرسية والهريس والثريد، ومجامر البخور، والقهوة ومجالس الشيوخ، وبيوت وجهاء أبوظبي ومساجدهم وبيوتهم الجديدة... محمد عبد العزيز السقا

اللهجات مفاتيح تقود من يتابعها إلى ذخائر من المعرفة، تفتح أبوابًا على التاريخ وحكاياته، والبيئة وملامحها، والحياة الاجتماعية وتركيبها، ومنظومة القيم والمعتقدات والأفكار والأخلاق السائدة في المجتمعات.

وتحظى الدراسات المرتبطة باللهجات باهتمام العلماء والباحثين منذ عقود طويلة، لكن هذا الاهتمام صار مشوبًا بقلق تدفعه الرغبة في إدراك ما تبقى من خصوصية اللهجات وتمايزها، لتوثيقها وحفظها قبل أن تتلاشى -كما تشير الدراسات- بسبب انفتاح العالم وتقارب أبعاده، بفعل وسائل التواصل السريعة التي قضت على الحدود الجغرافية والزمنية، وصنعت لهجات شبه موحدة بين الجميع وغيبت الميزات اللغوية الجغرافية.

بفعل هذا الانفتاح تحولت اللهجات إلى تراث ثقافي شفاهي مهدد بالزوال، وبات واجب المؤسسات المعنية بالتراث التنبيه إلى أهميته، والمسارعة إلى إطلاق ورعاية وتحفيز المبادرات المعنية بجمعه وتوثيقه ودراسته.

في هذا العدد خصصنا ملفنا الشهري، لتسليط الضوء على اللهجات الإماراتية، تحت عنوان «**لهجات الإمارات.. ثراء لغوي وإنساني**»، وكلفنا نخبة من الباحثين والكتاب من الإماراتيين والمقيمين على أرض الإمارات بإثراء الموضوع وإضاءة كافة أبعاده وجوانبه للفت الانتباه إلى أهميته.

حرصنا في الملف على توثيق الجهود الشخصية والرسمية التي اهتمت بتتبع اللهجات المحلية الإماراتية وتوثيقها.

ونضيف إلى الملف دعوتنا إلى ضرورة إيجاد مركز بحثي مختص بجمع وتوثيق مفردات اللهجات الإماراتية مباشرة من بيئات الإمارات المختلفة، وتوثيقها بمساعدة أهلها من العارفين بها من الأجيال التي عاصرت فترات سيادة هذه اللهجات، لتكون هذه الدراسات في خدمة مسيرة التنمية الرشيدة التي تضع الإنسان بكافة مفردات حياته وثقافته وقيمه في مقدمة اهتماماتها.

نأمل أن يكون الملف مدخلًا لمعرفة منضبطة وعلمية بلهجات أهل الإمارات، ومخزونهم المعرفي، والثقافي، والقيمي. كما نأمل أن يجد قراء تراث الكرام في مواد العدد بما يتضمنه من دراسات ومقالات ومواد صحافية ما يُشبع رغبتهم في معرفة المزيد عن تراث وتاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة التي تمضي نحو المستقبل بجذور ثابتة في تراثها العريق.

فلاح محمد الأحبابي
رئيس نادي تراث الإمارات

محتويات العدد

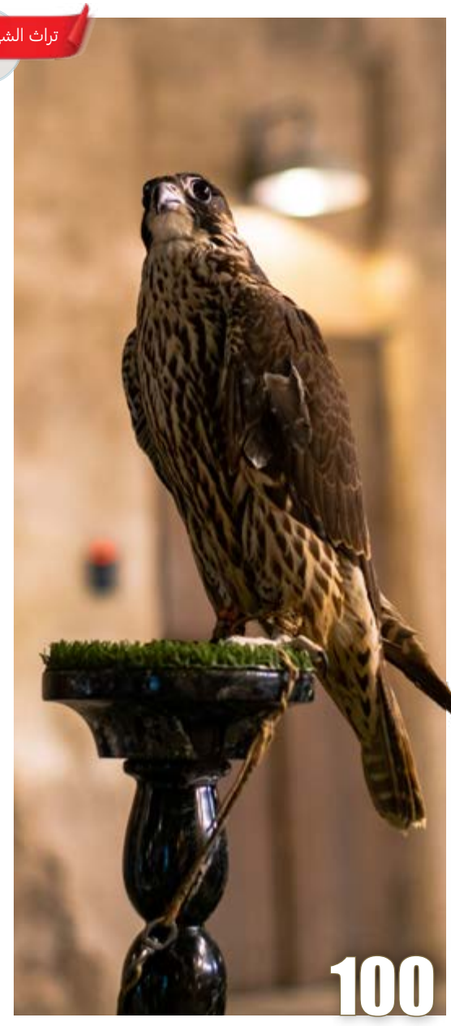

تراث الشهر

8 تنوعت بين الثقافية والفنية والرياضية
نادي تراث الإمارات يواصل أنشطته الهادفة لإحياء ذخائر التراث

46 **الثقافة والتنمية المستدامة** - د. حامد بن محمد خليفة السويدي
48 **جزيرة اللاعودة** - ضياء الدين الحفناوي
58 **النوافذ البحرية ومخاطر المدى المفتوح** - أحمد حسين حميدان
50 **معجزة الحب** - شعر: سلفانا سلمانبور
62 **الشاعر عبيد خميس بن صويلح الهاملي** - مريم النقبي
64 **كسر في الوزن لحبيب الصايغ** - عزت عمر
70 **رحى الاستعلاء والأمل في التغيير** - شريف مصطفى محمد
72 **سبيل الغارق - إشارات حول المبنى والمعنى** - محمد حسن الحربي
76 **كريم معتوق** - عبدالمقصود محمد
78 **عباس محمود العقاد - مقتطفات ورؤية** - د. هيثم يحيى الخواجة
81 **المصريون الأمريكان** - د. حمزة قناوي
82 **تاريخ اللغات الآرية** - راشد سعيد مبارك
84 **أسس ومعايير تقويم المخطوطات وتقدير ثمنها** - عبد الله بن يحيى السريحي
88 **الإنسان والباب.. أية علاقة** - عبد الفتاح صبري
90 **حكاية العقيلي واليازيّه** - خليل عيلبوني
94 **من حكايات إيسوب** - محمد عبد الفتاح
96 **القهوة... موروث عربي أصيل** - سوسن محمد كامل
98 **عبقرية الأندلسي ابن باجه** - د. نورا صابر المزروعي
100 **الأمثال الشعبية في الشعر النبطي الإماراتي** - فهد علي المعمري
105 **فيلم الذكريات** - عادل خزام
106 **البيئة الجبلية إرث حضاري يروي تاريخاً** - صلاح أبوزيد
112 **السر التاريخي وراء تسمية «ربدان»** - حسن صالح محمد
118 **الحركة المسرحية الإماراتية من منظور تاريخي** - د. صديق جوهر
124 **في (بيت جلال)** - لولوة المنصوري
126 **الاتحاد الثنائي بين أبوظبي ودبي** - د. خالد بن محمد مبارك القاسمي
129 **الكتابة والحَرْف** - د. عبدالعزيز المسلم
130 **فن إدارة الحياة** - د.فاطمة حمد المزروعي

أسعار البيع

الإمارات العربية المتحدة: 10 دراهم - المملكة العربية السعودية 10 ريالات - الكويت دينار واحد - سلطنة عمان 800 بيسة - مملكة البحرين دينار واحد - اليمن 200 ريال - مصر 5 جنيهات - السودان 250 جنيهاً - لبنان 5000 ليرة - سورية 100 ليرة - المملكة الأردنية الهاشمية ديناران - العراق 2500 دينار - فلسطين ديناران - المملكة المغربية 20 درهماً - الجماهيرية الليبية 4 دنانير - الجمهورية التونسية ديناران - بريطانيا 3 جنيهات - سويسرا 7 فرنكات - دول الاتحاد الأوروبي 4 يورو - الولايات المتحدة الأميركية وكندا 5 دولارات.

ما ورد في هذا العدد يعبر عن آراء الكتاب ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو نادي تراث الإمارات

118
دراسات إماراتية

مقاربة تاريخية للمسرح الإماراتي

بدأت الحركة المسرحية الإماراتية في الخمسينيات في المسارح المدرسية المحلية على شكل مسرحيات للهواة ثم وصلت إلى مرحلة النضج الكامل في بداية القرن الماضي في الشارقة ودبي وعجمان وأبوظبي ورأس الخيمة والفجيرة حيث تحولت إلى مسرح تجاري معاصر خاصة بعد أن أصبحت الإمارات مركزاً فنياً تقام فيه العديد من المهرجانات المسرحية.. د. صديق جوهر

84
توثيق الخبرات

أسس ومعايير تقويم المخطوطات وتقدير ثمنها

خلال فترة عملي الطويلة في مجال المخطوطات لفت نظري عدم إدراك الكثير من الناس، ومنهم بعض ملّاك المخطوطات للأسس والعوامل التي على ضوئها تُقدّر أثمان وأسعار المخطوطات، ورأيت الكثير منهم وقد جاءنا عارضا مخطوطة أو قطعة من مخطوطة طالبا فيها الملايين، لأنه طرق إلى سمعه أن مخطوطة ما بيعت في المزاد الفلاني بمليون دولار أو أكثر، ويظن أن القطعة التي لديه ستجلب له مثل هذه المبالغ...
عبد الله بن يحيى السريحي

الاشتراكات

للأفراد داخل دولة الإمارات: 150 درهماً / للأفراد من خارج الدولة: 200 دولار - للمؤسسات داخل الدولة: 150 درهماً / للمؤسسات خارج الدولة 200 دولار.

تراثية ثقافية منوعة

تصدر عن:
مركز زايد للدراسات والبحوث - نادي تراث الإمارات، أبوظبي

رئيس التحرير
شمسة حمد الظاهري

مدير التحرير
وليد علاء الدين

الإشراف العام
فاطمة مسعود المنصوري
موزة عويص علي الدرعي

الإخراج والتنفيذ
غادة حجاج

سكرتير إداري وشؤون الكتّاب
سهى فرج خير
torath@ehcl.ae

التصوير:
- مصطفى شعبان

عناوين المجلة

الإدارة والتحرير:
الإمارات العربية المتحدة - أبوظبي
مدير التحرير: walid@ehcl.ae
هاتف: 024092200 - 024456456

تنوعت بين الثقافية والفنية والرياضية

نادي تراث الإمارات يواصل أنشطته الهادفة لإحياء ذخائر التراث

إعداد قسم الإعلام

تعددت الأنشطة التي نظمها وشارك بها نادي تراث الإمارات خلال شهر فبراير الماضي، وجاءت في مجملها معبرة عن حرص النادي على المشاركة في البرامج التي تصب في خدمة نشر التراث والتوعية بدوره بين أفراد المجتمع وعلى وجه الخصوص الشباب والنشء.

وتعددت مجالات الأنشطة بين الثقافية والرياضية والفنية وتضافرت جميعها من أجل إنجاح مسيرة التنمية التي تضع التعريف بجواهر ماضي وتراث الدولة في مقدمة أولويات عملها.

ندوة بمناسبة اليوم العالمي للأخوة الإنسانية

نظم مركز زايد للدراسات والبحوث التابع لنادي تراث الإمارات الرابع من فبراير الماضي ندوة افتراضية بمناسبة اليوم العالمي للأخوة الإنسانية الذي أقرته الأمم المتحدة في الرابع من فبراير من كل عام، تخليداً ليوم إطلاق وثيقة الأخوة الإنسانية من أبوظبي. شارك في الندوة - التي جاءت بعنوان «وثيقة أبوظبي.. نبراس التراث الإنساني الخالد مقاربات فكرية في اليوم العالمي للأخوة الإنسانية» - كل من معالي الدكتور قطب مصطفى سانو الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، وفضيلة الشيخ الدكتور أحمد عبدالعزيز الحداد كبير مفتين مدير إدارة الإفتاء بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، والأب نبيل حداد الرئيس التنفيذي لمركز التعايش الديني في المملكة الأردنية الهاشمية، والقس بيشوي فخري أمين راعي كاتدرائية الأنبا أنطونيوس للأقباط الأرثوذكس بأبوظبي، وأدارها الدكتور محمد فاتح زغل الباحث في مركز زايد للدراسات والبحوث.

جاءت الندوة ضمن برنامج «محطات تاريخية في حياة الشيخ زايد» الذي أطلقه مركز زايد للدراسات والبحوث عبر المنصة الرقمية لنادي تراث الإمارات، بغرض تسليط الضوء على مقتنيات معرض الشيخ زايد التابع للنادي، لاسيما الشهادات التي حصل عليها المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه» تقديراً لجهوده الإنسانية.

وقالت فاطمة المنصوري مديرة مركز زايد للدراسات والبحوث في كلمتها الافتتاحية إن دولة الإمارات العربية المتحدة قدمت تجربة استثنائية في تعزيز قيم التسامح والتعايش والسلام والإخاء التي اختارتها منذ عقود نهجاً حاكماً وبرنامج عمل من خلال مبادرات حقيقية وجادة، تمثلت في وثيقة الأخوة الإنسانية التي صدرت من أبوظبي عام 2019، واعتماد برنامج وطني للتسامح، واستحداث وزارة لهذا الغرض، وهو في الواقع ما يشكل جوهر الفكر الإنساني للأب المؤسس المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه. وأشارت المنصوري أن تنظيم الندوة يأتي من منطلق حرص نادي تراث الإمارات على الاحتفاء باليوم العالمي للأخوة الإنسانية ومن منطلق المسؤولية الوطنية المتمثلة في حفظ إرث القائد المؤسس ونقله للأجيال المقبلة.

وتحدث معالي الدكتور قطب مصطفى سانو عن أهمية وثيقة الأخوة الإنسانية قائلاً إنها تعد من أهم الوثائق التي عرفتها البشرية، لأنها أتت في فترة كان العالم أجمع بحاجة ماسة إلى مبادرة تدعو الشعوب والمجتمعات لأن تتذكر أهمية التعارف الذي كان يمر بأزمة حقيقية في تلك المرحلة، فأتت هذه الوثيقة لكي تذكر البشرية بأن هذه المنة الإلهية ينبغي إعادتها والنظر

إليها من جديد. ووصف الوثيقة بأنها وثيقة متكاملة وشاملة تجيب عن كل التساؤلات التي تطرح في العصر الحالي وأيضاً في العصور المقبلة. وقال معاليه إن الاحتفال باليوم العالمي للإخوة الإنسانية يدعونا جميعاً إلى أن نعيش هذه الأخوة في سلوكنا وأخلاقنا وعقيدتنا وتعاملاتنا، وأن تكون الأخوة حاضرةً في كل ما نقوم به في حياتنا اليومية، بل إنها تنعكس على تصرفاتنا وعلى علاقاتنا بمن حولنا ممن هم أخوة لنا في الدين ونظراء لنا في الإنسانية. ودعا الدكتور سانو إلى تسجيل وإدراج اليوم العالمي للإخوة الإنسانية في المناهج الدراسية لكي يصبح معروفاً للجميع، وليعم التسامح والمحبة والسلام. من جانبه أشاد الأب نبيل حداد بجهود دولة الإمارات في نشر ثقافة التعايش والتسامح والاحترام المتبادل، وذلك من خلال تبنّي مشروعات ومبادرات نوعية محلياً وإقليمياً وعالمياً. وقال إن وثيقة الأخوة الإنسانية التي وقّعها البابا فرنسيس وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، في أبوظبي عام 2019م، هي إنجاز تاريخي وإنساني يستند إلى الإيمان الذي أعطى بعداً إنسانياً من حيث الأساسات والقواعد والمنطلقات والأهداف، وهي رسالة لكل من في قلبهم إيمان من دون النظر إلى موقع أو دين أو عرق. وأضاف جمعت الوثيقة بين النص الديني والإنساني، وأصرت على أنسنة النص الديني، وقدمت عرضاً للحقوق والواجبات بين كل أتباع الأديان، ورسمت نهجاً للأجيال القادمة. وتابع إن الرابع من فبراير هو يوم أعيدت فيه ولادة أخلاقيات وقيم الحضارة العربية التي استيقظت من جديد رغم كل الظروف التي مرت بها الأمة. وأكد فضيلة الشيخ الدكتور أحمد عبدالعزيز الحداد مواصلة دولة الإمارات نهجها الدائم لتعزيز أسس التعايش والسلام لتحقيق مستقبل أفضل للبشرية جمعاء.. مشيراً إلى أن هذا المبدأ هو الذي انطلقت منه هذه الوثيقة وهو مبدأ إسلامي راسخ على أسس المحبة والسلام. وأشار الحداد إلى أن الوثيقة انطلقت من الإمارات برئاسة الأزهر الشريف والكنيسة الكاثوليكية تضمنت

تعاون في خدمة اللغة العربية

في إطار التعاون الثقافي اجتمعت السيدة فاطمة مسعود المنصوري مدير مركز زايد للدراسات والبحوث يوم 16 فبراير بسعادة خليل عيلبوني المدير العام للمعهد الوطني للغة العربية والمستشار الإعلامي لسمو الشيخ سيف بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية وبحضور السيد بدر الأميري المدير الإداري في المركز حيث جرى في اللقاء الحديث حول نشأة المعهد الوطني للغة العربية الجديد التابع لوزارة الداخلية والخدمات التي يقدمها لمنتسبي الوزارة والمجتمع وقد أبدت السيدة فاطمة المنصوري استعداد المركز التعاون مع المعهد في تنظيم الدورات والندوات التي تخدم اللغة العربية، وفي ختام الزيارة تم تبادل بعض الإصدارات.

معاني عريقة يجب أن تنتشر وتسود العالم، ويجب أن تصبح هذه الوثيقة دستوراً عالمياً من أجل التسامح والتعايش والمحبة بين الناس فالوثيقة جاءت لتقول للإنسان إنه يجب أن يعيش بسلام ووئام، وإن الحوار والتفاهم ونشر التسامح وقبول الآخر والتعايش بين الناس عليه أن يسهم في احتواء الكثير من المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وقال الدكتور الحداد من الواجب علينا كأمة تريد حياة إنسانية أن نتكاتف على مبدأ هذه الوثيقة العظيمة التي دعت إليها جميع الديانات.

وتقدم القس بيشوي باسم الكنيسة القبطية في الإمارات وقداسة البابا تيدروس الثاني بالتهاني والشكر للقيادة الرشيدة وحكومة دولة الإمارات السباقة دائماً في التميز والنجاح في إلهام قادة وشعوب العالم للالتفاف حول أسمى المبادئ والقيم الإسلامية وتقبل الآخر والتعاطف تجاه البشر بصفاء النية لبناء مجتمع

مبني على الأخلاق مبتعداً عن جميع أشكال التمييز. وأضاف بيشوي: يعد اعتماد الأمم المتحدة لهذا اليوم إنجازاً كبيراً يضاف إلى نجاحات قيادة دولة الإمارات الرشيدة ودبلوماسيتها الحكيمة وإلى نجاح فكرة الأخوة الإنسانية. وأوضح أن اليوم العالمي يأتي كاعتراف وتخليد لوثيقة الأخوة الإنسانية والسلام العالمي والعيش المشترك. وأضاف ستظل هذه الوثيقة وهذا اليوم شهادة أمام العالم لدور قيادة الدولة في السلام العالمي وإلهاماً عميقاً لكل دعاة التعايش السلمي في كل بقاع الأرض. وأشار بأن هذه الوثيقة هي عودة للأصل الإنساني لأن الله خلق الإنسان في الأرض ليعمر فيها، ولتكون عودة للمفهوم الإنساني الصحيح والحقيقي. وشهدت الندوة عدداً من المداخلات من أبرزها مداخلة للدكتور يحيى محمود أستاذ التاريخ الحديث في جامعة الإمارات، كما تم عرض فيديو لأحد مقتنيات معرض الشيخ زايد، وهي شهادة بابا الفاتيكان بولس السادس التي قدمها للشيخ زايد بتاريخ 29 أكتوبر 1971 وتعتبر من أهم الأوسمة والدروع الموجودة في المعرض، حيث تعد تأصيلاً لدور الإمارات العربية المتحدة وجهودها الكبيرة التي تبذلها في دعم مبادرات التسامح والأخوة الإنسانية. حضر الندوة سعادة علي عبد الله الرميثي المدير التنفيذي للدراسات والإعلام في نادي تراث الإمارات، وبدر الأميري المدير الإداري في مركز زايد للدراسات والبحوث، ولفيف من الباحثين والمثقفين والإعلاميين والمهتمين.

مشاركة مميزة في مهرجان المأكولات

شارك نادي تراث الإمارات ممثلاً في مركز العين الشبابي في فعاليات مهرجان المأكولات في مطار العين الدولي، في الفترة من 18 إلى 20 فبراير الماضي. وأقام المركز خيمة تراثية (بيت شعر) حضر فيها المدربون التراثيون الذين قدموا للجمهور صوراً تراثية متعددة مثل السنع والمسميات التراثية والحكايات والقصص الشعبية التي كان يتحدث بها الأجداد قديماً لأبنائهم. وأتت هذه المشاركة في إطار حرص النادي على الحضور الفاعل في جميع المهرجانات والمناسبات والأنشطة التراثية والمجتمعية، على اختلاف أنواعها ومضامينها بهدف حفظ الموروث الإماراتي ونقله للأجيال وتعزيزه في نفوسهم وتعريف الآخرين به.

مركزا العين يشاركان في شتاء العين

شارك مركزا العين الشبابي والنسائي يوم 7 فبراير الماضي مع بلدية العين فعالية شتاء العين والتي أقيمت في حديقة الجاهلي في مدينة العين، حيث قدم المركز النسائي الحرف اليدوية التلي والخوص والسدو، بالإضافة لمعرض لزينة المرأة في القدم، وقدم المركز الشبابي بيت الشعر والقهوة العربية وفي نهاية الفعالية تم تكريم موظفي المركزين من بلدية العين كنوع من الشكر في إنجاح هذه الفعالية المميزة.

إثراء مهرجان المبزرة بالعين

شارك نادي تراث الإمارات في مهرجان المبزرة - القرية التراثية في مدينة العين، الذي تستمر فعالياته حتى أبريل المقبل، من خلال عدد من النشاطات التراثية والثقافية، بهدف المحافظة على التراث والهوية الإماراتية. شارك مركز زايد للدراسات والبحوث التابع للنادي بمعرض صور يجسد دور المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه» الريادي في مختلف المجالات، بالإضافة لعرض العديد من الإصدارات التي تتعلق بتراث وتاريخ الدولة، أهمها (كتاب العين - مدينة التاريخ والحضارة)، والذي يحتوي على العديد من الأبحاث والدراسات التاريخية تتعلق بمدينة العين لاسيما تاريخ منطقة المبزرة الخضراء. وقدم مركزا العين النسائي والشبابي العديد

من الحرف التراثية، بالإضافة إلى ورش تعليم السنع الإماراتية والقهوة العربية والمسابقات الشعبية التي تقام على المسرح وتقديم الهدايا التراثية المنوعة للفائزين.

وقال سعيد المناعي، مدير إدارة الأنشطة بالنادي إن مشاركة نادي تراث الإمارات جاءت بثلاثة أجنحة متنوعة تمثل تراث الدولة في هذه الفعالية المجتمعية الكبيرة، يمثل الجناح الأول الأنشطة النسائية بالحرف اليدوية المتوارثة عبر الأزمان، بالإضافة إلى الثقافة الشعبية التي تقدمها المدربات التراثيات من خلال تدريب الطالبات الزائرات على الحرف. وأضاف إن الجناح الثاني للنادي يضم مركز العين الشبابي والذي يحظى بالعديد من المدربين التراثيين والذين يقومون بتعريف الطلاب والزائرين بالسنع الإماراتية وكيفية إعداد القهوة. وأشار المناعي إلى أن الجناح الثالث يعتبر الجناح التراثي الثقافي، حيث يشارك فيه مركز زايد للدراسات والبحوث من خلال معرض الصور والإصدارات من الكتب الثقافية والتي تعرف القراء بتاريخ دولة الامارات والدواوين الشعرية وشعرائنا المحليين والبحوث التراثية الخاصة بالدولة ومجلة تراث. وتوجهت فاطمة المنصوري من خلال كلمتها التي قدمتها على المسرح باسم نادي تراث الإمارات بالشكر لإدارة المهرجان على التنظيم لمثل هذه الفعاليات المميزة التي تبرز تراث الدولة، كما وضحت من خلال كلمتها دور النادي الريادي في حفظ تاريخ الدولة والمحافظة على الهوية الوطنية وحرصه على تواجده في جميع المهرجانات والمحافل التراثية والثقافية. وقدمت المنصوري العديد من اصدارات النادي بالإضافة إلى عدة جوائز تذكارية لإدارة المهرجان وذلك كنوع من شكرهم وتقديرهم على إقامة مثل هذه الفعاليات التراثية المنوعة.

التعليم التقليدي

كما اطلق مركز زايد للدراسات والبحوث التابع للنادي ضمن برنامج سلسلة (قراءة في إصدارات إماراتية)، محاضرة بعنوان «التعليم التقليدي في دولة الإمارات»، قدمها الدكتور عبدالله علي الطابور الباحث والمؤرخ في تاريخ الإمارات، وذلك عبر برنامج مايكروسوفت تيمز في الثالث من شهر فبراير عن كتابه التعليم التقليدي (المطوع) تناول خلالها المعنى الذي يحمله الكتاب في كلمة المطوع الذي تطوع في القدم لتدريس الطلاب، حيث كان يسمى رجل الدين اسم المطوع لما يقدمه من تطوع وخير من دروس في الفقه والدين، وتعليم الطلاب الأدب والسنع والاخلاق والتراث.

ختام كأس سلطان بن زايد للبولو

شارك نادي تراث الإمارات في ختام فعاليات «كأس سلطان بن زايد للبولو» الذي نظمه يوم 5 فبراير الماضي نادي غنتوت لسباق الخيل والبولو برعاية كريمة من سمو الشيخ فلاح بن زايد آل نهيان رئيس النادي، وجاءت مشاركة النادي بمعرض للصور التي توثق لاتحاد الدولة ومجهود المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه»، بالإضافة إلى عدد من اللافتات «البنرات» التي حملت مجموعة من أقوال المغفور له الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان عن التراث وأهميته، بجانب معرض لإصدارات النادي في التراث والتاريخ والشعر النبطي وأعداد مجلة «تراث» التي يصدرها النادي، كما احتوت مشاركة النادي ركناً للصقارة.

وتقدم سعادة حميد سعيد بولاحج الرميثي المدير العام لنادي تراث الإمارات، بالشكر والتقدير لنادي غنتوت لسباقات الخيل والبولو، على تنظيمه «كأس سلطان بن زايد للبولو»، الذي يحمل اسم فقيد الوطن والتراث «رحمه الله»، مشيداً بما يمثله تنظيم مثل هذه الفعاليات في تأكيد مكانة أبوظبي ودولة الإمارات عالمياً بوصفها الوجهة الأولى والمفضلة للفعاليات الرياضية والثقافية بمختلف أنواعها. كما نوه سعادته بالاهتمام الكبير للمغفور له الشيخ سلطان بن زايد بالتراث وحرصه على إلهام النشء وترسيخ الهوية الوطنية لديهم، وهو ما شكل الأساس لعمل نادي تراث الإمارات على مدى أكثر من عقدين، وأكد أن النادي سيظل شريكاً أصيلاً لنادي غنتوت من أجل العمل على إنجاح هذه البطولة لتخرج في حلة بهية تليق باسم الرجل الذي تحمل اسمه، تخليداً لأدواره العظيمة في خدمة وطنه وأمته ■

القرآن الكريم

كـــــلام اللـــــــه مرفـــوع البيـــان
ومرفـــــوع الهدايـــــة والمعانـــــي
تلونـــــا مـــا تلونـــا مـــن كتـــــاب
لكـــــل مهـــــــذب يقض الجنـــــان
وإن نحـــــن استعدنـــــاه استقـــــرت
ولـــــم تـــأت بمعـــــنى أي ثـــــان
وان أنت استعـــــدت الذكـــــريومـــاً
كأنـــــك تستعـــــين بترجمـــــــان
ويدركـــــــه مـــــنيب مســـــــتنير
ولا يغـــــنى هشيـــــم النـاس غـــان

القصيدة للشاعر سالم بن علي بن ناصر العويس المولود في الجيرة عام 1887، نشأ وترعرع في بلدة الحمرية، وتتلمذ على يد شيخين من نجد وكانت أهم المواد التي تدرس في تلك الحقبة القرآن الكريم والحساب والكتابة.

وقد بدأ الشاعر قول الشعر وكتابته وهو لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، وكان شغوفاً بالمطالعة في وقت كانت الكتب والمجلات لا تصل إلى المنطقة إلا النزر اليسير، ورغم ذلك كان مشتركاً في مجلة «الفتح» التي تصدر في القاهرة، وفي مجلة «أم القرى» وتصدر من مكة المكرمة، ولكن القرآن الكريم كان المصدر الرئيس لشعره معنى ومفردات. وفي فترة ظهور المذياع بالمنطقة أطل العويس من خلاله على العالم، وكان يرصد أخباره ويتفاعل مع أحداثه شعراً وشعوراً. وقد توفي الشاعر عام 1959 في مدينة الشارقة، والقصيدة من ديوانه «نداء الخليج».

ملف

لهجات الإمارات.. ثراء لغوي وإنساني

14 اللهجة الإماراتية.. جذورها وبيئاتها - جمال مشاعل
16 توثيق اللَّهجات في الإمارات.. الموروث والنسيج الثقافي - خالد صالح ملكاوي
20 تركي سعيد الظهوري: اللهجة توثق مفردات الأجداد - صلاح أبوزيد
22 لهجات أهل الإمارات في المؤلفات المعاصرة - علي تهامي
24 ضرورة توثيق رمستنا - فاطمة المزروعي
26 الطنيجي وجهوده في توثيق اللهجة الإماراتية - علي تهامي
28 اللهجات الإماراتية الهوية والتوثيق - حسن علي آل غردقة
30 معجم ألفاظ لهجة الإمارات وتأصيلها - فاطمة المنصوري
32 نادي تراث الإمارات وإحياء اللهجات الشعبية - على تهامي
36 لغتنا الأم بين الفصحى والعامية - علي كنعان
38 اللهجات في الإمارات جداول متنوعة من نبع واحد - فاطمة عطفة
42 في العلاقة بين لهجات دولة الإمارات واللهجات العربية الأخرى - علي تهامي
44 اللهجات الإمارتية.. الثراء اللغوي والمعجمي - عبدالعليم حريص

اللهجة الإماراتية .. جذورها وبيئاتها

جمال مشاعل

إن اختلاف اللهجات أمر طبيعي ووارد، فبينما كانت العربية الفصحى تتقيد بنظامها الخاص، وقانونها المنظم، كانت لهجات المخاطبة تتطور في بيئاتها المختلفة؛ وتتأثر بما يفد عليها من ظروف حضارية واجتماعية وسياسية وطبيعية... وغيرها. وحين انطلق الفاتحون الأوائل من الجزيرة العربية إلى الأقطار المجاورة، حملوا اللغة معهم، وما إن حلّوا بموطنهم الجديد حتى بدأت هذه اللغة تتلون بالبيئة التي وصلتها؛ إذ إن هذه اللغات وصلت إلى بلدان ذات تراث قديم وحضارات عريقة. وذلك وفق ما جاء في كتاب «ذاكرة الصحراء» لمؤلفه عمار السنجري، والذي يشير إلى أنه لما كانت ثقافة الجزيرة العربية منحدرة من أصول عربية قديمة، فإن الدخيل الوافد لم يؤثر فيها إلا قليلاً، فعاداتها وتقاليدها وفنونها الشعبية القولية هي في معظمها امتداد لما كان موجوداً بحوزة العرب القدماء، وكذلك لهجات الجزيرة العربية في بواديها وشعابها وقراها هي في معظمها تطور للغة العربية الأم. ولكن المفكرين ظلوا يؤكدون على أهمية دراسة اللهجات قبل اندثارها لدورها في تطور اللغة العربية القديمة، وذلك لإنعاش البحث اللغوي في البلاد العربية الذي أصيب بالركود.

اللهجة .. واللهجة الإماراتية

اللهجة عبارة عن مجموعة ألفاظ ومصطلحات وكلمات معينة تميز مجموعة من الأفراد عن غيرهم، وهي الحديث المنطوق بين أفراد مجموعة من البشر، وتميزهم عن غيرهم، واللهجة الإماراتية بما أنها امتداد للهجات العريقة القديمة فهي ابنة الفصحى، وهي الوسيلة الرئيسة في التخاطب بين الإماراتيين، ووعاء الأدب الشعبي من شعر وأمثال وأغان وحكايات شعبية ... وغيرها، وتثبت الدراسات أن اللهجة الإماراتية لهجة العرب قبل قرون عديدة، ويحرص الشعب الإماراتي عليها، وهي تمتاز بأن فيها وابلاً من المفردات التي تميزها عن غيرها من لهجات جاراتها في دول الخليج العربية الأخرى، وما دخل عليها كان مما جلبه التجار عندما يعودون به من رحلاتهم بمفردات جديدة جلبوها معهم من الدول المجاورة كالهند.

وحسب الباحث الدكتور فالح حنظل فإن نحو 90% من مفردات اللهجة الإماراتية العامية هي من الفصيحة، واللهجة الإماراتية هي بمجملها لها ثلاثة أطر هي: العربية الفصيحة، والإطار الخليجي، والإطار المحلي الإماراتي، وهناك علاقة راسخة ما بين اللهجة والجغرافيا؛ فكلما أوغلت اللهجة في الصحراء اقتربت من الفصحى. وبما أن اللهجة الإماراتية علامة من علامات الهوية الإماراتية، وجزء من تراث الدولة فإن من واجب كل إماراتي أن يحافظ عليها، وفي هذا الإطار فإن بعض الغيورين على هذه اللهجة يستخدمون منصات التواصل الاجتماعي من أجل تعريف الأجيال بلهجتهم وأسرارها.

من تجارب الشباب

على الصعيد الشخصي، فإنني أتلقى من الزميل الأستاذ خلفان الكعبي ألفاظاً وأمثالاً إماراتية مع شرح مفصل لها ولأصولها في اللغة العربية، وآخر ما وصلني من الأمثال: معنى خِدَلَّج وهو الممتلئ، وأهلاً وسهلاً ومرحباً، ومعنى أمرط وهو الرجل الأعزل الذي لا يحمل سلاحاً، وأما المرأة المرطى فهي التي لم تتزين، ومعنى أظعن وهو فعل يدل على الرحيل.

ومن الأمثال التي وصلتني منه: «عندي سيف .. وسيفي في اليبل أي الجبل» وهو مثل لمن يدعي أمراً ويتنصل منه، و«المربيات في كل واد» والمربيات هن الأمهات، و«يتضاربن والضو ميتة» يعني يتشاجرن على النار وهي قد انطفأت، ومن الجمل المتداولة: «تراني بغسل شراعك» ومعناها غير مباشر، ويراد بها أني سأظهر أسرارك للناس، وجملة «إخوان شمّا» وهي جملة تدل على النخوة والعزة والأنفة، وهي نسبة إلى الشمم والأشم وليس نسبة إلى شخص ما.

لهجات إماراتية

ومن اللهجات الإماراتية: لهجة الحضر، وحضر الساحل، واللهجة الظبيانية «نسبة إلى أبوظبي»، واللهجة القيوينية «أم القيوين»، ولهجة حضر رأس الخيمة، وحضر المنطقة الغربية التابعة لأبوظبي، وحضر الساحل الشرقي للدولة، وتشير الأبحاث إلى أن لهجات الإمارات هي أكثر من عشر، وتتوزع في بيئات متعددة، وتتمايز كل لهجة عن الأخرى.

وتاريخ اللهجات السائدة في الإمارات يشير إلى أنها امتداد للهجات عريقة كانت تتحدث بها قبائل في منطقة شبه الجزيرة العربية، وخاصة القبائل الرئيسة الثلاث: الأزد، عبد قيس، وقبيلة تميم، واللهجات المتداولة اليوم هي صدى لهاتيك اللهجات مع قليل من التحريف.

ليوا .. اسم مكان بألوان اللهجة الإماراتية

لقد تركت اللهجات الإماراتية أثرها في أسماء الأماكن، ويشير كتاب (معجم أسماء الأماكن والمواقع في دولة الإمارات العربية المتحدة.. جغرافيا وتاريخ) الصادر عن الأرشيف والمكتبة الوطنية - إلى أن أصل كلمة ليوا هي الجواء، ولكن الجيم قلبت ياء، وحذفت منها ال التعريف مع تسكين الياء، وتعتبر الموطن الأصلي لبني ياس، ويقول عنها لوريمر: إن الصيغة الحقيقية لاسمها الأخير هو الجواء، وينقل الباحث حسين البادي عن مصبح الكندي آخر قضاة منطقة ليوا أن لفظة ليوا حرفت تسميتها حسب اللهجة الدارجة عند أهل المنطقة؛ فبنوا ياس ينطقونها (ليوا) أما قبيلة المناصير فينطقونها (اليواء) بقلب الجيم ياء فقط، وبعض القبائل كالعوامر ينطقونها (اليوا) وأصل التسمية هي الجواء، وهي جمع «جو» التي تنطق حالياً «يو» كعادة أهل المنطقة، وغيرها من مناطق الجزيرة العربية وجنوبي العراق الذين يقلبون بعض الحروف كعادة العرب قديماً، وهذا مشهور عند علماء اللغة واللهجات، و«اليو» هو الوادي والمنحدر، وتضم منطقة ليوا - وهي أكبر واحة في دولة الإمارات العربية المتحدة بعد واحة العين - أكثر من وادٍ وأكثر من منحدر، وتقع محاضرها في هذه الوديان أو المنحدرات؛ فقد كانت ليوا في الماضي أرضاً زراعية ■

توثيق اللَّهجات في الإمارات.. حفاظٌ على الموروث والنسيج الثقافي

خالد صالح ملكاوي

ثمّة حياةٌ تتلبَّس اللغة وتسكنها لتجعل منها كائناً حياً يتطوَّر ويتغيَّر ويتجدَّد ويموت. وتمنح اللغة مفرداتها ما تمنحه الأم لجنينها، ثم لمولودها، وما يتبع ذلك من علائق تواكب الأصل بالفروع؛ ففي اللغة كلمات تموت بعدم الاستعمال، وفيها كلمات تتجدَّد بالاشتقاق، وفيها كلمات تنزاح دلالتها لمعانٍ جديدة، وللّغة الأم بالتالي تنويعات لغوية هي اللهجات؛ فاللهجات في الإمارات هي بنات اللغة العربية وامتداد للَّهجات العربية القديمة التي كانت تستخدمها القبائل التي سكنت المنطقة، وتضمنت مؤخراً العديد من المفردات الدخيلة، بحكم تأثير التمازج السكاني، ما يفرض ضرورة جمع هذه اللهجات وتأصيلها وتحليلها وفق قواعد ملموسة، في محاولة لتجنّب اندثار مفرداتها الأصلية وتحوُّلها.

وتضمر اللغة العربية في باطنها أجنَّتها الأولية المؤسسة لها على أفضل صورها، وهي تتميز بالمرونة العالية مقارنة باللغات الحية الأخرى، وتلك المحكيّة في أنحاء العالم، التي تصل إلى نحو سبعة آلاف لغة، وقد جعلتها هذه المرونة تحتفظ بأمانة جذورها التي تمتد إلى قدم الإنسانية، وحفظت لها أصالتها في امتداداتها من اللهجات، فإذا ما توفرت للغة أسباب الانتشار والتوسع الجغرافي تتفرع إلى لهجات من دون أن تفقد بالضرورة أسباب وجودها، لأن اللهجة وفق أغلب الباحثين السوسيو لسانيين والبنيويين هي نظام تواصلي لا يختلف عن اللغة، وهي في الاصطلاح العلمي «مجموعة من الصفات اللغوية المنتمية إلى بيئة خاصة، يشترك فيها أفراد البيئة الواحدة». وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل، هي بيئة اللغة.

ومن هذه اللغة العريقة الحية المرنة الثرية، تشكلت اللهجات الإماراتية، التي تُعد من اللهجات الثرية التي تضم مخزوناً لغوياً وفيراً بالألفاظ وبالتعابير الدقيقة ذات الأصل الفصيح. ويعود ثراؤها إلى التكوين الأول لها من خلال دمج عدد من اللهجات العريقة القادمة من شرق شبه الجزيرة العربية وغربها وجنوبها، وكانت تتحدث بها قبائل المنطقة، وبخاصة القبائل الرئيسة الثلاث: الأزد، وعبدقيس، وقبيلة تميم. لذا فهي بمفرداتها أقرب إلى مفردات الجزيرة العربية بابتعادها قديماً عن مصادر التأثير الأجنبي الذي عانته بعض اللهجات الأخرى، مثل التأثير التركي والإنجليزي والفرنسي والإسباني والإيطالي، وإن كان هذا لا يمنع وجود تأثير قليل من بعض المناطق المجاورة.

وثمة مخاطر حقيقية تداهم اللغات واللهجات تُنبّه إليها منظمة اليونسكو، إذ تحذّر من أزمة ثقافية عالمية تتمثل في أن نصف لغات العالم المُقدَّر عددها بزهاء سبعة آلاف لغة ولهجة ستنقرض قبل انتهاء هذا القرن، إضافة إلى أن 40 % منها في تهديد حقيقي للاندثار لأن عدد الأولاد المتكلمين بتلك اللغات في تناقص كبير، وتعتبر المنظمة أن انقراض بعض اللغات يعتبر كارثة حضارية وثقافية، ما جعلها تطالب بالتنوع اللغوي حماية للتراث اللغوي الإنساني. وهو ما دفعها لإصدار قواميس وتسجيلات للغات التي على وشك الاندثار، لتكون فيما بعد مخطوطاتها كحجر رشيد لفك طلاسم هذه اللغات الميتة للأجيال القادمة.

ورغم ما تتحصَّن به اللهجات الإماراتية من عراقة أصولها وحيوية حاضنتها التي تحميها من الانقراض، إلا أن ما يحيق باللغات في هذا العالم من مخاطر نبَّهت إليها منظمة اليونسكو ليس ببعيد عن أن يصيب اللهجات في الإمارات بالوهن، سيما وأن ثمة تحديات ماثلة تواجه اللهجات الإماراتية، منها استخدام أكثر من لغة في الحياة اليومية، كالإنجليزية والأوردو للتفاهم مع العمالة الوافدة والأجانب، وخجل جيل الشباب من استخدام المفردات الأصلية على اعتبار أنها لا ترتبط بسمات التقدم ولا تمثل مظاهره، إضافة إلى أن بعض الكلمات الأصلية لم تعد تستخدم في حياة اليوم، إلى جانب التباعد الثقافي والفكري بين جيل الشباب والأجداد والآباء الأولين حملة اللهجة الأصلية. وقد كان لعلماء العرب اليد الطولى في بيان لغات العرب وحفظها وبيان رأيهم فيها، كما كان لهم اهتمام كبير بلهجاتها، وذلك لشدة أهميتها في الدرس اللغوي. كما كانت تلك اللهجات المعين الذي لا ينضب لعلماء اللغة في تفسير الظواهر النحوية وتوجيهها، مما دفع العلماء إلى التصنيف فيها، غير أن اللهجات التي نمت في أرض الإمارات لم يكن لها نصيب من ذاك الاهتمام، فبرأي المختصين بالبحث في التراث الإماراتي والضالعين باللهجات، أمثال الباحث الإماراتي سلطان العميمي، فإن معاجم اللغة التي تزخر بالمفردات ظلمت، في أثناء فترة توثيقها وجمع مفرداتها، مناطق دولة الإمارات ومناطق الدول المجاورة لها بحكم امتدادها الجغرافي، حيث لم تجمع تلك المعاجم اللغة العربية من ألسنة أهل ساحل الخليج العربي بدعوى اختلاطهم بأقوام آخرين، كما لم تجمع لغة أهل مناطق البادية في الربع الخالي وأطرافه، نظرا لصعوبة الوصول إليهم،

سلطان العميمي

وبالتالي فقدت المعاجم جزءاً مهماً من مفردات لغة العرب.
كل ذلك يعظّم من ضرورة الإسراع في حماية اللهجات الإماراتية، ويضغط تجاه تكثيف المساعي المنظمة في جمع وتأصيل مفرداتها المتميزة بخصوصيتها النابعة من التعدُّد والاختلاف، لتكون قادرة على الانتقال معنا إلى المستقبل، في عصر العولمة وتداعياته المختلفة على منطقتنا. فحماية اللهجات والحفاظ عليها جزء من حماية الإرث الحضاري والثقافي لدولة الإمارات، فهي التعبير الحق عن الهوية الوطنية، إذ هي الوعاء الفكري للتراث التي نقلت موروثات الأجداد ومآثرهم، ووعاء الأدب الشعبي الذي تتفرع عنه الأمثال والشعر والمنثورات الشعبية، والأغاني كلها. وكم من لغة امتدت وسادت بامتداد نفوذ أهلها، وكم من لغة مرضت بسبب إهمالها من أهلها.
ويقترح بعض الباحثين، في محاولة لتجنب اندثار المفردات الأصلية وتحولها، جمع لهجات الإمارات وتأصيلها وتحليلها وتدوينها وفق قواعد ملموسة. وتحتاج هذه العملية للتواصل مع الأبناء الأصليين لدولة الإمارات، وسماع الكلمات، واستيعاب طريقة نطقها ومعناها منهم مباشرة، بالإضافة إلى ضرورة معرفة اللغات الأخرى التي تأثرت بها اللهجات المحلية، ودراسة عادات شعوبها والوافدين الذين انسجموا معهم في المجتمع المحلي وشكلوا جزءا منه، ذلك أن من المسلم به أن التطور الذي

يصيب اللغة واللهجة هو تأكيد لحيويتها ومرونتها، وهي من سمات اللغة العربية ولهجاتها.
كما ينبغي الانتباه إلى أن من أبجديات التدوين المعرفة باللهجات المحلية والتشكيل الذي يحترم أساليب النطق، ولذلك فإن التدوين، حسب ما يشدّد الدكتور غسان الحسن، يحتاج إلى دراية يفتقدها الكثير ممن خاضوا فيه، والأخطر أن التدوين الخاطئ يتسبب في الفهم الخاطئ للأدب الشعبي، إذ هو يقود مثلاً إلى غموض المعاني وعدم القدرة على الربط بين الأبيات في الشعر

النبطي، فمن سمات التدوين حماية الوزن، والتدوين الخاطئ سيتسبب في كسر الوزن، وهو بذلك يسيء إلى الشاعر. ويقف استسهال التدوين وراء مثل هذه الأخطاء.
لقد خلقت الرقعة الجغرافية المتسعة في الإمارات، بين الساحل الشرقي والغربي المترامي الأطراف، تبايناً واتساعاً في اللهجات، التي لها أصول سابقة في القبائل التي سكنت هذه المنطقة في الجاهلية، والفترات الإسلامية التالية. ولعل الكلمات والمفردات في هذه اللهجات تشكل صدى لتلك اللهجات التي لايزال أناس ينطقون مفرداتها مع قليل من التحريف الذي اقتضاه التطور اللغوي للهجات، فوجود بيئات مكانية «لهجيَّة» على امتداد إمارات الدولة، يسهّل توزيع هذه اللهجات مكانياً؛ كلهجات القبائل البدوية التي تنقَّلت قديماً في المناطق الصحراوية واستقرت حديثاً في الدواخل، أو تلك التي عاشت واستقرت على السواحل، أو التي في الجبال، كل واحدة منها حسب بيئتها الصحراوية والساحلية والجبلية. كما أن على أرض الإمارات لهجات يمكن توزيعها قبلياً؛ كلهجة العوامر والمناصير وبني كتب والحراسيس وبني كعب والشحوح والظهوريين، وغيرها من القبائل الكريمة التي يشكل أبناؤها سكان الإمارات اليوم. ويوجد في لهجات الإمارات المحكية ما يوجد في غيرها من اللهجات العربية من ظواهر لغوية وصرفية وصوتية، يُعدُّ بعضها من النادر، وبعضها ينحاز إلى لهجات عربية منقرضة. مثل الإبدال، والقلب والتليين، والحذف، والإمالة، والتصغير، والتثنية، وأنواع الجموع القياسية وغير القياسية والكشكشة، وإضافة هاء السكت بعد ياء المتكلم، وإضافة حرف الباء في أول الأفعال المضارعة وإضافة الباء عند الرفض أو في نفي الحديث، وحذف همزة المؤنث. ليس ثمة اختلاف حول أهمية البحث في اللهجات وتدوينها تدويناً شاملاً يحتفظ بها، ويؤصّل لعلاقتها باللغة العربية، ويعيدها إلى حضن أبنائها، في ظل دخول العديد من المفردات الدخيلة، بحكم الاختلاط بالجاليات المقيمة على أرض الإمارات، فاللهجات مصدر أصيل يهتدى به إلى معرفة اللهجات العربية القديمة، وبها يتم ترسيخ علاقتنا بتراثنا الذي تعدُّ اللغة أعظم دعائمه ومرتكزاته، كما أنَّ توثيق بعض الألفاظ التي دفعت خارج دائرة الاستعمال يعدُّ ضمن الواجب الوطني في المحافظة على الهوية والأصول والنسيج الثقافي ■

تركي سعيد الظهوري: اللهجة توثق مفردات الأجداد

حوار - صلاح أبو زيد

يعتز الإماراتيون بتراثهم العريق الضارب جذوره في أعماق التاريخ بشكلٍ يدعو للفخر للحفاظ على أصالتهم وهويتهم العربية وسط كيانٍ عربيٍ ينبضُ بثقافاتٍ كثيرة ومتعدّدة في واحدة من أكثر دول العالم حداثة وتطوراً بنكهة الأصالة، تشبثاً بالتقاليد والعادات المتوارثة جيلاً بعد جيل لمواجهة العولمة التي تحاول طمس الهوية من دون استئذان، والتي استطاعت بالفعل تغيير العديد من عادات وسلوك معظم شباب العالم بلا استثناء. بذلت الإمارات جهوداً حثيثة في سبيل حماية اللهجات الإماراتية من توثيق وتوصيف، باعتبارها إرثاً يجب حمايته بتكريس اعتزاز أبناء الإمارات بهويتهم وإرثهم الحضاري وتاريخهم المجيد.. فعلي الرغم من الجهود التي تبذلها العديد من الجهات المجتمعية والحكومية في هذا الشأن، إلا أن التحدي الحقيقي يكمن من وجهة نظر الكثيرين في التنشئة وانحسار حيز تدريس العربية وضعف الاهتمام باللهجة المحلية.

الاعتزاز بتراث الأجداد

تُعد اللهجات الإماراتية جزءاً أصيلاً من تراث الدولة العريق، والحفاظ عليها واجب الأجيال المتعاقبة، وبقدر حرصها على التحدث بها وحمايتها من أي تشويه قد يطالها مع مرور الزمن.. هكذا يكون الانتماء إلى الوطن والاعتزاز بتراث الأجداد والهوية الوطنية، فالحرص على خصوصية اللهجة كفيلٌ بحمايتها من اللغات واللهجات الدخيلة في عصر أصبحنا فيه بحاجة لحفظ لهجتنا القديمة والعريقة وحفظها.

عوامل جغرافية واجتماعية

وقال تركي سعيد الظهوري باحث بالتراث وشؤون المجتمع: «لا بد من إيضاح الفرق بين اللغة واللهجة؛ فاللغة هي الحروف والأبجديات والكلمات والمفردات التي يستخدمها مجموعة من البشر، أما اللهجة فهي طريقة النطق وأسلوب الكلام والأصوات التي يتم فيها استخدام هذه الحروف والكلمات، واللهجة المحلية جزء لا يتجزأ من اللغة العربية الفصحى، غير أنه جرى عليها ما جرى على اللغة العربية في مختلف الدول نتيجة التأثر بالعوامل الجغرافية والاجتماعية وتأثير النمط المعيشي للسكان والاختلاط ببقية الشعوب واللغات». وأوضح أن تنوع البيئات يكون بتنوع الجغرافيا التي يعيشها السكان وهذا يوثر بما لا يدع مجالاً للشك على اللهجة المستخدمة في الصوت والأسلوب وأحياناً المعنى بين مكانٍ وآخر.

فعلى سبيل المثال اللهجة المحلية في الدولة للمناطق الحضرية القريبة من البحر تختلف عن تلك التي تعيش في المناطق الصحراوية والجبلية.. وهذا التنوع البيئي أدى لتنوع اللهجات في المفردات والألفاظ وأحياناً المعاني وكذلك اختلاف الأصوات للحرف الواحد إضافة لقواعد التفخيم والترقيق والإبدال في الكلمات وغيرها.

تحدي التنوع السكاني

وحول مصير اللهجات الإماراتية خلال الأعوام القادمة.. أشار الظهوري إلى أن اللهجة الإماراتية باقية ومتماسكة للأعوام القادمة وبحاجة لبعض الجهد في مواجهة تحدي التنوع السكاني في الدولة وكذلك استخدام اللغات الأجنبية في المناهج الدراسية على حساب اللغة العربية في بعض الأحيان، ولذلك فإن الأسر

عليها أن تعمل على مواجهة هذه التحديات وكذلك على الجهات المعنية تعزيز استخدام اللغة العربية في العلم الحديث.

المحافظة على اللهجة الإماراتية

وأكد على أن الحفاظ على اللهجة المحلية يتطلب اعتمادها كلغة مخاطبة بين الأشخاص، وهذا من أهم الممكنات للمحافظة عليها ويعد أمراً مهماً بالنسبة لأبناء الإمارات ومن ثم الابتعاد عن إدخال المفردات والمصطلحات الأجنبية بين الجمل والعبارات التي يتم المخاطبة بها خاصة بين الشباب والنشء..

فاللهجة الإماراتية لديها من المقومات ما يمكنها من التصدي لكل ما هو دخيل خاصة إذا كان ألفاظاً أجنبية لا تمت للغتنا العربية بصلة، ودور الشباب مهمٌ جداً في هذا الصدد من خلال اتخاذها وسيلة مثالية للتواصل مع بعضهم بعضاً، ووسيلة للتعبير في المواقع والأماكن المختلفة.

كذلك زيادة البرامج الإعلامية الأمر الذي أعتبره في غاية الأهمية في هذا الجانب، والأهم من ذلك استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لتكريس المعاني والمفاهيم الموروثة، حيث إن هذه الوسائل هي الأقرب للوصول للأجيال المعاصرة. وتابع: أن المحافظة على اللهجة الإماراتية ضرورة ملحة، فإحداث أي تغيير على مفردات اللهجة المحلية سيخلق فجوة بين الأجداد والأبناء، وسيؤدي في نهاية المطاف إلى صعوبة التواصل بينهم، وللأسف على أرض الواقع هناك فجوة حقيقية في بعض العائلات بين الجد والجدة وأحفادهما، لأن بعض الأبناء استسلموا بل تقبلوا كل جديدٍ قادمٍ من الغرب، ولم يكونوا حريصين على تراثهم، والسبب اعتقادهم بأن مجاراة العصر تُعني التخلي عن كل قديم حتى لو كان هذا القديم هو عمقنا وتاريخنا وأصالتنا.

تركي سعيد الظهوري

قدرة اللهجات على المنافسة

وأضاف الظهوري أن علم اللهجات يواجه عموماً تحدين مهمين من وجهة نظره، الأول في قدرتها على المنافسة والبقاء في ظل ما نتلقاه يومياً من معلومات في وسائل التقنية الحديثة، والتحدي الثاني هو فقدان ثقة أهل اللهجة بها وبالتالي يتم العزوف عنها وتذوب تدريجياً في لهجات مغايرة.

وأشاد الظهوري بمقولة المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه» «من ليس له ماضٍ ليس له حاضر ولا مستقبل».. فالحفاظ على اللهجة الإماراتية دليل فخر واعتزاز وأمر مهم يمثل عنوان شعب الإمارات، باعتبارها جزءاً أصيلاً من تاريخه وتراث أجداده الذي يجب أن يعتزبه، وأن المحافظة عليه جزءٌ من المحافظة على هويتنا المحلية وتعبيرنا عن حبنا لوطننا ■

لهجات أهل الإمارات وجهود توصيفها وتوثيقها في المؤلفات المعاصرة

علي تهامي

تحظى اللهجات الإماراتية بحضور كبير في كتابات ومؤلفات الكُتّاب والباحثين، الذين انشغلوا بجمع وتوثيق لهجات وطنهم الإمارات، وعلموا على صونها ونقلها للأجيال. ويبرز في هذا المجال من البحث والتأليف، نخبة من الكُتّاب الذين قدموا الكثير من المقالات والأبحاث والمؤلفات التي تدور في فلك اللهجات الإماراتية وسُبل حفظها وأحيائها باعتبارها إرثاً وطنياً يجب صونه وجمع مفرداته. ومن بين المؤلفات الإماراتية في هذا المجال، يأتي كتاب «معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة» لمؤلفه الدكتور فالح حنظل.

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في عام 1978، فكان - وبحسب الناشر - أول معجم من نوعه في دولة الإمارات العربية المتحدة، الذي اهتم بما يرد على لسان العامة من ألفاظ وكلمات، ثم أعيدت طباعته في عام 1998، وذلك لأهميته وكثرة الإقبال عليه، وقد احتوى هذا المعجم المئات من الألفاظ العامية (النبطية)، جمعها الباحث الدكتور فالح حنظل بعمل ميداني استغرق منه سنوات في الرصد والتحليل والدراسة، حيث قام بتحقيقه الباحث الدكتور غسان الحسن، وقد فاز المعجم بجائزة أبوظبي للأعمال المميزة لعام 2014. وقد ذهب المؤلف الدكتور فالح حنظل في مقدمة معجمه إلى التأكيد على أن اللهجة البدوية هي الأصل الأول الذي تفرعت منه لهجات الإمارات، والتي تنقسم بحسب قوله إلى ثلاث لهجات كُبرى هي: لهجة البدو، ولهجة الحضر، ولهجة عمان. وأن الألفاظ في «معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة»، تتجاذبها هذه اللهجات الرئيسة، والتي تتباين في تفصيلاتها تبايناً يكاد يكون طفيفاً طوراً، وتارة أخرى يكون واضحاً. وهناك كتاب «اللهجة الإماراتية - مدخل عام - دليل الجامع الميداني» لمؤلفه الدكتور عبد العزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث. وفي هذا الكتاب سخّر «المسلّم» الخبرات الواسعة التي اكتسبها على مدار مسيرته في مجال جمع وصون وحماية وإحياء التراث، وما شارك فيه من مؤتمرات وندوات، وما عرفه عن قرب من خلال احتكاكه بجمهور الرواة، سخّر كل ذلك في وضع «دليل لُغوي يُعين باحث التراث في عمله الميداني». ووفقاً للباحث والكاتب عبد القادر الخزين، في الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب، فإن فكرة كتاب «اللهجة الإماراتية - مدخل عام - دليل الجامع الميداني» للدكتور عبد العزيز المسلّم، تكتسب أهميتها من أهمية اللهجة المحلية نفسها كأداة لا عِوَضَ عنها بالنسبة لأيّ باحث في مجال التراث، فإلمام الباحث الميداني في حقل التراث بأسرار لهجة المجموعة - التي يقوم بدراستها - يضع بين يديه مفتاحاً معرفياً ذهبياً يمكّنه من فتح المغاليق وفك الشفرات وفهم الكثير من الإشارات والرموز والأصداء.

وفي الكتاب يردُّ الدكتور عبد العزيز المسلّم، ثراء اللهجة الإماراتية وغزارة مفرداتها إلى تنوع الهجرات التي صاحبت التجمع الأوّل لسكان الإمارات فيقول:

«إنَّ أوائل الإماراتيين وفدوا إلى المِنْطقة من جهتين رئيستين هما الغرب والجنوب. فمن الغرب جاءت ثلاثُ مجموعات هي الحجازيون (نسبةً إلى الحجاز)، والنجادى (نسبةً إلى نجد)، والحساويون (نسبةً إلى الإحساء) - ولكلّ مجموعة لهجتها الخاصة؛ ومن الشرق جاءت مجموعة العمانيين بلهجتها الزاخرة بمفردات وتراكيب اللهجة الحميرية. وهكذا مثّلت مِنْطَقة الإمارات البوتقة التي انصهرت فيها لهجات تلك المجموعات، ومن ذلك كلّه، وعبر سلسلةٍ طويلة ومعقّدة من عمليات النحت والتحوير والقلب والابدال والاختصار والدمج نتجت اللهجة الإماراتية التي بين ظهرانينا اليوم». وهناك أيضاً كتاب «اللهجة الإماراتية: رمستنا» لمؤلفه خميس إسماعيل المطروشي، ويتناول الكتاب مختلف الالفاظ العامية في الإمارات، معتمداً على أساليب متنوعة في الشرح التعريفي للكلمة، إلى جانب الشرح والتحليل بدلالة موجزة عن معاني المفردة المحلية. وقد اعتمد «المطروشي» في كتابه على نهج العمل الموسوعي في تكثيف اشتقاق الكلمة، من خلال إضافة أبواب للمعلومة التاريخية والقصيدة الشعرية والأمثال الشعبية، بجانب استخدامات المفردة في مجال العلوم البيئة والطبية. وقد اهتم المؤلف بالتعريف بجغرافية الإمارات وتاريخها، ومفهوم اللهجة المحلية وألفاظها، وحرص على وضع فهرس للألفاظ العامية وشرح لمعانيها ومفرداتها. ومن بين الكتب التي تناولت اللهجات الإماراتية بالدراسة والبحث، هناك كتاب الباحث والكاتب أحمد محمد عبيد، والي حمل عنوان: «دراسات في لهجات الإمارات». وقد رأى باحثون وكتاب، أن هذا الكتاب يعد إضافة مهمة في مجاله، وذلك نظراً لأن مؤلفه أحمد محمد عبيد، من الباحثين المهمين المهمومين بتراث الإمارات وباللهجات الإماراتية. وقد احتوى الكتاب على 4 دراسات، بينها دراسة تناول فيها المؤلف معاني أسماء الإمارات السبع.

ويتحدث المؤلف والباحث أحمد محمد عبيد، عن «علم تأصيل المفردات»، لافتاً إلى أن ذلك العلم هو أحد فروع علوم اللغة، وقد تفرعت عنه شعبة تبحث في أصول أسماء الأعلام من أشخاص وجبال وأماكن وقبائل ونباتات وحيوانات، وأن أحد مجالاتها هو البحث في أصول أسماء الأماكن. ويشير الى أن الإمارات من الدول التي تحظى بشيء من الاهتمام في هذا الصدد لكثرة الأماكن على مساحتها المترامية الأطراف التي قد تصل الى عشرات الألوف من أسماء المواضع شاملة المدن والقرى والجبال والوديان والتلال بمختلف أنواعها والمواضع البحرية وغير ذلك مما أمكن تسجيله أو مما لم يدون بعد. وللكاتب والمؤلف أحمد محمد عبيد، كتاب آخر حول اللهجات الإماراتية يحمل عنوان: «ظاهرة الإبدال في لهجات الإمارات العربية المتحدة». ووفقا للكتاب، فإن الابدال ظاهرة لغوية معروفة في جميع اللغات؛ وهي تعني لفظ حرف مكان حرف في الكلمة نفسها من دون أن يخل ذلك بمعناها. وقد حفلت اللغة العربية في طورها الفصيح بكثير من المفردات الدالة على ذلك، وانتقل هذا إلى اللهجات العربية الحديثة؛ سواء أكانت الألفاظ الدالة على هذه الظاهرة قديمة قد بقيت فيها منذ أيام الفصحى، أم نشأت بعد ذلك حينما تحولت الفصحى إلى الطور اللهجي. وبدوره فقد أصدر الإتحاد النسائي العام في دبي، كتاب «لهجتنا المحلية» والذي يستعرض في 77 صفحة مفردات من اللهجات الإماراتية. وبالطبع فإن الكثير من المقالات والبحوث والمؤلفات الإماراتية المعاصرة التي لا يتسع المجال لذكرها هنا، والتي تناولت الكثير من القضايا والموضوعات المتعلقة باللهجات المحلية الإماراتية وسُبل جمعها وصونها وتوثيقها. بل ولا يتوقف حضور اللهجات الإماراتية ومفرداتها في المقالات والأبحاث والمؤلفات المعاصرة فقط، بل يمتد ذلك الحضور لمؤلفات القدامى. وكما تقول الكاتبة مريم جمعة عبد الله، في دراسة لها حملت عنوان: «لآلئ من كنوز اللهجة الإماراتية في مزهر السيوطي»، ونشرها مركز جمال بن حويرب للدراسات، فإنه وخلال اطّلاعها المتمعّن على كتاب «المزهر في علوم اللغة وأنواعها» للإمام جلال الدين السيوطي، وقعت على ألفاظ تتوافق مع ألفاظ من اللهجة الإماراتية، قدَّمت لها معرفة مدهشة لأصول بعض الكلمات ذات الخصوصية اللهجية، التي لم يخطر ببالها أنها لهجة من لهجات العرب.. وأن هذه الحصيلة الثمينة من المفردات دفعتها لاختيار بعضٍ منها لتكون موضوعاً للبحث «حباً في اللهجة التي منحتنا هويتنا، ونقلت لنا موروثات الأجداد ومآثرهم» ■

ضرورة توثيق رمستنا

فاطمة المزروعي
كاتبة من الإمارات

لا توجد حضارة من الحضارات الإنسانية إلا وكانت لغتها رافداً لنهضتها وتقدمها؟ فبدعم اللغة وتقوية حضورها يكون الاجتماع والوحدة، وباللغة تكون العلوم والمعارف.

الأمة الواعية هي التي ترفد وتدعم لغتها وتدرك أنها أساس نهضتها وتميزها ووحدتها، ولا تختلف اللهجة المحلية الإماراتية فهي تتميز بتنوع وغزارة مفرداتها وثرائها بالعبارات، وتعتز دولة الإمارات العربية المتحدة بموروثاتها وتسعى للمحافظة عليها وتبذل الكثير من الجهود في سبيل الحفاظ عليها، لا سيما أن اللهجة هي واحدة من الروابط التي تجمع الأفراد والجماعات في مجتمعاتنا لقد استطاع آباؤنا وأجدادنا في الحفاظ على (رمستنا) الإماراتية، فهي نافذة تواصلنا على العالم الخارجي، وبسبب التأثيرات الأجنبية في ظل الانفتاح الكبير الذي تعيشه الإمارات كان له أكبر الأثر في اللهجة الإماراتية المتميزة وتغريب بعض مفرداتها لدى الشباب الإماراتي، ولتعزيز المحافظة على الهوية الوطنية، ظهرت جهود شبابنا المهتم بتراثه اللغوي عبر اعتماد مختلف الوسائل للتعريف باللهجة الإماراتية، وذلك باستخدام التقنيات الذكية لنشر وترويج موروثاتهم الشعبية.

كان من الأهمية توثيق لهجتنا المحلية قبل أن يطويها النسيان

وتختفي الكثير من المفردات القديمة لا سيما التداخل مع الجنسيات الأخرى؛ لقد أصبح جيل اليوم بعيداً جداً عن لهجة آبائه وأجداده وأصبحت الإنجليزية هي لغة الدراسة والتخاطب، فقد قل التعامل مع اللهجة المحلية واختفت الكثير من المفردات وأصبحت في طي النسيان.

ولا ننسى بأن انتشار وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي كان لهما الأثر السلبي والمدمر للغة العربية واللهجات المحلية، فقد ابتدعت عبارات دخيلة أثرت بشكل كبير على اللغة، وأصبحت تلك العبارات متداولة بين جمهور الشباب بشكل كبير، وأصبحت وسيلة للتخاطب بينهم، لقد تأثرت اللهجة المحلية بالعمالة الوافدة ولا سيما العمالة الآسيوية التي أثرت باللهجة نظراً للتعامل اليومي معها فأصبحت الكثير من العبارات والكلمات متأثرة بحديثهم اليومي، والعديد من المصطلحات التي تعلمها الإماراتي منهم نظرا لاحتكاكه اليومي بهم وتأثيرهم المباشر عليه.

نجد أن هناك محاولات عدة بعضها فردي والأخرى عن طريق المؤسسات الحكومية التراثية والارشيفية التي أسهمت في الحفاظ على اللهجة المحلية وسعت لتوثيقها ومحاولة النهوض بها وحمايتها من المفردات الدخيلة من تلك الاهتمامات على سبيل المثال، وثق الدكتور فالح حنظل الألفاظ العامية في مجتمع الإمارات في كتاب موسوعي بعنوان (معجم الألفاظ العامية) وقد جمع هذه المفردات في سنوت عدة من أفواه البدو والحضر، ويعتبر كتابه أول كتاب توثيقي صدر سنة 1976.

وتطرق كتاب «تحولات اللغة الدارجة، تأثير التغير الاجتماعي على العربية في الإمارات» للدكتور علي عبدالعزيز الشرهان الصادر من اتحاد وكتاب الإمارات لعام 1990 تأثير التغيرات الاجتماعية على اللغة العربية في الإمارات وتداخل المفردات وبعض التغيرات اللغوية التي حصلت وأثرت على اللهجة المحلية، أما كتاب «الخصائص الصوتية في لهجة الامارات» للدكتور أحمد عبدالرحمن حماد صادر عن دار المعرفة الجامعية سنة 1986 ركزت الدراسة على الخصائص الصوتية في لهجة الإمارات وأثر اللغات الأعجمية على اللهجة المحلية ثم أثر العمالة الآسيوية الوافدة على لهجة أبناء الوطن وما يترتب من ضعف عام لدى الطفل. «دراسات في لهجات الإمارات» كتاب للباحث أحمد محمد عبيد من إصدار المؤلف لعام 2005 ويعتبر مدخلاً واسعاً لدراسة تشغل حيزاً كبيراً من اهتمام الدارسين بالقضايا المحلية المتعلقة بدولة الإمارات، حيث أكد الكاتب أن دراسة اللهجات الإماراتية، واجب وطني لابد من النهوض به وتوفير أقصى درجات المتابعة والاستقصاء والبحث والتحليل حوله، مؤكداً بأن ما قدم عبارة عن مجموعة من البحوث المتعلقة باللهجات المحلية، والظواهر المتعلقة بهذه اللهجات، كما حاول الكاتب إيجاد معجم للحقول الدلالية في الإمارات التي ارتبطت بطبيعة المكان أو العيش، كحقل البحر، والزراعة، وطبيعة الأرض، وكل حقل منها يحمل في طياته عشرات الألفاظ التي لم تعد تستعمل الآن. وكذلك تحدث الكاتب خميس المطروشي في كتابه «اللهجة الإماراتية - رمستنا» بإيجاز عن اللهجة والألفاظ المتداولة في القدم، وتضمن الكتاب الكثير من العبارات وكيفية نطقها ولا يزال الكثير من المواطنين يتقنها، ومدى ارتباطها بالبيئات المحلية.

ولفت إلى أن اللغة والألفاظ العامية الإماراتية تأثرت بها بعض الدول الخليجية والعربية».

أما كتاب «رمسة أهل الإمارات» للكاتب المسرحي عبدالله محمد صالح الرميثي من إصدارات معهد الشارقة للتراث 2017- ، تناول فيه بعض المصطلحات الصوتية والإيقاعية والوصفية الخاصة بالبيئة الإماراتية. لقد استطاعت مؤسسات كثيرة في الدولة أن تولي اهتماماً كبيراً في المحافظة على اللهجة المحلية من خلال توثيق المقابلات الشفاهية مع كبار السن والحرص على شرح المفردة المحلية وما يحيط بها من معان لتعريف المجتمع والأجيال القادمة منها الأرشيف والمكتبة الوطنية، ومركز حمدان بن محمد لإحياء التراث ومعهد الشارقة للتراث وغيرها.

إن حماية اللهجة جزء من حماية الإرث الحضاري والثقافي لدولة الإمارات وبالتالي هوية الدولة الوطنية مسؤولية تشترك فيها المؤسسات التعليمية والأسرة والجهات الحكومية، ونهيب بالجيل الجديد بما يسمى جيل الألفية بأن يلتفت إلى اللهجة الإماراتية من خلال الاحتكاك المباشر مع كبار السن ومخالطتهم واكتساب اللهجة وحفظها من الاندثار.

لقد دعا المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، إلى الاهتمام بالتراث والعمل على نقله من جيل إلى جيل، ومن أقواله «لابد من الحفاظ على تراثنا؛ لأنه الأصل والجذور، وعلينا أن نتمسك بأصولنا وجذورنا العميقة» ■

الدكتور سالم زايد الطنيجي وجهوده في توثيق اللهجة الإماراتية

علي تهامي

تُعد اللهجة الإماراتية من اللهجات القديمة في الخليج العربي، وهي لهجة لها حضور قوي بين اللهجات العربية، وكذلك لهجة البدو التي لها ميزة تميزها عن غيرها من اللهجات في بادية الإمارات، واللهجات تربط بالبيئة التي يعيش في الإنسان، ويتكيف فيها، ويأخذ منها ويعطيها، وتنعكس كذلك على سلوكه وحديثه وقيمه واتجاهاته وطريقة تفكيره.

وتتواصل الجهود في دولة الإمارات العربية المتحدة، من أجل الحفاظ على التراث الثقافي الإماراتي الزاخر بالكثير من مفردات الثقافة الإماراتية، وذلك من خلال المهرجانات التراثية والأيام الثقافية والأنشطة والفعاليات، وذلك في إطار إيمان الإمارات بالدور الكبير الذي تلعبه هذه الملتقيات من التذكير بالثقافة الإماراتية من جهة ومن جهة أخرى هناك هدف آخر هو ربط الماضي بالحاضر، وربط الأصالة بالمعاصرة.

وبجانب تلك الجهود الرسمية للدولة، تأتي جهود الباحثين الإماراتيين الذين يعملون على صون تراث وطنهم، ولهجاته الشعبية. والدكتور سالم زايد الطنيجي، هوواحد من الوجوه التي تفردت بجهود كبيرة في مجال جمع وتوثيق اللهجات الإماراتية، ومفرداتها وكل ما يتعلق بها من موروث، وكنوز غنية بالثقافة الشعبية للمجتمع الإماراتي، والتي توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل.

وقد عمل «الطنيجي» على جمع وتوثيق مفردات اللهجات الإماراتية، ودونها في الأجزاء المختلفة التي صدرت ضمن سلسلة أصدرها معهد الشارقة للتراث تحت عنوان «دراسات في التراث الشعبي الإماراتي». وقد اهتم الدكتور سالم زايد الطنيجي، بلهجة البدو «الرمسة» التي وصفها بأنها تزخر بالكثير من المفردات الجميلة، وباعتبارها لهجة إماراتية حافظت على رونقها وسلاسة كلماتها وقوة معانيها وقدرتها على توصيل المعنى للمستقبل الآخر، خاصة وأنها لهجة ارتبطت بالبدو وثقافتهم الأصيلة التي تحتوي على كل من اللغة والعادات والتقاليد والسلوك والمعتقدات والأفكار والاتجاهات، وبالتالي هي أدواتهم التي يتواصلون من خلالها مع بعضهم بعضاً ومع الآخرين، وهذه اللهجة لاتزال نبعاً متدفقاً من الكلمات الكثيرة التي تتطرق للعديد من مجالات الحياة. ووفقا لـ «الطنيجي» فإن اللهجة الإماراتية «الرمسة» تعد من اللهجات الغنية بالكثيرمن المفردات الشعبية، التي تستخدم في حدود واسعة، ولكنها - وفقاً لقوله - لا توظف في وقتنا الحاضر بالطريقة المثلى. ويذهب «الطنيجي» إلى القول بأنه أحياناً يلاحظ أن بعض المفردات أصبحت في طي النسيان، ويؤكد على أن اللهجة الإماراتية القديمة يمكننا إحياؤها من جديد، من خلال وسائل وأنشطة وفعاليات عدة، لافتاً إلى أن إحياء اللهجة مرهون تماماً بمدى استخدامها في الحياة اليومية، وأن هذا ليس بالشأن الصعب الذي يمنعنا من القيام بذلك، لذا وكما يقول الدكتور سلم زايد الطنيجي، فـ «نحن جميعاً مسؤولون عن ثقافتنا الشعبية، وكمسؤولية مجتمعية يجب علينا البحث عن أدوات جديدة تمكننا من بعث هذه الكلمات القديمة من جديد، وبما أننا نعيش عصر التحول الرقمي وعصر التواصل الاجتماعي الذي سهل لنا إيصال هذه الثقافة ونشرها، وتوضيح تفاصيلها، يمكننا أن نستخدم هذه الأدوات ونبتكر فيها ونقدمها بطريقة إبداعية لنشرها وتوصيلها للملأ، وهذه هي الغاية السامية التي تمكننا من الحفاظ عليها، وعلى ربط الأجيال الجديدة بالماضي العريق». ويسعى «الطنيجي» على الدوام، ومن خلال

بحوثه ودراساته ومؤلفاته وكتاباته في المجلات المعنية بالتراث والموروث الشعبي، في جمع التأكيد على أهمية جمع وتوثيق مفردات اللهجات الإماراتية، والعمل على نشرها ونقلها من جيل إلى جيل، وتعميم استخدامها في المجتمعات من أجل الحفاظ عليها وحمايتها من الاندثار. وينشط «الطنيجي» عبر تعاونه مع المؤسسات المعنية بصون وحماية التراث، وفي مقدمتها معهد الشارقة للتراث، في الكثير من الأنشطة التي تدعم صون جمع وتوثيق كل ما له صلة بالموروث الشعبي الإماراتي، وتظهر تلك الجهود والنشاطات في تلك المؤلفات والبحوث والدراسات في تلك البحوث والدراسات والمؤلفات العديدة التي وضعها في إطار عشقه لتراث وطنه - دولة الإمارات العربية المتحدة - بكل صوره وأشكاله. والدكتور سالم زايد الطنيجي، يعمل أستاذاً للدراسات الإماراتية بكليات التقنية العليا بالشارقة، وعضو مجلس الشارقة للتعليم، ومحاضر بجامعة الشارقة، وقد قدم للمكتبة الإماراتية والعربية مجموعة كبيرة من المؤلفات التي تدور في فلك التراث.

يُذكر أن اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وكما يوضح الدكتور إبراهيم أنيس العضو السابق بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، فإن بيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات. لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض،

وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات: وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة.

إذن فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص. فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها. وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات وقد كان القدماء من علماء العربية يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة اللغة، حينا، وباللحن، حينا آخر ■

اللهجات الإماراتية الهوية والتوثيق

حسن علي آل غردقة

تعتبر اللهجة المحلية الاماراتية المحكية كلغة خطاب يومية يتداولها أهل الامارات بكل شؤونهم الحياتية المختلفة. وتتعدد اللهجات الإماراتية المحلية وقد تختلف لهجات بعض القبائل الإماراتية وتتأثر بالبيئات المحلية الأربع الصحراوية والبحرية والجبلية والزراعية وساعد هذا على ظهور مصطلحات زراعية وبحرية وفي الصيد والغوص وغيرها. وتتأثر اللهجات المحلية بالموقع الجغرافي للدولة الممتد على ساحل الخليج العربي وخليج عمان وامتدادها البري واتصالها بدول مجلس التعاون الخليجي عبر صحراء الربع الخالي. فعمق اللهجة الاماراتية عربي المنشأ كغيرها من دول الخليج العربي ومفردات اللهجة العامية عربية قديمة وان طرأت عليها بعض المفردات الدخيلة غير العربية التي دخلت في المجتمع الإماراتي مع قدوم الاستعمار الأجنبي في المنطقة ومع التبادل التجاري ووصول الجاليات غير العربية للعيش في البلاد التي جلبت ثقافتها ولغتها الدخيلة على المجتمع مثل:

1. اللغة الإنجليزية.
2. اللغة الفارسية.
3. اللغة البلوشية.
4. الأوردية اللغة الرئيسية في شبه القارة الهندية.
5. السواحلية (اللغة السائدة في شرق أفريقيا).

قدمت هذه الجاليات ببعض الكلمات التي قد تكون جديدة على المجتمع المحلي. ولكن اللهجة الإماراتية في مجملها باقية لم تتأثر لأنها كما ذكرنا لغة الخطاب اليومية لأهل الامارات كما أنها تعتبر وعاء جمع مختلف أجزاء الذاكرة الشعبية والثقافة المحلية حفظت لنا الشعر الشعبي والنبطي والأمثال وكثيراً من المأثورات الشعبية التي بقيت واستمرت إلى وقتنا هذا بفضل حفضها كمرويات شعبية باللهجة المحلية.

وكذلك بعض العلوم والمصطلحات الحرفية المتعلقة بالثقافة الشعبية بقيت كذلك لأنها كانت تتداول باللهجة المحلية كفنون الصيد وأدواته والغوص والزراعة واشجارها من نخيل وغيره ومنتجاتها وغيرها من الحرف التقليدية. ومواسم الزراعة والدرور والمطالع كله هذا مروي ومتداول باللهجة المحلية التي لم تكن فقط لغة خطاب بل لغة حياة وعلم وأدب وفن تميزت بها حياة الآباء والأجداد، وثقتها أشعارهم وأمثالهم التي كانت تروى باللهجة الامارتية المحلية وتصور جوانب الحياة المختلفة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي كان يعيشها الإنسان الإماراتي في ذلك الوقت. تعتبر اللهجة المحلية الإمارتية لغة ثرية وغنية بمعانيها وما تحتويه من قيم ومعان وآداب. حيث كانت اللهجة المحلية تعتني بالألفاظ ومعانيها والأوقات التي تقال بها جمل معينة لمناسبات معينة ولغة الخطاب الموجه لفئات المجتمع المختلفة وكيف يخاطب الكبير والصغير. ويمكن أن نجملها بعادات وتقاليد التربية والخطاب في المجتمع التي يطلق عليها حالياً (السنع).

وهذه العادات يجب تأصيلها وتربية الأبناء عليها حتى يشبوا على عادات وتقاليد المجتمع المحلي متمسكين بها ملمين بثقافتهم الشعبية، محافظين عليها حتى يبقى هذا الإرث الثقافي ولا ينقطع ويستطيع أن يقف في وجه الغزو الثقافي والثورة الإلكترونية وما جلبته من تغريب وتخريب ثقافي غريب عن ديننا وهويتنا الثقافية ولهجتنا المحلية الأصلية. وجب أن تتضافر كل الجهود المحلية والحكومية الفردية والشعبية لحفظ لهجتنا المحلية وما تحمله من ثقافة غنية من موروثاتنا الشعبية. وذلك بتجديد الخطاب الثقافي والتراثي عبر كل وسائل الإعلام السمعية والمرئية والمقروءة. وإعادة كتابة المناهج الدراسية لتضع حفظ التراث واللهجة المحلية نصب أعينها حتى يتربى أبناؤنا والجيل المستقبلي على حب ورعاية وحفظ تراثهم المحلي واللهجة المحلية الإمارتية. كم يجب أن تتوجه الجهود لرعاية كل جهد بحثي مؤسسي أو فردي يقوم بحفظ وتوثيق وشرح وتفسير اللهجة المحلية الإماراتية وأن ترصد جوائز قيمة لمن يقدم إضافات ثرية وجديدة في حفظ وتوثيق اللهجة المحلية. ولا ننسى دور الوالد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه حيث كان الراعي الأول والحاضن للتراث الشعبي. وعلى هذا النهج كذلك لا يزال صاحب السمو الوالد الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله ورعاه هو وإخوانه حكام الامارات راعين وداعمين للتراث والثقافة المحلية. مما شجع كثيراً من الباحثين في كتابة وتوثيق بعض البحوث التي قامت لجمع وحفظ اللهجة المحلية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1. فالح حنظل، معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وزارة الإعلام والثقافة، الإدارة الثقافية، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الثانية، 1998م.
2. عبد العزيز المسلم، اللهجة الإماراتية (مدخل عام): دليل الجامع الميداني، دائرة الثقافة والاعلام بالشارقة، 2001م.
3. أحمد محمد عبيد، دراسات في أدب الإمارات وثقافتها ولهجاتها، المؤلف، 2003م.
4. أحمد محمد عبيد، لهجات الإمارات.. مقدمات ودراسات، دائرة الثقافة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2006م.
5. عبد الفتاح الحمود وآخرون، معجم ألفاظ لهجة الإمارات، مراجعة محمد المر، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى 2008م.
6. أحمد محمد عبيد، ظاهرة الإبدال في لهجات الإمارات العربية المتحدة، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2013م.
7. صلاح حيثاني، من معجم ألفاظ العامية الإماراتية دراسة وتأصيلاً، شركة العلامة المميزة لتنظيم الندوات والمؤتمرات، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2013م.
8. خميس إسماعيل المطروشي، اللهجة الإماراتية/ رمستنا، المؤلف، الطبعة الأولى، 2013م.
9. فالح حنظل، مختصر معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة، مؤسسة دار هماليل للطباعة والنشر، مجموعة أبو ظبي للثقافة والفنون، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2015م.
10. عبد الله محمد صالح، رمسة أهل الإمارات، معهد الشارقة للتراث، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2017م.
11. سلطان العميمي، لهجات سواحل الخليج العربي في المعاجم العربية بين الإهمال والإقصاء: اللهجة البحرية في دولة الإمارات أنموذجاً، دائرة الثقافة والسياحة أبو ظبي، 2019م.
12. سالم راشد تريس القمزي، معاني الكلمات العامية في اللهجة الإماراتية، معهد الشارقة للتراث، الشارقة، 2021م.

هذه بعض الجهود المباركة التي قام بها نخبة من الباحثين الذين قاموا بمحاولة لجمع اللهجة المحلية الامارتية لحفظها وتوثيقها. ونتمنى أن تستمر كل الجهود التي يمكن القيام بها لحفظ هذه اللهجة الغنية والثرية لهجتنا المحلية حتى تبقى وترق وتبقى ذخرا لتراثنا الأصيل وموروثنا الشعبية والثقافية ■

معجم ألفاظ لهجة الإمارات وتأصيلها

فاطمة المنصوري

لم يغب عن اهتمام نادي تراث الإمارات ضرورة البحث في مجال صناعة المعاجم اللغوية، حيث يعد مجالاً مهماً من مجالات علم اللغة التطبيقي، لاسيما تلك المعاجم التي تهدف للحفاظ على اللهجة المحلية، وينبع هذا من الدور الريادي للنادي والمتمثل في حماية تراث الدولة وتوثيقه وتشجيع البحوث العلمية والتراثية والتاريخية ودراستها وتحقيقها، وقد توج النادي هذا الاهتمام بإصداره معجم (ألفاظ لهجة الإمارات وتأصيلها)، هذا المعجم الفريد من نوعه على مستوى الدولة الذي أصدره النادي من خلال مركز زايد في عام 2008، وقدم له المغفور له بإذن الله الشيخ سلطان بن زايد، حيث أكد في كلمته، رحمه الله، والتي مثلت فكرة المشروع وأهدافه حيث وضح، رحمه الله، أهمية لهجة أبناء الإمارات وأصالتها وانحدارها من العربية الفصيحة، فقد ضمت هذه اللهجة في ثناياها عدداً كبيراً من ألفاظ العربية الفصيحة التي تنحدر من كتاب الله عزوجل ومن الحديث النبوي الشريف ومن نصوص التراث العربي الأصيل والمعاجم العربية، التي تشكل اللغة العربية إحدى دعائمها.

الأسس التي قام عليها بناء المعجم

إن تأليف المعاجم يعتبر فناً من فنون اللغة، بل هو صناعة وفن وعادة ما تكون معالجة الألفاظ أعسر من معالجة المصطلح العلمي، وإن الاجماع عليها ليس بالأمر الهين ولا بد من الاستعانة عليها بشتى الوسائل (علي القاسمي، علم اللغة).

ويتبين من خلال قراءة (معجم ألفاظ لهجة الإمارات وتأصيلها)، والتي تربو صفحاته على خمسمائة صفحة، ويضم ما يقارب على ثلاثة آلاف كلمة أو ما يزيد، أن الأسس التي استند إليها المعجم هما (الجمع والبناء). بالنسبة للجمع لقد ذكر المؤلفون في كلمتهم في المقدمة وهم كل من الدكتور فايز القيسي والدكتور عبد الفتاح الحموز والأستاذة شيخة الجابري أن منهجية العمل في هذا المعجم اعتمدت على تدوين هذه الثروة اللفظية من اللهجة في هذا الكتاب من مصادر متعددة بالإضافة على السماع إلى بعض المسنين من أهلها وأصحاب المهن والحرف، وذلك من خلال ما تجمع من ألفاظ من خلال الاستبانات التي تدور في فلك موضوعات متعددة، وزعت على طالبات من جامعة الإمارات وقد زاد عدد هؤلاء الطالبات على خمسمئة وخمسين طالبة ينتمين إلى مناطق مختلفة في دولة الإمارات، ويمثلن ما يمكن أن يتكون منه مجتمع هذه اللهجة.

مصادر المادة المجموعة

ونعني بها مصادر المادة المكتوبة والمدونة في المعجم، ويذكر العديد من الباحثين طرق جمع المواد المجموعة في المعاجم موضحين أن هناك نوعاً من المعلومات الخاصة بالمعجم ينبغي أن تؤخذ من البحث الميداني (إبراهيم اليازجي، التعريب، مجلة الضياء ج15)، وهناك العديد من المعاجم التي اعتمدت هذا المصدر ومنها على سبيل المثال (معجم تهذيب اللغة للأزهري)، الذي اعتمد على المشافهة في جمع مادته وقد أثنى على هذا المعجم العديد من العلماء كابن منظور وغيره، وهذا هو أحد المناهج التي اعتمدت في معجم (ألفاظ لهجة الإمارات وتأصيلها)، حيث عدد المؤلفون الذين أشرفوا على إعداد المعجم، المراجع التي تم الاعتماد عليها، والتي تنوعت لتشمل العديد من المصادر الشفاهية، حيث قامت الباحثات التي تم الاستعانة بهن وهن كل من: آمنة سالم المري وغوية سيعد النيادي وسلمى سيف الخيلي ولطيفة داود النعيمي وناجية البادي الكتبي ونصره مسعود آل عزيزي ومريم خلفان الظاهري وفاطمة عبدالله الشامسي وفاطمة سالم الظاهري وفاطمة سالم الشامسي وعائشة داود النعيمي وشما خليل الحمادي وسلمى محمد الكندي.

وتبيان دلالتها، فالمصدر في معظمه إذاً هو الكلام المأخوذ من الميدان، ومن أهم تلك الشخصيات التي تم إجراء مقابلات معهم نذكر منهم على سبيل المثال المستشارين التراثيين في نادي تراث الامارات مثل صباح محمد سعيد الرميثي، وعلي بن حسن الرميثي وخميس بن زعل الرميثي، بالإضافة لخبراء تراثين من مختلف إمارات الدولة مثل عبيد بن راشد بن صندل، وبطي المظلوم، وسالم بن معدن الكتبي وسعيد الحداد، للذهاب إلى الناس في ميادين حياتهم، في منازلهم ومزارعهم ومجالسهم ومشاغلهم، يجمعن ألفاظ الحياة العامة كما يستعملها هؤلاء الناس ويفهمونها، وقمن بضبط الكثير من ألفاظ المعجم المستشهد بها، على حسب لفظها في اللهجة الإماراتية،

وحميد مبارك الدرعي، وبلال خميس الدرمكي، وفرج المحيربي، وغيرهم العديد من الآباء والأجداد والأمهات الكريمات. كما اعتمد المؤلفون على بعض مراجع المعاجم لاسيما كتاب الدكتور فالح حنظل «معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة»، على الرغم مما فيه من خلل في كثير من التفسيرات والتأويلات في بعض الألفاظ، ألا أن المؤلفين اطمأنوا على ما جمعوا من ثروة لفظية أن كثيراً منه يساير مع ذكره الأستاذ فالح حنظل. كما اعتمد القائمون على إعداد المعجم على مراجع أخرى لعل من أهمها كتاب الأستاذ محمد المر (كلام الناس)، هو كتاب دون فيه مؤلفه ما يمكن أن يدور في فلك ألفاظ الموضوع الواحد أو ما يسمى بالترادف، وكتاب الدكتور علي عبد العزيز الشرهان وهو (تحولات اللغة الدارجة، تأثير التغير الاجتماعي على العربية في الإمارات، كما رجعوا إلى ما كتبه كل من الدكتور عبدالعزيز المسلم والأستاذ عبدالله عبدالرحمن ولا سيما مقالاتهم المنشورة في مجلة تراث الصادرة عن نادي تراث الإمارات. أما على مستوى تبيين أصالة ألفاظ هذه اللهجة فقد اعتمد المؤلفون على (لسان العرب) لابن منظور، و(تاج العروس) للزبيدي، لأنها أكثر استقصاءً وجمعاً. وبعد انتهاء إعداد المعجم تم الاستعانة بالأستاذ محمد المر الأديب والكاتب الإماراتي المعروف الذي راجع الألفاظ وهذبها ونقحها.

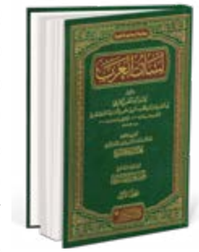

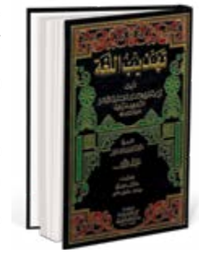

بناء المعجم

ويعني إخراج المعجم أو إنجازه، ويتضمن أمرين وهما: الترتيب والتعريف. والترتيب يقصد به المنهج الذي اتبع في تبويب مداخل المعجم وتصنيفه، وفي هذا المعجم تم تقسيم المعاني في أبواب بحسب الحروف الأبجدية، ففي قسم حرف الألف تجد كافة المعاني والمدلولات التي بدأت بهذا الحرف مثل كلمة «آزم» حيث يستعمل هذا الفعل بمعنى صارويتم الاستشهاد ببعض الأبيات الشعرية كما في كلمة آزم في قول الشاعر مانع سعيد العتيبة:

ودمعـــــــــي آزم سكـــــــايب
فـــــوق اخـــــــدودي صـــــبيب

وايواد، الأياويد (أجواد - الأجاويد)، وكما في قول الشاعر ربيع بن ياقوت:

بـــين النشامـــــى والأيـــاويـــد
وشيـــخ ايعـــد عتـــاد وازنـــــاد

وفي العربية الفصيحة أيضاً الأجاويد جمع الأجواد، والأجواد جمع الجواد ومعناه الكريم السخي. وفي حرف الباء كذلك تجد كافة المعاني والمدلولات التي تبدأ بحرف الباء، مثل كلمة بادلة، وبارح والبارح هي الريح اللينة المعتدلة، وهكذا مع بقية الحروف.

وقد أثر معدو المعجم تدوين كثير من الألفاظ المستشهد بها في المعجم مجردة ومن دون أن تكون في تركيب لغوي، في الغالب رغبة في الاختصار وهجر التطويل.

كما أثر معدو المعجم التقليل من الألفاظ والمصطلحات الشائعة عند البحارة والغاصة لكونها تخضع لتأثيرات الدول المجاورة، كما أثر معدو المعجم على كتابة الكلمة كما تلفظ في هذه اللهجة وكتبها بالعربية الفصيحة بين قوسين. كما تم الاعتماد على المنهج الوصفي في الكشف عما يمكن أن توسم به هذه اللهجة، والمنهج التاريخي للكشف عن تغير اللفظة، وتخلل ذلك التحليل والتفسير والمقارنات بين لهجة وأخرى في بعض الأحيان لتعزيز ما ذهبوا إليه من تحديد للألفاظ ومعانيها.

يتضح من هذا المعجم اللغوي الفريد من نوعه الذي قدمه مركز زايد التابع لنادي تراث الإمارات أهمية صناعة المعاجم اللغوية وبالأخص التي تتعلق باللهجة المحلية التي تعتبر مستودعاً كبيراً للعديد من الألفاظ المتعلقة بمختلف مظاهر الحياة وأصالة لهجة أبناء الإمارات، حيث تعود العديد من مفرداتها ولهجاتها إلى اللغة العربية الفصيحة ■

مؤسسات إماراتية تنشط في جمع الموروث الشعبي:

دور بارز لنادي تراث الإمارات في إحياء اللهجات الشعبية

علي تهامي

تتضافر جهود الكثير من المؤسسات الإماراتية، حكومية وخاصة، في مجال جمع وإحياء الموروث الشعبي بالمناطق المختلفة من البلاد، بما في ذلك الحفاظ على اللهجات الشعبية التي تنتشر بين المناطق البدوية والجبلية وحتى المناطق الحضرية داخل الدولة. ومن بين تلك المؤسسات نتابع جهود نادي تراث الإمارات، ومعهد الشارقة للتراث، ومركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، ومركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ومركز جمال بن حويرب للدراسات، وغيرها، وما تصدره تلك المؤسسات من مجلات دورية مثل مجلة تراث، ومجلتي الموروث ومراود، ومجلة مدارات ونقوش، ومجلة آفاق الثقافة والتراث، والتي تسهم جميعها من خلال الأنشطة والمنشورات الدورية وغير الدورية في حماية وصون التراث وجمعه وتوثيقه، وجعله حاضراً في عيون وذاكرة الأجيال على الدوام. وهنا يبرز الدور الكبير الذي يقوم به نادي تراث الإمارات في مجال إحياء التراث بكل أنواع وألوانه ومفرداته، بما في ذلك العمل على إحياء اللهجات الإماراتية عبر ما يقوم به من أنشطة وفعاليات على مدار العام. ولا يغيب عن أنشطة نادي تراث الإمارات، ذلك الاهتمام باللهجات الإماراتية، والتي يعمل النادي على حفظها وصونها ونقلها إلى الأجيال وإحياء مفرداتها على الدوام، وذلك عبر تلك المهرجانات والمعارض والملتقيات والندوات وورش العمل التي تتناول كل ما تعلق بالتراث والموروث الشعبي الإماراتي، وجميعها أنشطة تقوم بدور فاعل في إحياء الحرف والصناعات والألعاب والأغاني واللهجات الشعبية التي يعتز بها الشعب الإماراتي، باعتبارها جزءاً من تاريخه وهويته الوطنية.

ولعل اهتمام نادي تراث الإمارات بالشعر النبطي، والحكايات الشعبية، وكل ما يندرج تحت عنوان «الموروث الشعبي»، هو اهتمام يصب في مصلحة اللهجات الإماراتية وإحياء وحفظ وتوثيق مفرداتها، وتشمل تلك الاهتمامات والجهود لهجات أهل المناطق البدوية، والجبلية وحتى الحضرية بطول وعرض البلاد.

وفي هذا الإطار فإنه بجانب ما يقوم نادي تراث الإمارات بتنظيمه من ورش وندوات ومهرجانات وفعاليات متنوعة لخدمة التراث الإماراتي، وصونه، فإن لمجلة «تراث» التي يصدرها النادي، والتي تعد واحدة من أهم الدوريات العربية المعنية بالتراث، فإن لتلك المجلة التي ينتشر متابعوها داخل الإمارات وخارجها، دوراً فاعلاً في حفظ اللهجات الإماراتية، وذلك من خلال تلك الملفات التي تحرص المجلة على نشرها في كل عدد، والتي باتت من بين المصادر المهمة التي يعتمد عليها الباحثون والأكاديميون والمعنيون بالتراث في عالمنا العربي.

حيث تتفرّد تلك الملفات التي تختار موضوعاتها بعناية من قبل هيئة التحرير والمسؤولين في نادي تراث الإمارات، تتفرّد بتنوع وثراء موضوعاتها، وبما تضمه من مواد أصيلة توثق الكثير من موضوعات ومفردات التراث الإماراتي، وتلك الموروثات الشعبية التي تحتوي على الكثير من نصوص ومفردات اللهجات الشعبية بالبلاد. وداخل نادي تراث الإمارات، وغيره من المؤسسات والمراكز المعنية بتراث الإمارات وموروثها الشعبي، تتضافر الجهود من أجل توثيق اللهجات الإماراتية لتكون بمثابة علم متكامل وتشجيع جموع الباحثين المعنيين بتراث الإمارات، لتقديم معاجم تُبنى مفرداتها على أسس علمية ومسح وجمع ميداني، يوثق تلك اللهجات، ويحفظها، وينقلها للأجيال من جيل إلى جيل. ومن الواضح أن تلك الجهود قد نجحت في تحقيق تجارب لافتة في هذا المجال، حيث نرى الكثير من الأخبار التي تدلنا على إنجاز معاجم متخصصة، أو البدء في جمع معاجم تتناول لهجات مناطق أو حرف وصناعات بعينها، وكذا صدور معجم يضم 1500 كلمة من اللهجات الشعبية الإماراتية والتي ترجمت إلى اللغتين الإنجليزية والإيطالية، من أجل خدمة

المقيمين على أرض الإمارات ومساعدتهم في معرفة لهجات الإمارات، وهو المعجم الذي صدر عن أكاديمية الشعر في أبوظبي. ومن اللافت للجميع، هو ذلك التناغم والتكامل بين المؤسسات والمراكز المعنية بالتراث على أرض دولة الإمارات العربية المتحدة، وفي مقدمتها نادي تراث الإمارات، حيث تتلاقى جهود الجميع، وتتشابك، وتتعاظم يوماً بعد يوم من أجل تحقيق هدف نبيل، هو صون تراث الوطن، وتوثيق موروثه الشعبي، وفي المقدمة من ذلك اللهجات الإماراتية التي تحظى بأهمية كبيرة لدى الباحثين في حقل اللهجات الخليجية والعربية.

يُذكر أن اللهجات الشعبية لأهل دولة الأمارات العربية المتحدة، هي «لهجات متلونة متنوعة بتنوع الإمارات وغناها بالبيئات المختلفة»، ويذهب بعضهم إلى القول بوجود أكثر من 20 لهجة محلية تتواجد في أرض الإمارات. وقد باتت دراسة اللهجات في دولة الإمارات من المباحث المهمة التي تحظى باهتمام الباحثين في مجال اللغة والتراث. وكما يقول العلاّمة الدكتور إبراهيم مدكور، في تقديمه لكتاب «لهجات العرب» للعلاّمة المحقق المغفور له أحمد تيمور باشا، فإن اللهجة هي استعمال خاص للغة في بيئة معينة، ولا يكاد ينتشر استعمال لغة حتى تتعدد لهجاتها، واللهجات وليدة ظروف مختلفة: جغرافية واقتصادية، سياسية، واجتماعية، وللرحلة والتجارة أثر في اتصال لهجة بأخرى... ومظاهر ذلك واضحة ومعروفة في الماضي والحاضر، والعلم والثقافة ينهضان ببعض اللهجات، وقد يسموان بها إلى مرتبة الفصحى. واضيف على قوله بأن ذلك ينطبق على اللهجات الإماراتية التي تأثرت بحسب الباحثين بالتجارة خاصة مع بلدان مثل الهند وبلاد فارس قديماً. ولعل بعض اللهجات العربية لم تحظ بما حظيت به اللهجات الإماراتية من دراسات وبحوث، ساعدت في بقائها وانتقالها من جلي إلى جيل، وتردد مفرداتها بين الأجيال الشابة.

وفي الختام فإنني أعود لأذكر بما بذله نادي تراث الإمارات، وبذله منذ تأسيسه قبل قرابة 28 عاماً وحتى اليوم، من جهود من أجل إحياء تلك اللهجات وصونها وجمع كلماتها ومفرداتها وتوثيقها.

ولعله من المهم أن تتواصل تلك الجهود الهادفة لحفظ اللهجات الإماراتية، وحتى العربية، وجمع وتوثيق مفرداتها، وهو أمر يتطلب جهوداً متضافرة ومتلاحقة من قبل كافة المؤسسات والمراكز المعنية بالتراث والموروث الشعبي ■

بين الفصحى والعامية

علي كنعان
شاعر سوري مقيم في الإمارات

عندما نتأمل الفارق الواضح بين الفصحى في لغة الشعر والخطابة والكتاب.. وبين اللغة التي يجري الحديث بها مع الأهل في البيوت أو مع الأصدقاء والناس العاديين في السوق والمكتب ودروب الحياة، نجد في كثير من الأحيان أن اللغة المحكية أو اللهجة قريبة جداً من الفصحى في غالب الأحيان، ولا تختلف عنها إلا في تجاوز قواعد النحو والإعراب، وتسكين أواخر الكلمات بالحديث إيثاراً للسهولة والعفوية وليونة الخطاب. والفارق بين العامية والفصحى لا يقتصر على لغتنا العربية، بل نرى هذا التفاوت في جميع لغات العالم. ويكفي أن نضرب مثلاً باللاتينية، لغة الرومان القدماء، التي تحولت مع الزمن وتطور الحياة واختلاف بيئات الشعوب إلى عدة لغات، منها الإيطالية والفرنسية والإسبانية والرومانية، ودخلت منها في الإنجليزية كلمات عديدة. وربما كانت لغتنا هي اللغة العربية الوحيدة الباقية منذ ما يقارب ألفاً وسبعمئة سنة، وقد يستغرب الأجنبي ويتعجب كيف نفهم شعر امرئ القيس وطرفة وعنترة، رغم أن ما لا يقل عن أربعة عشر قرناً تفصل بيننا وبينهم. وقد نزل القرآن الكريم ليؤكد على سلامة هذه اللغة واستمرارها عبر الأجيال.

لفت نظري أحد الطلاب الأجانب من المستعربين الذين جاء موفداً من جامعته في بريطانيا ليدرس لهجة حي الميدان، وهو من أقدم الأحياء في دمشق. وحين لمح استغرابي قال: في لغتنا الإنجليزية لهجات مختلفة بين ويلز وإنجلترا واسكوتلاندا، وحتى بين أحياء المدينة الواحدة تجد اختلافاً، ولولا هذا الاختلاف لما كان هنك سبب يدعو لإعداد المعاجم. وفي منطقة الخليج العربي، نشعر باختلاف اللهجات بين الإمارات وعمان والكويت.. وبقية البلدان، على سبيل المثال، وقد نجد الاختلاف بين المدن الساحلية وسكان الداخل، وبين البادية والحضر.

اللغة ومخارج الحروف في اللهجة مرتبطة بالمحيط الاجتماعي والبيئة الطبيعية، إلى جانب درجة التعليم والثقافة ومدى الاختلاط والتفاعل مع سكان المناطق المختلفة في البلد الواحد. إن لغة الأم هي التي يتعلمها الطفل حتى يتقن لغة الأمة، ومن هنا نجد أهمية بالغة في أن تتولى المعلمات، وخاصة الأمهات، مسؤولية التعليم ورسالة التربية في المدارس الابتدائية، وهذا ما لمسته في اليابان، وذلك أن على الأم أن تعلم أطفالها كل يوم خمسة أشكال صينية، لأن الأبجدية واحدة في البلدين، لكن اللفظ مختلف. حين نقرأ هذا البيت الشعري للماجدي بن ظاهر: (يقول المايدي أبيات شعرٍ - يِدادْ الجيل عدلات المعاني) نلاحظ أن حرف الجيم في (الماجدي) و(جداد) انقلب إلى ياء. ونرى أن حرف الجيم يستبدل ويغدو ياء حتى في أوروبا، حيث نجد ذلك واضحاً في اسم (يوليوس) فتلفظه بعض الشعوب (جوليوس). والعبارة الإنجليزية (ليس بعد) Not yet يلفظها أبناء اسكوتلاندا (نَأْ يِتْ) حيث تتحول التاء إلى همزة، كما نحول القاف إلى همزة في بلاد الشام. ومن الطرائف التي لا أنساها في زيارتي للولايات المتحدة، صعوبة فهم بعض العبارات. كان في برنامجنا زيارة (البيت الأبيض) White House. وكنا مضطرين للوقوف في صف طويل يزيد عن 500 متر في شمس سبتمبر الحارة. وظننت

أننا في زيارة موقع أثري نادر فسألت المرافق: مستر جون، أين نحن ذاهبون؟ أجابني بلهجة حاسمة: (وا..ها) فلم أفهم مقصده! فلجأت إلى رفيق الرحلة الدكتور نبيل الحفار، وهو متمرس أكثر مني بعشرة الغرباء، فقلت له: نبيل، ماذا يقصد بـ(وا..ها) أجابني ضاحكا: وايت هاوس! وفي الإمارات، كما في جميع البلاد العربية، لا تختلف العامية عن الفصحى إلا باستبدال حرف أو بإمالة بعض الحروف، مثل (هايا): هذا، و(هاياك): ذلك، (هاييك): تلك، ما مخلني: لا يتركني، مريله: مرجلة، الحينه: الآن، وهي من الفصحى (حين). وأحيانا تنقلب الكاف شينا مثل (أبوش): أبوك، (بخبرش): سأخبرك، وقد تنقلب جيماً مثل (لسانج): لسانك. ويمكن أن نجد كلمات مشابهة للعامية في بلاد الشام مثل (شوف، الأوادم، اللي، وين؟ (تريلات): شاحنات، (الزهبه): جهاز العروس، (تم - ما تم): بقي- ما بقي، (هيه): يا هذا. وهكذا نكتشف أن اللغة المحكية مأخوذة من الفصحى وقريبة منها، بتبديل حرف واحد في أغلب الأحيان، وأحياناً باستبدال حروف العلة. وهذه الأمثلة تؤكد بيسر وبساطة أننا أمة واحدة، وإن اعتادت كل منطقة، وكل مدينة على خصوصية في بعض ألفاظ كلماتها. ونظراً لأسبقية مصر في الصناعة السينمائية وغزارة إنتاجها ومتعة الأفلام التي أنتجتها، صارت اللهجة المصرية مفهومة في جميع البلاد العربية. ولا شك أن السينما أسهمت إسهاماً كبيراً في اتساع مجال الثقافة لدى المشاهدين وصقل ذائقة الهواة وأصحاب المواهب الفتية من حلال اطلاعهم على تلك الأفلام وإغناء مخزونهم وتجاربهم الثقافية، لغة وفناً. وإذا كان هناك تخوف عند بعض الأساتذة والمعلمين من تراجع مستوى اللغة العربية، فالواقع يؤكد عكس ذلك، لأن اللهجات الشعبية واللغة المحكية، لغة الأم التي لا يمكن أن ينساها أي واحد منا. هذه اللغة المحلية الدارجة في منطقة معينة، هي جذر اللغة الفصحى وعنصرها الحي، وهي عامل أساسي في بناء الهوية وترسيخها، ولها دور أساسي من خلال مناهج التعليم في خدمة لغتنا الفصحى، لغة القرآن والتراث، لغة الأمة العربية التي أصبحت إحدى اللغات المعترف بها في الأمم المتحدة، وهي ركن أساسي من أركان الصروح الحضارية المعاصرة في هذا الزمن. ومن المؤكد أن وسائل التواصل الاجتماعي تسهم في تطويرها وإغنائها من خلال التفاعل مع لغات الشعوب الأخرى في عصرنا الحاضر ■

اللهجات في الإمارات جداول متنوعة من نبع واحد

فاطمة عطفة

من المعروف أن البيئة تؤثرتأثيراً كبيراً في اللهجة المحلية، سواء بنطق بعض الحروف وإمالتها أو استبدال بعض المفردات ببعض المصطلحات الخاصة بتلك البئة من واحة وصحراء، ساحل وجبل، قرية ومدينة.

ولكن ما دامت اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وما دام الشعر ديوان العرب، فإن أصل اللهجات العربية ونبعها واحد، مهما تعددت أنواعها بتعدد القبائل والمدن والأرياف والواحات. وحول اللهجات في الإمارات، والموضوع مرتبط بالهوية والتراث وغنى لغة الأمة، تقول الروائية مريم الغفلي: دولة الإمارات كما هو الوطن العربي والخليج يتحدثون اللغة العربية .. ولكن العربية متنوعة بتنوع اللهجات. فلهجة أهل مصر تختلف عن السودان كما تختلف في سائر الأقطار العربية الأخرى. وهناك اختلاف في اللهجات ما بين دول الشام والعراق والخليج العربي. والأمر لا يقتصر على محيط عربي، ولكن التنوع والاختلاف كذلك يوجد في البلد الواحد، فلهجة أهل مصر تختلف مابين أحياء القاهرة نفسها ، ونجد اختلاف اللهجة بين أهل الصعيد والإسكندرية والنوبة وسيناء .

وفي دولة الإمارات العربية المتحدة نجد أن اللهجة تتنوع ما بين شمال وجنوب، شرق وغرب، وساحل وصحراء وجبل .ففي أقصى الشمال الشرقي تتمركز قبيلة الشحوح في منطقة رؤوس الجبال امتداداً من رأس الخيمة إلى خصب ودبا، وكان أول ظهور للقبيلة في دبا، ولكن القبيلة لها حضور في كافة الإمارات وبعض أجزاء من سلطنة عمان.

وتختلف لهجة قبائل الشحوح عن باقي اللهجات بشكل واضح. باللهجة الشحية تأتي الهمزة بدلاً من حرف العين كالمثال الآتي: ألي بدلاً من علي... وإيش بدلاً من عيش أي أرز... وأُمَرْ بدلاً من عُمَر فهي لهجة صعبة غامضة غير مفهومة إلا لمن اعتاد عليها. كذلك تتغير لهجة أهل الساحل الشرقي عن لهجة باقي الإمارات، وهذا الاختلاف ملاحظ بشدة. وعندما نتعمق في الصحراء نجد لهجة البدو في مناطق مثل الذيد والهير ومدينة العين تختلف عن باقي اللهجات للقبائل المجاورة، كذلك تختلف اللهجات لدى قبائل المنطقة الغربية في ليوا والظفرة .وكذلك الحال للقبائل والسكان الذين يسكنون أطراف الربع الخالي، حيث تختلف اللهجات عن لهجة أهل الساحل الشرقي والغربي وفي المدن مثل دبي والشارقة والعاصمة أبوظبي، والملاحظ أن لكل قبيلة لهجة خاصة بها. ولكن الاختلاف طفيف ومفهوم .

حالياً بات هذا المزيج متجانساً وأصبحت اللهجات الأصلية عند كبار السن، وكذلك من لم يغادر قريته ومكان سكنه فهو متقن للهجة الأصلية لهجة المكان وساكنيه. الإنسان الإماراتي يستطيع التعرف على غيره من لهجته وهو على اطلاع على كامل اللهجات. وحالياً الجهود بدأت في محاولة سبر أغوار اللهجات ورصد المتشابه والمختلف.

وفي سبيل الحفاظ على اللهجة نحتاج تضافر كافة الجهود للحفاظ عليها كي لا تندثر ونحن نحارب في جهتين جهة الحفاظ على اللغة العربية عند الأجيال الحديثة، وكذلك اللهجة المحلية التي أصبحت خليطاً ما بين العربي والإنجليزي.. وهذا ظاهر في المدن، ولا زال الأمر في القرى والمناطق البعيدة راسخاً، وتقع على كاهل الأسر مسؤولية الحفاظ على هذا الإرث والسمة المميزة لهذا المجتمع الحفاظ على ثقافته وأصالته.. واللغة واللهجة أساس التراث وسمة ثقافية تميز كل مجتمع.

نبيل الكثيري

وحول موضوع اللهجات وتنوعها، أيضاً نتابع مع الكاتب نبيل الكثيري يقول: توجد العديد من اللهجات المحلية الإماراتية، وبعضها تشترك مع لهجات بعض المناطق للدول الخليجية المجاورة في بعض المرادفات. وبشكل عام تتلخص لهجات في لهجة المناطق الحضرية ولهجة المناطق الجبلية، واللهجة الحضرية منها على سبيل المثال لا الحصر، لهجة حضر الساحل الغربي ومنها مدن الفجيرة وكلباء وخورفكان ودبا والعديد من المدن، ولهجات أهل المدن مثل أبوظبي ودبي والشارقة وعجمان والشارقة وأم القيوين ورأس الخيمة، حيث كانت توجد فروقات بسيطة فيما بينها وإن قلت في الزمن الحالي مع التقارب المجتمعي والأسري بين سكان الإمارات، كما توجد لهجة أهالي الظفرة في المنطقة الغربية، وتعتبر هذه اللهجة خليطاً بين اللهجة الحضرية في أبوظبي ولهجات بدو المنطقة الغربية. ولوقوع الإمارات في منطقة وسطى بين البادية والمدن العربية في الجزيرة والشام والعراق، وبين السواحل الإيرانية والهندية وفد إليها التجار من مختلف تلك المناطق، ولذلك دخلت بعض المصطلحات في اللهجات المحلية. ويتم توثيق تلك اللهجات في الأرشيف والمكتبة الوطنية ومعاهد التراث، بالإضافة إلى مراكز وأندية التراث المنتشرة في معظم مدن الدولة، حيث تصنف اللهجات المحلية وتوثق سواء كتابة أو سمعياً عبر الالتقاء مع كبار الوطن في مناطق تواجدهم وتسجيل أحاديثهم وتاريخ مناطقهم، كما يتم إصدار العديد من الدراسات الوثائقية سنويا للعديد من الأدباء والكتاب الإماراتيين المهتمين بالشأن التراثي والتاريخي لدولة الإمارات العربية المتحدة، كما تقوم تلك المعاهد والمراكز التراثية بعقد الندوات والمحاضرات التي تساهم بشكل كبير في توعية جيل الشباب بأهمية الحفاظ على اللهجة الإماراتية والتحدث بها باستمرار للحفاظ عليها باعتبارها ركناً أساسياً من أركان الهوية الوطنية، كما أن الكتب المدرسية مستمرة خلال السنوات العشر الماضية في إضافة الكثير من المناهج التي تحتوي على قصص وأشعار تعبر عن اللهجة الإماراتية.

د. عائشة بالخير

وتصف د. عائشة بالخير لهجات الإمارات بثلاث مميزات هي التنوع والانسجام والأصالة. وتواصل حديثها قائلة: باختلاف بيئاتها وتعدد أهوائها تبقى خصوصية الزمان والمكان من أهم العناصر التي تميز تراث وثقافة دولة الإمارات العربية المتحدة؛ هناك مفردات ومصطلحات وتعابيرلفظية، وغيرلفظية، تعبرعن ثراء حضارتنا وعمقها في الواقع العربي.

لقد تعلمنا من كبارالمواطنين والمعمرين والإخباريين أن في تلك التضاريس الجبلية والساحلية والصحراوية والزراعية حكايات ومرويات تدون التاريخ والتغييروترسخ الهوية الوطنية، كما تعلمنا منهم أن للكلام ميزاناً معتمداً لقياس السنع وقياس التزام المرء بتقاليد أهله ومحافظته على ديمومة ذلك الموروث.

ومن الواضح أن أغلب ما نستخدمه في مفردات اللهجة له جذور ممتدة في اللغة العربية، ولا بد من القول إن لهجتنا دليل قاطع على الأصالة والتسامح، فمثلما نجد كلمة «لا تعول على فلان» وهي عربية خالصة وتعنى أن هذا الشخص لا يمكن الاتّكال عليه والاستعانة به. وقول الشاعرسعيد بن عتيج الهاملي: «أصبحت يا شقرايه عيلٍ على المسراح».

وعيل كلمة عربية صريحة فعبارة «عِيلَ صبرُه» أي نَفِد. وعندما نقول إن هذا سواط فنحن نقولها بلغة عربية فصيحة، فكلمة «ساط» تعني خلطَه وفرَكه بالمِسْوَط ليختلط بعضه ببعض.. والقياس على ذلك يوضح عمق هذه العلاقة التي تجمع الإمارات بحضارة العرب وعمق هذا الإرث المستدام.

وطالما هناك مؤسسات تجمع وتؤصل وتوثق، فنحن لا نخاف على الموروث والثقافة الإماراتية فقد أثبتت الكتب أن نجاتها تعتمد على محبي القراءة والوطن، فهم من يقرأها ويجمعها ويتأكد من صحة محتواها لتبادله الشعور فتنجو بنفسها.

وطالما هناك بادية وصحراء ممتدة نركض على رمالها في أجمل شتاء في العالم، وطالما كان هناك الشاعر العاشق لوطنه ولمحبوبته ستبقى لهجتنا المحلية أصيلة بأصالة الحضارة العربية وجذورها

محمد نور الدين

ويتحدث الشاعر والباحث محمد نور الدين عن الموضوع مشيراً إلى الجهود المبذولة لحفظ اللهجات، يقول: قبل موجة التواصل الكبيرة التي نشأت مع ظهور تكنولوجيا نقل الصوت والصورة، كانت حتى المناطق القريبة من بعضها تتميز لهجاتها ببعض الاختلافات. ولكن مع بدء انتشار المذياع والتلفاز واستخدام الهاتف بدأت المناطق تتقارب لهجاتها، ومع توفر وسائل النقل وسرعة التنقل أصبحت تتقارب اللهجات بشكل أكثروضوحاً.

واليوم مع ثورة الاتصال أصبح تأثير انزياح اللهجات عن أصولها جلياً وبالرغم من أن التغيير بفعل الزمن ظاهرة قديمة إلا أن سرعة التواصل الذي لم يشهدها تاريخ البشرية من قبل سيكون لها أثر عميق على لهجاتنا القديمة، وبالذات على صعيد اختفاء المفردات أكثر من تغير مخارج الحروف وظواهر الإبدال. ولعل جهوداً كبيرة تبذل في هذا الشأن من بعض الباحثين والمؤسسات، وعلى رأسها مركزالشيخ حمدان لإحياء التراث وهي تستحق كل التقدير، ولكني أتمنى أن تمتد هذه الجهود لحفظ اللهجات الإماراتية كلها وبالذات غيرالمنتشرة في جميع المناطق، فهي عرضة للتأثر بعوامل الزمن والتواصل التي أشرت إليها آنفاً. وأتمنى أيضاً أن تتبنى جهة رسمية هذا الدور كي تكون الجهود كلها في مجرى واحد ومصب واحد وتصبح في متناول الباحثين والمهتمين وذخيرة للمستقبل■

في العلاقة بين لهجات دولة الإمارات واللهجات العربية

علي تهامي

لم يكن المجتمع مجتمعاً انعزالياً، كما ظن بعضهم قديماً، بل كان من أهم مميزاته النشاط والحركة والتوثب، وكانت تيارات القبائل تتحرك في قلب الجزيرة وعلى أطرافها، تارة صاعدة وأخرى هابطة. وكما يقول الدكتور أحمد علم الدين الجندي في كتابه «اللهجات العربية في التراث»، والذي أنجزه في عام 1965، فإن العربي كان كثير التنقل من أجل القنص والصيد، بجانب ارتباط حياته بأمرين: تتبع المطر ومواطن الكلأ، فإن وجد ذلك استقر وأمن، وإن لم يجد لا يقلي عصا التسيار إلا إذا فاجأه واحد مهما، أي المطر والكلأ.

ومن هنا جاءت العلاقات المتشعبة بين القائل العربية، وخاصة في الجزيرة العربية والخليج العربي، وهو الأمر الذي نتج عنه ذلك التواصل بين اللهجات العربية المتعددة. وقد ارتبطت اللهجات الإماراتية وأصولها، بالكثير من أصول وجذور اللهجات العربية الأخرى. ووفقاً لسعادة الدكتور عبد العزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، وصاحب الجهود المشهودة في مجال صون اللهجات وكل ما يتعلق بالتراث والموروث الشعبي الإماراتي، فإن دولة الإمارات العربية المتحدة، عرفت «عدداً من اللهجات الرئيسة والفرعية، فنجد في المدينة الواحدة أكثر من لهجة، ففي الشارقة مثلاً هناك لهجة أهل الشرق ولهجة، أهل الغرب».

ويضيف «المسلّم» بأن هناك لهجات رئيسة في دولة الإمارات، وهي لهجة البدو، ولهجة أهل الساحل، ولهجة سكان الجبال، ولهجة المنطقة الشرقية. ولفت إلى أن تلك اللهجات تعتبر رئيسة وتنسب إلى «قبائل الأزد»، وبعضها متأثر بـ «لغة حمير القديمة»، و«قبائل تميم» وغيرها.

وأكد رئيس معهد الشارقة للتراث، على أن كل إمارة قد تجد فيها بعض الاختلاف في مسائل التعلق بقلب الحروف والابدال واختلاف بعض التسميات بين لهجة وأخرى، وذكر أن هناك لهجات متأثرة بالبداوة أكثر كما في إماراتي أبوظبي ودبي، ولهجات حضرية أو ساحلية تمتد من دبي فالشارقة وعجمان وأم القيوين وهذه كلها ذات ملامح واضحة في طريقة الطلق اللهجة وتداولها. ورأى بأن اللهجة الاماراتية كما في كثير من الدول تعرضت لما يعرف بالنحت والتحوير والإهمال والاختصار.

ويشير باحثون إلى أن اللهجات الإماراتية تأثرت بلهجات في منطقة الجزيرة العربية مثل الحجاز ونج والإحساء، وكذلك بلهجات أردنية. وبالطبع فإن تأثر اللهجات الإماراتية باللهجات العربية، هو أمر طبيعي، حيث كانت هجرات العرب وقبائلهم من مكان لمكان أثر كبير في خلق ذلك التشابه بين اللهجات، ويكفي أن نشير هنا وعلى سبيل المثال إلى هجرة اليمنيين التي أعقبت انهيار سيد مارب قديماً، وهي الهجرات التي دونها ياقوت الحموي، وهي هجرات تقدم لنا أكبر دليل على ذلك التمازج والتواصل بين القبائل العربية ولهجاتها. أضف إلى ذلك صوراً أخرى من التقارب الناتج عن طريق النسب تارة، والحلف تارة أخرى، بجانب المصالح المشتركة أحياناً، وقد أدي كل ذلك كما أسلفنا إلى تقارب اللهجات وتشابهها.

وفي كتابة «معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة»، يشير الدكتور فالح حنظل، إلى أن اللهجة البدوية هي الأصل الأول الذي تفرعت منه لهجة أهل الامارات وذكر أنه بصورة عامة يمكن القول بأن العامية في دولة الإمارات منقسمة إلى ثلاث لهجات كبرى وهي لهجة البدو ولهجة الحضر ولهجة عمان. وأشار «حنظل» في كتابه إلى أنه بالنسبة للهجة البدو، فينطقها ويتواصل بها أفراد القبائل البدوية التي تعيش في الصحراء في ليوا وأراضي العلم وجنوب الظفرة، والتي تمتد إلى الحدود الشرقية المتاخمة للربع الخالي في المملكة العربية السعودية، والمناطق الصحراوية الأخرى في بقية الامارات. وأما لهجة «الحضر» بحسب كتاب «معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة»، فينطقها ويتواصل بها سكان الساحل الموجودون في المدن والموانئ الساحلية المطلة على الخليج العربي وبحر عمان ولهجة هؤلاء القوم متشابهة في الفاظها امتداداً من البصرة في العراق وإلى الكويت وسواحل الخليج العربي كافة.

د. عبد العزيز المسلّم

وهكذا وكما قال الأقدمون من علماء اللغة، فإن العرب يأخذ بعضهم عن بعض، فيكلم الحجازي بلغة تميم، ويتكلم التميمي بلغة الحجاز، وتتشابه اللهجات وتتواصل من الإمارات إلى عمان والبحرين والجزيرة العربية، كل منها يأخذ من الآخر ويعطيه. وما كُنا محيطين ولكن نضرب الأمثلة ■

اللهجات الإماراتية.. تعددت روافدها فامتازت بثرائها اللغوي والمعجمي

عبد العليم حريص

اللهجات العربية بوجه عام هي الابنة الشرعية للغة الأم وهي اللغة العربية، التي ظهرت وانطلقت من شبه الجزيرة العربية، وفي دولة الإمارات العربية المتحدة نلاحظ أن اللهجات المحلية لها أكثر من رافد استقى منه المجتمع لهجته التي امتاز بها عن غيره من دول المحيط، فلدينا اللغة العربية الفصحى، واللغات المجاورة لأمم مختلفة، والرافد الثالث هو الواقع المحكي لكل بيئة في الإمارت لها لغتها ومفرداتها الخاصة، وهناك رافد مهم وهو رافد أصحاب المهن المختلفة، فلكل مهنة مفردات مخصوصة تعارف عليها أبناء المهنة وتأثر بها كل من جاورهم واحتك بهم. فدوماً كانت حاجة الإنسان لإيجاد مفردة تعبر عنه وتوصل ما يرمي إليه، أمر يلح عليه، لذلك ابتكر اللهجات المحلية، والتي أخذت تنمو وتتطور حتى صارت أشبه ما يكون بلغة محكية متعارف عليها بين أبناء المنطقة الواحدة، أو القبيلة الواحدة.

كما لعب تعدد القبائل العربية في الإمارات على ثراء المعجم المحلي لاستخدامهم مفردات متباينة لنفس المعنى، ما أدى إلى تنوع وتناغم لغوي ومعجمي في الإمارت. ومن المتعارف عليه أن الكلمة في اللغة العربية تطلق ويراد بها ثلاثة معان: المعنى المعجمي نحو بحر فهي عبارة عن المعنى المعجمي المكون لحروفها الثلاثة الباء والحاء والراء والتي تعني مياهاً متدفقة يحدها شاطئان، وغالباً ما يطلق على المياه المالحة.

أما المعنى المجازي والذي يراد به أمر بلاغي فنقول فلان بحر في الكرم كثير الكرم والنفع وبحر في العلم غزير علمه، وهكذا.

وبقي المعنى الثالث وهو معنى تصوري أو ذهني، أو الدلالي وهو ما تعارف عليه المجتمع، كتعدد أسماء الأسد والإبل والصحراء وكلها تعني نفس المعنى ولكن بأحرف مختلفة.

فمتى نقول بحر يأتي في ذهنك هذا البحر المتعارف عليه، خلاف أهل مصر فهو يعني عندهم النهر أيضاً حيث يطلقون على نهر النيل البحر. وأظن أن المجتمعات اتخذت من المعنى التصوري أو الذهني مادة ثرية لمعجمها الخاص الذي يميزها عن غيرها، بحيث اختاروا مسميات محكية أو متعارف عليها في مجتمعهم للتعبير عن دلالة ما. ومن هنا جاء التطور المعجمي لكل مجتمع.

بيد أن واضعي المعاجم اللغوية العربية ظلمت كثيراً بعض المجتمعات العربية ففي الإمارت مثلاً ونظراً لتقاربها الجغرافي ببلاد فارس وشرق آسيا، أهملت الكثير من مفرداتهم بحجة تأثرهم بتلك الحضارات، وهذا الأمر ينخلع على كثير من دول شبه الجزيرة العربية، ما أدى إلى انحصار اللهجات العربية المحكية على أصحابها، أو من اختلطوا بهم. ففي القواميس الإنجليزية متى تكررت الكلمة أكثر من ثلاث مرات في الصحف الرسيمة تضاف إلى القاموس ويعتبرونها إنجليزية، بغض النظر أن أصلها، وهذا لا يحدث في معاجمنا العربية، التي احتفظت بجموده أمام هذا التيار العاصف من المفردات والأساليب اللغوية الحديثة. اللهم بعض المبادرات التي تحدث على استحياء هنا وهناك، فتضاف كلمة أو كلمتين للمعاجم، تحت مسمى معربة، أو هجينة أو دخيلة. فاللهجة الإمارتية ثرية بمفرداتها التي صار متعارف عليها محلياً وعربياً وحتى عالمياً وهناك جهود كبيرة من قبل المهتمين بالتراث واللهجات المحلية لتوثيق هذه المفردات في معاجم، خاصة وهناك مؤسسات أولت للموضوع أهمية قصوى للحفاظ على الموروث اللغوي للإماراتيين على اختلاف قبائلهم ومناطقهم المنتشرة على طول البلاد وعرضها. فكما يرى الباحث والمؤرخ الدكتور فالح حنظل عن المعجم الذي دونه وجمعه من خلال

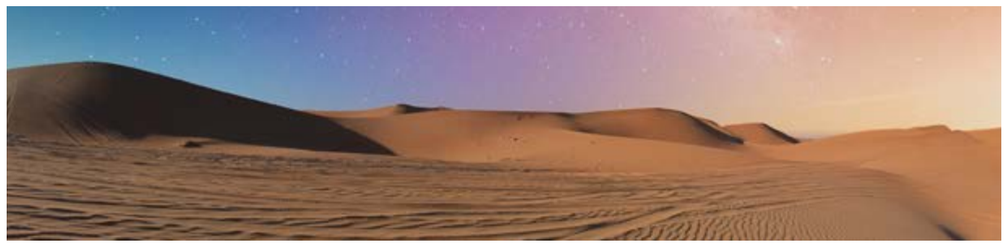

أبحاثه الميدانية واختلاطه بالكثير من القبائل: أن اختلاف اللهجات الإمارتية بحسب التوزيع الديموغرافي للسكان، فأهالي الظفرة القريبة من السعودية تتميز لهجتهم بمفرداتها العربية القوية. ومن ثم تخف وتختلف، كلما اتجهنا نحو الساحل الغربي ودبي وساحل عمان، حتى نصل الى لهجة قريبة من لهجة أهل عمان، وهي تسمى «المخالطة اللغوية».

وهناك عدة ظواهر لغوية وصوتية في اللهجات الإماراتية لعل من أبرز هذه الظواهر الصوتية كالقلب والإبدال نحو قلب القاف جيماً أو جيماً قاهرية نحو لهجات الساحل الشرقي فيقولون (الشارجة) بدلاً من الشارقة، وإن كانت هذه الظاهرة قليلة ولكنها موجودة. وكما يقول الباحث أحمد محمد عبيد في مؤلفه لهجات الإمارات (مقدمة ودراسات) أن الإبدال هي عادة شائعة تتأرجح بين لهجات الساحل الشرقي والغربي في حروف عديدة مثل إبدال الكاف شيناً وهو ما يعرف بالكشكشة. والكشكشة هي ظاهرة صوتية قديمة وهي إبدال الكاش شيناً أو إضافة شين بعد الكاف في مخاطبة الأنثى للتفريق بينها وبين الذكر في المخاطبة وقد عرفت هذه الظاهرة عدة قبائل عربية قديمة واشتهرت في قبيلتي مضر وربيعة ومازالت منتشرة في شبه الجزيرة العربية نحو عليكِ عليكش ورأيتكِ رأيتكش. وإبدال الألف عيناً وهي متفاوتة بين كبار السن نحو عرنب بدلاً عن أرنب، أو ما يعرف بالعنعنة وهي قلب الهمزة عيناً وهي ظاهرة منتشر بين قبيلتي تميم وقيس العربيتين، ومازالت مستعلة في وقتنا الحالي. وإبدال الظاء ضاداً نحو ضهر بدلا عن ظهر، أو دالاً نحو ركد بدلا عن ركض، وهكذا.

إلى جاني العديد من الظواهر الصوتية المنتشرة في اللهجات الإماراتية المختلفة، وكلها تتخذ من اللغة الأم مرجعاً لها، فهي ذات أصل لغوي عربي قديم ولكنه ظل مستعملاً حتى اليوم في بعض المناطق من دون غيرها، ولكن بتفاوت، فما يعلو هنا يختفي في مكان آخر والعكس. وفي حديثنا عن روافد لغوية استقت منها اللهجة الإماراتية معجمها إلى جانب لغتها الأمّ اللغة العربية، فكما يرى الباحث الدكتور عبدالعزيز المسلم، أن المجتمع الإماراتي تأثر كغيره من المجتمعات بتعدد الروافد والمنابع التي أثرت في معجمه المحكي بداية من اللغة الإنجليزية التي وفدت إلينا بحكم الاستعمار، واللغة الفارسية بسبب التقارب الجغرافي ببلاد فارس. كما تاثرت اللهجة المحلية بالبلوشية وهي لغة سكان جبال بلوشستان الواقعة بين باكستان وإيران.

واللغة الأردية هي اللغة الرئيسة في شبه القارة الهندية وتسمى لغة الجيش؛ لأنها لغة تفاهم عناصر الجيش المختلفة، وهي خليط من الهندية القديمة والفارسية والعربية، إلى جانب اللغة

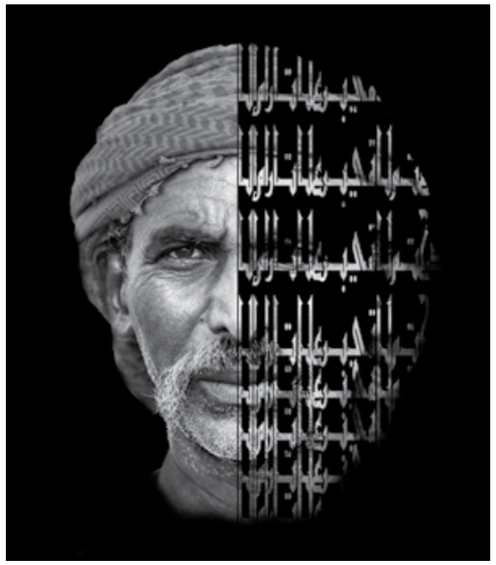

السواحيلية أو الزنجبارية وهي اللغة السائدة في شرق أفريقيا. وفي الختام نستشهد ببعض الكلمات الدخيلة على اللهجات الإماراتية وفق رأي المسلم:

كمتور سيارة وهي لفظة إنجليزية.

وزوليه سجادة جوليه وهي هندية.

جوتي والتي تعني حذاء جوتاه من الهندية

وخرده نقود معدنية خرده فارسية.

وخاشوكه وتعني ملعقة خاشوق كلمة فارسية

وبيزات بمعنى نقود بيساه كلمة هندية.

وهذا على سبيل الاستشهاد، وليس الحصر، فهناك العديد من الكلمات التي تتداول في وقتنا الحالي في كل بقاع العالم، وليست من أصل اللغة الأم لأي مجتمع، ولكن الترادف والتماهي اللغوي جعل اللغات تتداخل في مجتمع واحد، وهذا بالطبع جعل اللهجة الإماراتية لهجة عربية خالصة ولكن بإضافات لغوية من حضارات وعواصم أخرى، دخلت إلى معجم الإمارات المحلي، بحكم التجارة والتلاقح الفكري والثقافي بين كافة الحضارات المجاورة، أضف إلى ذلك تعدد اللغات التي تظلها سماء دولة الإمارات صنعت أيضاً معجماً خاصة للتفاهم بين جميع الجنسيات واللغات وهو ما يطلق عليه اللغة البيضاء، وهي لغة تعتمد على استخدام مفردات متعارف عليها محلياً وعالمياً، حتى صارت جزءاً لا يتجزأ من اللهجة المحكية في الحياة اليومية ■

دورة الثقافة في التنمية المستدامة

د. حامد بن محمد خليفة السويدي
رئيس مجلس أمناء مؤسسة أبوظبي للفنون

إن نمط الحياة وأسلوب التعبير في المجتمع يعكس ثقافته في حين تعتبر الثقافة بمثابة القالب الذي يضم العادات، التقاليد، الأعراف، القواعد، الطابع الروحاني، الفكر والتعبيرات الفنية المختلفة والتي من شأنها كلها أن تعبر عن شعبها للعالم الآخر على المستوى الإقليمي والعالمي. وتلعب الثقافة دوراً آخر وهو منح هوية خاصة لشعبها ويبرز ذلك واجب الدول والحكومات في ضمان توفير كافة سبل الاهتمام والرعاية بالتنشئة الاجتماعية والثقافية. فالثقافة المفعمة بالحياة تساعد الأفراد على التعرف على أنفسهم واستيعاب ما يميزهم وترسيخ تقبل مبدأ الاختلاف عن الآخر. ومن المهم جداً استيعاب وتقبل الاختلافات والفوارق الحاصلة بين الثقافات فهناك اختلافات من الثقافات الموجودة في نفس حدود البلد نتيجة وجود اختلافات اجتماعية، وتسمى هذه الحالة بالثقافات الفرعية التي تمتد إلى ثقافة البلد الأساسية الأم. وتقوم الثقافة بدورها في المجتمع بصورة أكثر فاعلية من خلال وجود تنسيق في الاستراتيجيات والاجراءات التي تشمل التنمية الاجتماعية والاقتصادية والاستدامة البيئية والتماسك الاجتماعي والسلام والأمن وبالحديث عن الاستدامة لا بد من التنويه عن الالتزام الخاص بتحقيق أهداف التنمية المستدامة، وهي عبارة عن اتفاق وقعته 193 دولة حول العالم في اجتماع الأمم المتحدة عام 2015 ويضم 17 هدفاً يتم خلالها معالجة القضايا الاستراتيجية ذات الطابع العالمي والمتعلقة بالتنمية. ولكن لا يمكن اعتبار التنمية مستدامة إذا لم تشمل على قدر كافٍ من الثقافة. في حين ترتكز الاستدامة على ثلاثة مجالات رئيسة هي الاجتماعية والبيئية والاقتصادية، فهي تظهر في هيئة غير مكتملة، وحتى تكتمل هيئتها فإنه لابد من اعتبار الثقافة الركيزة الرابعة لها. والثقافة هي الجسر المتين الذي يربط ما بين الإنسان والنظم البيئية الطبيعية، ولكنها في الوقت ذاته تلعب دوراً أساسياً في التنمية، فهي بمثابة الغاية والوسيلة في آن واحد. وتقوم العلاقة بين الثقافة والتنمية المستدامة على وجهتين أساسيتين. حيث ترتبط إحداهما بالسياسات العامة، في حين تتوافق الأخرى مع القاعات الثقافية كالتراث المادي وغير المادي والإبداع والصناعات الثقافية والفن والسياحة الثقافية.

بسياق آخر، يجب الأخذ في عين الاعتبار بالبعد الثقافي في جميع القطاعات والإجراءات المرتبطة بجدول الأعمال وتحقيق أهداف التنمية المستدامة. وأنه من الضروري العمل على دمج البعد الثقافي في كافة مجالات التنمية المختلفة على سبيل المثال التعليم والتكنولوجيا والصحة والاتصالات والبيئة والتجارة والعدالة. ولضمان المضي قدماً في هذا السياق فإن الحاجة تقضي إلى ضرورة إنشاء آليات للحوار والتنسيق بين القطاعات المختلفة وضمان توفير كافة أشكال الدعم المؤسسي لتنفيذها بما يعود بالنفع والنتائج المثمرة على السياسة الثقافية.

وتلعب السياحة دوراً مهماً حيث إنها نشاط ذو طبيعة ثقافية واجتماعية ولكن له بعد وتأثير اقتصادي. وتعد السياحة الثقافية الاجتماعية بمثابة محرك أساسي في عملية التنمية المستدامة، إذا تم تنفيذها عبر سياسات من شأنها الحفاظ على التراث والتعليم والفنون والصناعات الثقافية والإبداعية برؤية شاملة وعالمية، ويفترض إن يكون هناك توجهات لوضع اتفاقيات ثقافية ومراجع قانونية في هذا الشأن.

ولابد من الأخذ بعين الاعتبار الاستفادة من الفرص التي توفرها المسارات الثقافية كاستراتيجيات التعاون بين مختلف القطاعات والكيانات والأبعاد، وخلق علاقات تعاون وتضامن بين مختلف الأقاليم، وتعزيز روح التكامل والانفتاح على آفاق ثقافية جديدة. مع إمكانية تطوير هذا التعاون ونقله من المستويات الدنيا للتعاون كالمستوى الوطني والإقليمي إلى المستويات العليا للتعاون كالعالمي. الأمر الذي يعني توفر القدرة على بناء نماذج جديدة للتعاون بين مختلف القطاعات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وتعزيز مشاركة الحكومات والكيانات والأفراد في تصميم وإدارة وتحسين السياحة المستدامة حول العالم.

وحتى نتمكن من تذليل التحديات واغتنام الفرص في سبيل الوصول إلى التنمية المستدامة، فإنه يجب العمل على تطوير سياسات وإجراءات تراعي دور الثقافة وتقدر التنوع الثقافي وتعمل على حماية وصون التراث الثقافي بالإضافة إلى احتواء كافة أشكال التعبير الفنية والمعرفية ■

جزيرة اللاعودة - واحة سيوة

ضياء الدين الحفناوي

لم يعد بعض المسافرين من واحة سيوة أبدًا.وهذا لا علاقة له بأخطار الصحراء المصرية بل بالمكان الذي يبدو أنه مستوحى من كتاب حكايات خرافية. فسيوة لا تجذب سكانها فحسب، بل تجذب أيضًا المسافرين والرحالة وبعضهم لا يتركها بعد ذلك، فالجزيرة الخضراء مع البحيرات المتلألئة في الرمال اللامتناهية بعيدة جدًا عن العاصمة المصريه بكل صخبها لدرجة أن الزوار لا يعتقدون فقط أنهم في عالم مختلف، ولكن أيضًا في وقت مختلف.

واحة سيوة التي على أعتاب بحر الرمال العظيم، ومناظرها الطبيعية الخلابه من الرمال والتي تشكل الجبال جنبًا إلى جنب منظر الصحراء الشاسعة وتقع واحة سيوة على بعد 350 ميلاً تقريبًا من القاهرة، شرق الحدود الليبية، وهي واحدة من أفضل واحات الصحراء الغربية في مصر بآلاف أشجار النخيل والينابيع الساخنة الرائعة وكان الوصول اليها شاقاً في الماضي حتى عام 1980 عندما تم الانتهاء أخيرًا من شق طريق سريع يربطها بمدينة مرسى مطروح الساحلية وقبل ذلك كانت معزولة تمامًا عن بقية البلاد. وتم إدخال تقنيات مثل التلفزيون والهواتف مؤخراً نسبياً والإنترنت فقط خلال السنوات القليلة الماضية وهناك عدد متزايد من الفنادق التي تتراوح من النزل الاقتصادية إلى النزل البيئي من فئة 5 نجوم في الواحة، وأصبحت تجارة السياحة الآن متجذرة بقوة كجزء من الاقتصاد المحلي، ولكن هذا لم ينجح في التأثير على جوهر الحياة في سيوة حتى يومنا هذا، لا تزال سيوة مجتمعاً محافظاً للغاية وينصح الزوار باحترام قيمهم الثقافية المحلية مثل أن الكحول محظور ونادراً ما تُرى النساء المحليات خارج منازلهن. وجاء في مخطوطات المقريزي أن العرب أطلقوا عليها «الواحة الأقصى»، بينما يرجح بعض المؤرخين أن اسم «سيوة» جاء من «تنسيوه»، وهو الاسم الذي أطلقه عليها المؤرخ التونسي عبد الرحمن بن محمد بن خلدون في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، وهو إشارة إلى اسم لفرع من قبائل «الزنتانه» في شمال إفريقيا.وفي العصور القديمة اشتهرت سيوة بمعبد (أوراكل) الذي يعود تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد وكان مشهوراً في جميع أنحاء العالم المتوسط وتقول الأسطورة ان الإسكندر الأكبر جاء إلى سيوه ليسأل عن مصيره وما إذا كان بالفعل ابن زيوس أم لا، كما أخبرته والدته أن الإسكندر طلب من جنرالاته دفنه في سيوة بمجرد وفاته ولا تزال أنقاض معبد أوراكل مفتوحة للزوار حتى يومنا هذا. وحتى عام 1926 عاش جميع سكان الواحة في قلعة من الطوب اللبن تعود إلى القرن الثالث عشر في وسط المدينة تُعرف باسم شالي، لكنها دُمرت تماماً بسبب عاصفة ممطرة غزيرة استمرت 3 أيام. ودائمًا ما يكون الطقس في سيوة جيدًا ومشمساً للغايه ومع ذلك هناك أوقات من العام يكون من الأفضل الحضور فيه أكثر من غيره ويُنصح بزيارة سيوة في أشهر السنة الباردة من أكتوبر إلى أبريل حيث يمكن أن تكون درجة الحرارة في الصيف شديدة الحرارة. وتتميز سيوة بأنها أكثر من مجرد مناظر خلابة فهي تحمل ثقافة خاصة بها ويتحدث سكان سيوة المحليون لغتهم الخاصة والتي تشبه اللغة التي يتحدث بها البربر (شعب الصحراء من أقصى الغرب) وأيضا اللغة العربية المصرية. واحة سيوة هي واحدة من أكثر واحات مصر غموضاً وتتميز واحة سيوة بمجموعة متنوعة من الأشياء للقيام بها وأماكن للزيارة ومعالم جذب فريدة من نوعها وأصبحت (قلعة شالي) منطقة جذب سياحي، حيث يتسلق الزوار التلال المنصهرة من الطين والملح حتى يتمكنوا من الحصول على لمحة عن منظر بساتين التمور والزيتون التي تمتد لأميال في كل اتجاه في الواحة ويوجد ايضاً ما عرف باسم حمام كليوباترا أو (مسبح كليوباترا) وهو عبارة عن مسبح من أحجار الينابيع الطبيعية حيث يستمتع السكان المحليون والسياح بفوائد الحمام الربيعي على الرغم من عدم وجود دراسات تدعم العلاقة بين هذا النبع والملكة كليوباترا إلا أن جمال الموقع في ينابيع كليوباترا ينصف بالتأكيد اسمه المنسوب للملكة الفرعونية العظيمة التي اشتهرت بجاملها وقوة شخصيتها ونظرًا لكونه أحد أفضل المسابح الطبيعية يستحم العديد من السكان المحليين في المنطقة ويزورون المسبح بشكل متكرر. وتعد أيضاً البحيرات المالحة من أجمل المناظر في سيوة، ولا ينبغي تفويتها مع المياه النظيفة والشفافة الخضراء وتجذب البحيرات المالحة الناس إلى سيوة على مدار السنة مع فائدتها الصحية لتركيزها العالي من الملح والاستمتاع بالطفو والسباحة في بحيرات سيوة المالحة أمر لا يمكنك تفويته. ويعد أيضاً متحف (بيت سيوة) مكانًا رائعًا إذا كنت تحب الفن والتاريخ والذي يعرض الكثير من القطع الأثرية الحقيقية لسكان سيوة القدماء. ويمنحك المتحف نظرة فاحصة على تقاليد سيوة القديمة والعادات المحلية والتي تُظهر الكثير من عناصره في المعرض تقاليد زفاف سيوة والتي من المعروف أنها تستمر لمدة 7 أيام حيث كانت العروس ترتدي زيًا خاصًا صنع يدوياً بألوان جميلة ومبهرة ونقوش مميزة تعكس الإرث الثقافي للسكان المنطقه. وتمتاز الواحة أيضاً برمالها البيضاء الساخنة التي لها من الخواص ما يجعلها قادرة على علاج الكثير من الأمراض الروماتيزمية وآلام المفاصل وآلام العمود الفقري. وتتميز أيضاً بالعيون الطبيعية والمياه الساخنة بالواحة وتنقسم إلى نوعين مياه ساخنة عادية ومياه ساخنة كبريتية وتلك المياه الكبريتية تستخدم علميًا على نطاق واسع في العالم حيث يتم معالجة نوع خاص من الطين بهذه المياه ويتم استخدامها في علاج الكثير من الأمراض الجلدية ومشاكل البشرة، كما يمكن استخدامها أيضاً في علاج الجهاز التنفسي. وعامل الطقس له دور في غاية الأهمية حيث يتميز بالجفاف وخلوه من الرطوبة مما يساعد كذلك على عمليات الاستشفاء والعلاج خاصة ممن يعانون من أمراض الجهاز التنفسي. كما أثبتت الدراسات والأبحاث أن الرمال الموجودة بجبل الدكرور بمنطقة سيوة تحتوى إشعاعات تساعد في علاج مرض الروماتيزم وشلل الأطفال والصدفية والجهاز الهضمي، حيث يفد إليها عدد كبير من السائحين العرب والأجانب وكذا المصريين للدفن بها للاستشفاء خلال شهري يوليو وأغسطس من كل عام، كما أن عين كيفار تماثل منطقة بئر «كارلد فيفارى» أحد المنتجعات العالمية التي تستخدم في العلاج

من أجل هذه الميزات تعتبر واحة سيوة منتجعاً طبيعياً للاستشفاء وقبلة لطالبي العلاج، وقد اكتشف القدماء منذ القدم مقومات السياحة العلاجية في تلك الواحة كما أنها بشهادة المتخصصين عالميًا تعد المكان الأمثل في العالم لهذا النوع من العلاج ■

واحة سيوة مصر

معجزة الحب: الإمارات في عيدها الخمسين

شعر: سلفانا سلمانبور*
ترجمة: د. شهاب غانم

خمسون عاماً من العمل
خمسون عاماً من الحب
خمسون عاماً من الجهد الدؤوب نحو التألّق
هؤلاء القادة الحكماء
هؤلاء الشرفاء
بشغف وقيادة حكيمة
راكضين مع خيول المعرفة والرغبة
يعبرون الجروفَ في وحدةٍ وتآخٍ
نهضوا وانطلقوا
من الخنادق القديمة
حتى وصلوا إلى الحداثة بطرق جديدة
قبل أكثر من ثلاثين عامًا
بدأت أراقب تلك الأيام الصعبة الطموحة
رأيت كيف استخدم الفن والفكر في القيادة والسلطة
ومع كل قفزة ، وصلوا إلى حديقة خضراء
مليئة ببراعم الازدهار
لقد شاهدت عبور تلك المنحدرات الصعبة
وشاهدت ازدهار أهداف لا تقاوم
أنني شاهدة حقيقية على تلك اللحظات النقية
في صناعة المجد مع كل محبي السلام
وفي أيام هذا اليوبيل الذهبي لهذه الأرض المباركة
حيثما كان الهدف هو الوحدة والسلام والصداقة
حيثما كانت هناك خطوة نحو الخير والنقاء والبشر
ذلك هو المكان الذي توجد فيه جنة من جنان الحب
جنة على الأرض
ابقوا صادقين وممتعين وفخورين يا أحبابنا الأعزاء
هذا هو الطريق السريع لتحقيق الأحلام
إنها معجزة من معجزات القرن.

*سلفانا سلمانبور شاعرة من إيران تسكن في الإمارات منذ أكثر من 30 عاما ولها عدد من الدواوين الشعرية كما ترجمت إلى الفارسية مختارات من شعر شهاب غانم تحت عنوان «أمواج»

أبوظبي شعرًا

الرحلة الشابورية لـ «ذي الرياستين»

محمد عبد العزيز السقا

أبوظبي شعرًا
الرحلة الشابورية لـ «ذي الرياستين»

محمد عبد العزيز السقا

تلك الرحلة التي جعلتني أمارس فعل الدهشة من جديد، إذ كيف يتمكن الرجل من صياغة رحلته شعرًا، وبالأحرى أرجوزة بالفصحى زادت عن الثلاثمائة بيت.

رحالة وشاعر كويتي قديم، يدعى زين العابدين بن حسن باقر زار أبوظبي في رحلة ابتدأها من عربستان إلى أبوظبي في العام 1936م. كان شاعراً جوالاً مشهوراً في بلده وعصره يكتب الشعر باللغتين العربية والفارسية. أما أرجوزته هذه فقد نظمها إثر رحلة ما بين الكويت وأبوظبي عبر بعض الجزر الإيرانية، استقبله خلال رحلته الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان في عام 1936 وقد شملت رحلته عدة أماكن، وحُققت أبيات أرجوزته الطويلة في وصف رحلته إليها وتفاصيل الحياة في أبوظبي في تلك السنة، في أيام عيد الأضحى، وذكر فيها الذبائح والبلاليط وأصناف أطعمة أكلها في أبوظبي مثل العرسية والهريس والثريد، ومجامر البخور، والقهوة ومجالس الشيوخ، وبيوت وجهاء أبوظبي ومساجدهم وبيوتهم الجديدة.

لتصبح ثالث النصوص المحققة الفائزة بجائزة ابن بطوطة لأدب الرحلات العام الماضي، يعمد الباحث الإماراتي سلطان العميمي إلى مخطوط الرحلة بعد أن عثر عليه بطريقة دراماتيكية، ليقوم بكشف النص ودراسته، فينقلنا إلى وقائع وأحداث مهمة تنتمي إلى ما قبل قيام دولة الاتحاد على أرض الإمارات.

في التناظر بين أدب الرحلة العربي والغربي، ليس الفارق هو نقطة، فإذا كان أدب الرحلة الغربي نمّط الشرق والشرقيين، عَبْرَ رسمِ صورٍ بمخيّلةٍ جائعةٍ إلى السِّحري والأيروسيّ والعجائبيّ، فإنّ أدب الرحلة العربي إلى ذاته وإلى العالم، تتبع ملامح النهضة، وتطوّر العمران، ومظاهر العصرنة، وفي نمط العيش والبناء الاجتماع والحقوق، فقصد الرحالة العرب تكحيل عيونهم بصور الجمال، مدفوعين، غالباً، بشغف البحث عن الجديد، وبالرغبة الجارفة لا في الاستكشاف فقط، وإنما من بابِ طَلَبِ المعرفة، واستلهام التجارب، ومحاولة الأخذ بمعطيات التطور، واقتفاء أثر الآخر.

رحلة شاعر كتبت نظماً، جاءت ضمن الدراسة الوازنة التي وضعها المحقق سلطان العميمي عن أن زين العابدين هذا كان شاعراً جوالاً ورحالة يتكسب من الشعر، ومن الأسباب التي حدت بالمحقق إلى التعامل مع أرجوزة «علل الرحلة الشابورية» أنها تكشف النقاب عن ملامح المشهد الاجتماعي في إمارة أبوظبي في ثلاثينيات القرن الماضي، تصف الحياة الاجتماعية، لاسيما أيام

الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان

زين العابدين بن حسن باقر

العيد، وتعزز المعرفة بمرحلة التحول الاقتصادي في الإمارة، حيث صادفت السنة التي زارفيها الشاعر أبوظبي السنة التي وقع فيها الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان، أول اتفاقية للتنقيب عن النفط في أبوظبي. جل أعمال ذي الرياستين ذات الطابع الرحلي مفقود، وهي «بهجة الناظر في أحوال المسافر»، «الرحلة العمانية»، «الرحلة القطرية»، «الرحلة العبادانية»، «الرحلة الهندية»، إلى جانب «علل الرحلة الشابورية». وبلغ عدد الأبيات التي قالها الشاعر زين العابدين في وصف رحلته لإمارة أبوظبي ثلاثمائة وسبع وخمسين بيتاً. خصص لها المحقق في دراسته فصلاً في قالب سردي على شكل يوميات ذا طابع نثري، اضطر المحقق إلى إعادة ترتيب الأحداث فيها بما يتوافق مع تسلسلها وحدوثها يومياً من دون التقيد بترتيب أبياتها في الأرجوزة.

اسم «الشابورية» وفق ترجيح المحقق منسوب إلى بندر «شابور» الذي يقع على السواحل الشرقية للخليج العربي، في عربستان، أو محافظة «خوزستان» في التسمية الفارسية، ومركزها مدينة الأهواز، المعروفة بسكانها العرب. ومنها بدأ الشاعر رحلته.

وعلى الرغم من أن الشعر احتل مكانة خاصة في منطقة الجزيرة العربية، إلا أن وصف الرحلات لم يكن غرضاً مطروقاً في الشعر، وهذا يضعنا أمام أهمية إضافية تحسب لهذه الرحلة، نظراً

لندرة القصائد التي كتبها الشعراء لوصف رحلاتهم ويومياتهم في الأسفار بتفاصيلها المختلفة، مقارنة بما وصل إلينا من أدب الرحلات في القالب النثري المعتاد.

أبوظبي إبان رحلة زين العابدين

تنسج الرحلة خيوطها في عقد الثلاثينيات والشركات النفطية تتسابق لسبر أغوار رمال الجزيرة العربية بحثاً عن الذهب الأسود، شيوخ إمارات أبوظبي ودبي والشارقة ورأس الخيمة يمنحون الإذن لإجراء المسح الجيولوجي لسطح الأرض، بينما يتم الشيخ شخبوط بن سلطان بن زايد آل نهيان ثماني سنوات على توليه مقاليد الحكم في الإمارة، ويعلن توقيع الاتفاقية النفطية الأولى، يزامنها أعمال توسعة قصر الحصن، ويستقبل الشيخ سعيد بن مكتوم آل مكتوم يرافقه عدد من وجهاء دبي للتفاوض حول الحدود.و هنا يمسك الشاعر زين العابدين قلمه المثقوف - وقد كان خطاطًا ماهرًا أيضاً - ويكتب أرجوزته ليصلنا منها فيما يخص أبوظبي ثلاثة عشر لوحًا، يضم كل لوح صفحتين (اليمنى واليسرى)، مما يعطي انطباعاً أن المخطوطة الأصلية دُوّنت في دفتر أو كراسة من القَطع الصغير، ويتراوح عدد الأسطر التي ضمتها كل صفحة من المخطوطة بين 12 و20 بيتاً، كتبت بخط أنيق وواضح، وبتشكيل طال أغلب حروفها. لتكون: علل الرحلة الشابورية!.

«الشابورية» نسبة إلى الميناء الذي انطلقت منه رحلة الشاعر، وهو بندر «شابور» على السواحل الشرقية للخليج العربي، في عربستان، (محافظة «خوزستان» في التسمية الفارسية)، ومركزها مدينة الأهواز المعروفة بسكانها العرب. أما مفردة «عِلَل» التي بدأ بها العنوان فقد خلص العميمي إلى أنها تشير للمصاعب التي واجهت الرحالة طوال رحلته.

خط سير الرحلة:

- المغادرة من ميناء بندر شابور إلى بندر خور دبي. ومنها إلى أبوظبي.
- نوع السفينة التي نقلته إلى أبوظبي: جالبوت. - تاريخ المحاولة الأولى للانطلاق نحو أبوظبي: 7 ذي الحجة 1354هـ الموافق 17 فبراير 1936م. - نوخذة السفينة: شانبيه البلوشي.
- المغادرة من أبوظبي إلى جزيرة دلما: 1 مارس 1936م. ثم - مغادرة جزيرة دلما في 3 مارس 1936م.

سلطان العميمي

دون الشاعر مشاهداته عبر أبيات الأرجوزة، وصف فيها الأمطار التي صادفت وجوده في دبي، ووصف تلذذه فيه مع رفاقه بطعم الرمان الشيرازي ونكهة القهوة العربية في مجلس أحد الوجهاء. ثم نقل إلينا ترقبه وصول أي خبر عن سفينة متوجهة إلى إمارة أبوظبي لينضم إليها، حتى أخبره صديقه عبدالله بن حسين الإحسائي بأن «الجالبوت» في انتظارهما في المساء، أشعل الشاعر موقد الكيروسين الصغير الذي جلبه ليحظى بالشاي الذي كان يفضّل شربه مُركّزاً بطريقة «التخدير»، ثم اتخذ مكاناً له على فنّة السفينة، وبدأ في احتسائه حيث أمضى أربع ساعات جالساً على الفنة بصحبة إبريق الشاي الذي ساعده على إبقاء مزاجه في حالة طيبة في أثناء ساعات انتظاره الطويلة قبل تحرك «الجالبوت» وانطلاق الرحلة.

التي ستلغى بسبب ضعف الرياح التي هبت في تلك الليلة، لتكشف لنا الرحلة جانبًا من العلل التي كانت تواجه المسافرين في ذلك الوقت اعتمادًا على رياح تدفع السفينة، وأجواء لابد وأن تكون مواتية، قضى الرحالة ليلته في الجالبوت مع البحارة، وفي الصباح جاءت الرياح بما تشتهي السفن فأمر النوخذة شانبيه البلوشي، برفع الأشرعة واتخذ طريقه في البحر إلى أبوظبي، في المساء وصلت السفينة قرب بندر أبوظبي لكن الرياح هدأت، والليل حل، وحجبت الغيوم ضوء القمر، فأخطأ الربان في تقدير نقطة الرسو، فاصطدمت السفينة بحد الجمل (لسان رملي)، ولم يكن أمام النوخذة إلا التوجيه بإنزال مرساة السفينة في المكان الذي توقفت فيه كي لا تحرّكها الأمواج ليلاً وكان على الجميع انتظار نور الصباح في اليوم التالي.

وكان هذا يوم التروية 8 ذي الحجة. في فجر التاسع من ذي الحجة لم تبد في الأفق رياح الكوس أو البرّي وبقيت السفينة في محلها إلى وقت الضحى، حتى هبت رياح مواتية حملت السفينة إلى مأمنها ورست ظهرًا في مرفأ بندر أبوظبي الفسيح، وقضيا يومها في ضيافة الحسن بن عبد الله الخليفة وحسين بن عبد الله الحمّود حتى أنساهما الكرم علل الرحلة.

مقصد الرحلة:

ضمن أجواء شتوية باردة، وفي فجر اليوم التالي الموافق أول أيام عيد الأضحى، استيقظ الشاعر زين العابدين مبكراً، لأداء صلاة العيد، لكن عقله كان يعمل كماكينة غزل نشطة لنسج وتأليف قصيدة مدح يبارك فيها للشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان حاكم إمارة أبوظبي بمناسبة العيد. اتجه الشاعر مع ستة من رفاقه نحو قصر الحصن، للقاء الشيخ شخبوط بن سلطان وعمه الشيخ خليفة بن زايد الأول اللذين كانا قد اتخذا موضعهما في «دكّة الحصن»، وقد توافد الناس لمعايدتهما، وسط أجواء من

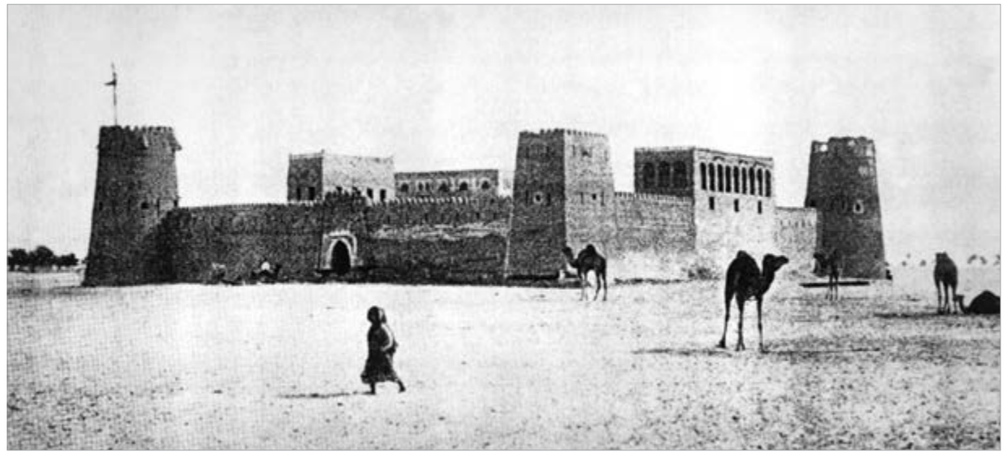

الفرح والمودة، تصاحبها فناجين القهوة التي تدور بين الضيوف، وما أن حصل شاعرنا على الإذن بإلقاء قصيدته حتى انطلق لسانه بالثناء على الشيخ والدعاء له ولوالده الشيخ سلطان، وقد أعجب الشيخ بالقصيدة وشكره عليها، وأخذ بيد الشاعر مع مجموعة من الرجال، إلى أحد غرف القصر حيث كان الطعام في انتظارهم، تلاه القهوة، ثم انطلقوا رفقة الشيخ شخبوط إلى مجلس الشيخ خليفة العامر بالأثاث الفاخر، وأطباق الهريس والحلوى والقهوة ومجامر الطيب والبخور. كان على الشاعر أن يتجهز للقصيدة التالية والتي ستكون من نصيب الشيخ خليفة في ثاني أيام العيد، وبعدها تلقى دعوة من أحمد بن خلف العتيبة، في مجلسه العامر وعندما ذهب وجد الشيخ شخبوط قد حل ضيفاً على المجلس وهناك وصف ما قدم له مما لذ وطاب من أصناف الأطعمة وذكر

البلاليط التي تعتبر من الموروث الشعبي الإماراتي، ومنه إلى تلبية دعوة التاجر عتيق بن راشد المهيري الذي كان قد فرغ من تشييد بيته الجديد ووصف لنا سقفه المزخرف، والمسجد الذي شيده في الحي وجهز ابنه محمد وزواجه، مما أثار قريحة الشاعر فكتب قصيدة في ابن عتيق وأهداها إليه في ورقة منقوشة بماء الذهب، ومزخرفة باللون الأحمر، واستلم ابن راشد القصيدة منه ووضعها في علبة حجرية فاخرة، كما تلقى هدية من الشيخ شخبوط والشيخ خليفة، ولم يتمكن الشاعر من اللقاء بالشيوخ الأشقاء هزاع وخالد وزايد بن سلطان آل نهيان الذين كانوا في رحلة قنص في بادية سويحان والعين لكنه ذكرهم بالثناء في قصيدته متمنياً لو كان قابلهم ومعلنا العزم على زيارتهم، وقال عن الشيخ زايد رحمه الله:

و«زايـــــد» الموســومُ باســمِ جَــدِّهِ
مَن كـــان مشهـــوراً بوافـــي مَـــدِّهِ
شقيقُ «شخبـــوط» و«هـــزّاع» البطلْ
عضيـــدُ «خالدٍ» إذا قـــال فعَـــلْ
يـــا ليتـــني أدركـــتُ بالمواجهَـــةْ
سعـــادةً تزهـــو بنفـــسٍ رافِهَـــةْ
إنْ قسَـــمَ اللـــه لهـــذا الداعـــي
لا بُـــدَّ أن أزورَهـــم يـــا واعـــي
لأنهـــم مـــن عـــرَبِ العَرْبـــاءِ
مـــن «الفـــلاحِ» الســـادةِ الأكْفـــاءِ
فاســـألُ اللـــهَ حيـــاةً طيّبـــةْ
لـي ولهـــم فـــي حالـــةٍ مُسيَّبَـــة

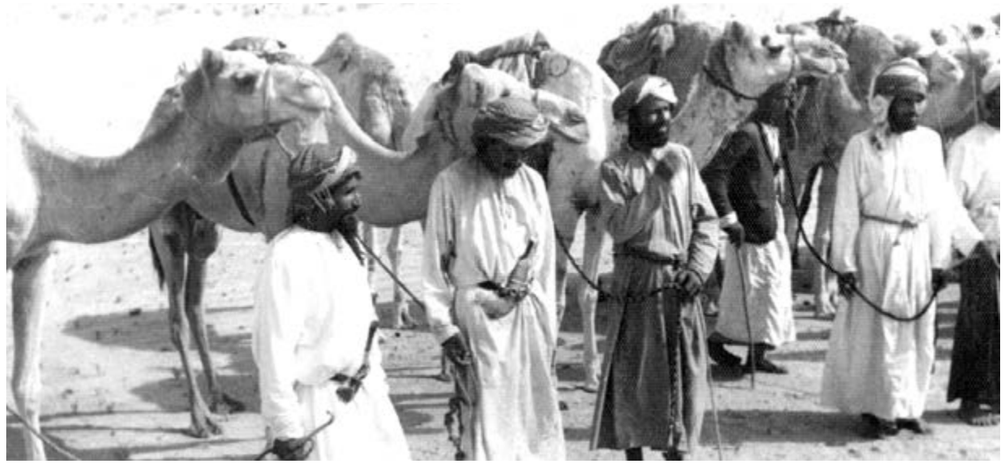

لم تنته الرحلة، بأفراحها وعللها، ففي انتظار الرجل أمور كثيرة، يحكيها في أرجوزته الطويلة، ضمن تفاصيل ماتعة لكل من يهوى العيش في صحبة الماضي ولكل من لديه الشغف لمعرفة العادات والتقاليد التي كانت في ذلك الوقت، ليس دونك ودونها إلى أن تقطع الرحلة رفقة سلطان العميمي عبر صفحات الكتاب الذي حاز ثقة لجنة جائزة ابن بطوطة فاستحق جائزة تحقيق المخطوطات. ويستمر القارئ في استكشاف تفاصيل الأرجوزة وما لاقاه من أمر السنبوك، وانكسار الفرمن في المركب، وأحد رجال العبرية الذي توفى بمرض أصابه وكيف غسل ودفن، ثم زيارته جزيرة دلما ومروره بجزيرة بني ياس، لتتراقص هذه الأسماء في ذهنك وأنت تسير في شوارع أبوظبي اليوم وترى إلى أين وصلت هذه المدينة ليبقى أدب الرحلة جسرًا بين الماضي والحاضر.

من الأرجوزة (الرحلة):

أحضَـــرَ رُمّانـــاً مـــن الشـــيراز
والقَهـــوةَ السّمـــراءَ بالإعـــــزازِ
كُنّـــا على عـــين السّـــرُورِ والهَنـــا
بمَجلـــسٍ أذْهَـــبَ عَنّـــا الحَزَنـــا
فاجْتَمَـــعَ الأصحـــابُ والأحبـــابُ
ببَهجـــةٍ يحقّهـــا استِرحـــابُ

ويقول عن مشهد اجتماع الناس في قصر الحصن يوم العيد:

واجتمـــعَ الجَـــمُّ الغَفـــيرُ بَعدمـــا
قَد جلســـا الشِيخانُ لمّـــا قَدُمـــا

دنـــوتُ منهمـــا إلـــى المُعايـــدَة
فرحّبـــا وقـــد رأيـــتُ فائـــدةْ
فأقبَـــلَ النـــاسُ إلـــى الســـلامِ
بيـــومِ عِيـــدٍ بِحضـــورٍ عـــامِّ
فانْسَكَـــبَتْ قهوتُـــه المُرقرقـــةْ
بِدلَّةٍ صَفـــراء تزهـــو مُشرِقـــةْ

وعن الطعام والذبائح والكرم في ذلك اليوم يقول:

وكـــان يوم العيـــد ينحـــر الإبـــلْ
ويُطعـــمُ النـــاسَ بطبـــخٍ مُتَّصِـــلْ
فلـــم يَزالُ النـــاسُ تمشـــي للغِـــذا
والكـــل فيمـــا رامَـــه تَلَـــذَّذا

ويقول:

ثـــم أتَـــوْا بقَهـــوةٍ مُوقَّـــرَهْ
فانسَكَـــبَت مـــن بعـــدِ تلك الفقـــرَهْ
وانصـــرف الكـــلُّ إلى المنـــازِلِ
علـــى سُـــرُورٍ يـــومَ عيـــدٍ كامـــلِ
وبعـــد هـــذا انصَرفنـــا بالعَجَـــل
إلـــى «خليفـــة ابن زايـــد» الأجـــلّ
فَقَدّمـــوا الأطعمـــة النّفيســـةْ
يَشْمَلهـــا «الحلـــوى» مـــع «الهريســـةْ»
لَمّـــا التَذَذْنـــا بِطعـــامٍ فاخِـــرِ
أُحضِـــرتِ القَهـــوةُ بالمجامِـــرِ
ففـــاحَ نشـــر الطيبِ للأطايـــبِ
فَمـــا لذاك الأمِـــر مـــن مُعـــايبِ

وعن مجلس العتيبة يقول:

نَعَـــم دَخَلـــتُ مَجلِســـاً مُحتَرَمـــا
لـــ «أحمـــدَ بنِ خَلَفٍ» قـــد عَظُمـــا
يـــومَ الخمـــيس ضَحـــوةً دخلتُـــهُ
معـــي نظـــامُ الشعـــر قـــد حَملتُـــهُ

ثم يمضي بالوصف:

فاحضَـــرَ المائـــدةَ المكمَّلَـــهْ
بهـــا «البَلاليـــطُ» بـــدون عَجَلَـــه
وأحضـــرَ الأنـــواعَ للأكابِـــرِ
مـــن كـــل شـــيءٍ في مكـــانٍ فاخِـــرِ

وعـن وفـاة الرجـل ودفنـه فـي البحـر:

حتّى وَصلنـــا ساحـــل «الدّلْمـــا» علـــى
تَيســـيرِ أمـــرٍ قَـــد أتـــى مُكمّـــلا
وَمـــاتَ واحـــدٌ مـــن العِـــبْرِيَّةْ
مـــن مَرَضٍ قـــد كـــان قبـــلَ الجَيَّـــةْ
فَغَسَّلـــوهُ قبْـــل تَفصِيـــلِ الكَفَـــنْ
صَلّـــى عَليـــه المُسلمُـــونَ في حَـــزَنْ
وأوْدَعـــوهُ البَحـــرَ في وَقـــتِ الضُّحـــى
كَيْـــلا يَجيـــفَ جِسْمُـــه تَوَضُّحـــا
فَلَـــمْ يَـــزلْ يَجـــري بنـــا «مَشْهُـــورُ»
والفِعـــلُ مِـــن رُبّانـــهِ مَشكـــورُ

وإلى اللقاء في رحلة قادمة

النوافذ البحرية ومخاطر المدى المفتوح

في القصة الإماراتية القصيرة

أحمد حسين حميدان

لا نبتعد عن الصواب إذا قلنا بأن البحر من العناصر الأساسية المكونة لشخصية المكان في القصة الإماراتية فمنذ أكثر من أربعة عقود تساءلت شيخة الناخي في قصتها (الصمت الصاخب)[1] الواردة في مجموعتها (الرحيل): من يوقف هجوم البحر؟!.. ومضت القاصة فاطمة محمد الهديدي لتؤكد الآثار التي وجدتها على نافذتها القصصية بأنها كانت غير مطمئنة على الإطلاق بعدما ثبت أنها لغريب تسلل من الفتحات الخلفية للبيت للدلالة على عدم شرعية دخوله[2]وتبين الكاتبة الثغرات التي استغلها هذا الغريب في تسلله على أنها أماكن خلل تأخذ منحىً اجتماعياً في بُعدها الواقعي وتأخذ منحىً سياسياً وعسكرياً في بُعدها الرمزي..

وإذا كان الجانب التربوي والاجتماعي قد غلب في سياقها السردي، فإن الجانب العسكري جاء عليه القاص ناصر جبران في مجموعته القصصية (ميادير)[3] وذلك من خلال الرجال المبحرين بقاربهم وهم يحلمون بصيد وفير وتأتي المفاجأة لهم من بطن البحر بعد تعلق شباكهم بثقل لا يبدي حراكاً ولا مقاومة.. ووسط ترقب وانتظار مهيب تطفو مفاجأة الصيد المنتظرة على السطح وتظهر، فإذا هي جثة مجهولة وفي سياق ذلك يصور الراوي ردود الفعل على ما حدث قائلاً: (انقطع خيط وتبعه آخر.. سحبوا خيوطهم بحذر.. جسم يطفو مجللاً بهالة من الإبهام اختفت ملامحه في صبغة من اللون الأحمر.. لم يتمكنوا من معرفته وحين اقترب أكثر صعقوا واقشعرت أبدانهم وتلجلج الحديث في الشفاه.. جثة إنسان طافية، منتفخة تسترها بزة عسكرية.. وبينما هم في اجتهاد من الأمر أيحملون الجثة أم يتركونها طافية اقتربت من قاربهم قطع أسطول حربية فرضت سطوتها على مياه البحر حاجبة خلفها جمال الأفق... تقافز السمك فزعاً... نأت الجثة بعيداً وتمايل القارب مضطرباً وقتها لم يحفلوا بالجثة ولا بقطع الأسطول وانصب همهم على إنقاذ القارب والنجاة به من الغرق..)[4] عبر هذا السياق يأخذ ناصر جبران دلالات السرد إلى المخاطر العسكرية المحتملة والآتية من النافذة البحرية ومن بوابتها الرحبة مستخدماً عناصر المكان لبلوغ مبتغاه القصصي، فيصبح البحر كتاباً لسيرة هذه المخاطر وبراعاً ومداداً لتدوين أحداثه ومآسيه وكأنه بذلك يعيد استنطاق المكان باعتباره حاضن الحدث القصصي ووقائعه وباعتبار أن عناصر هذا المكان هي الشاهد على هذه الوقائع التي جسدها في هذا السياق في بنية سردية منفتحة على التسجيل من جهة سيرورة الحدث ومنفتحة على الإيحاء من جهة الآثار والنتائج المترتبة عن هذه السيرورة ودلالاتها ضمن السياق السردي.. وما قدمه ناصر جبران حول هذا التسلل الذي جاء بزي عسكري وبصيغة الجمع، قدمه القاص إبراهيم مبارك في قصته (خان)[5] التي استحوذت على عنوان مجموعته بصيغة الجمع أيضاً من خلال عدد من الرجال جاؤوا بزي مدني ومن جنسيات. غير عربية. مختلفة وتسللوا من سواحل البحر إلى داخل دولة الإمارات وتواجدوا فيها بصورة غير

إبراهيم مبارك

ناصر جبران

فاطمة محمد الهديدي

شيخة الناخي

شرعية وغير قانونية، وذلك بإغراء واستغلال من قبل (محمد خان الهام) الذي شجعهم وطمأنهم قائلاً:

(لن يظن بكم أحد، لا أحد يحرس الحدود هنا.!.).

وبعد العبور والصعود بسيارة عامة يجري الحديث بين هؤلاء الداخلين بلغة وأصوات غير مألوفة لابن البلد العجوز خميس بن عبيد فيفيض به الحنين إلى الماضي بصورة عبّر عنها الكاتب قائلاً:

(الرجل العجوز أخرج رأسه من نافذة السيارة يتفكر في التغيير الكبير الذي حدث لهذا الساحل والصحراء، تؤذيه الأصوات الغريبة التي لا يفهم منها شيئاً.. لقد ذهب شيء مهم في حياته، لا أصوات وقتها غير صوت الموج الهادئ ..)[6].

وكي نتعرف نحن إلى ما يدور في خلد أصحاب هذه الأصوات الغريبة، يكشف لنا إبراهيم مبارك بعض أحاديثهم المهمة ليضعنا أمام الخطر الذي يتصوره معتبراً احتلال الجزر الإماراتية الثلاث مقدمة لهذا الخطر وينقل على لسان إحدى شخصياته وهو أسلم خان العائد من بندر عباس بأنه عاهد غلام مشهدي على العمل بوصية الإمام القائل:

(نحن ضلع فرجار كبير، هذه القدم الأولى نضعها بكل ثقة على سطح البحر، الجزر كالملائكة، ثم القدم الأخرى في المستقبل على اليابسة حتى نصنع دائرة كبيرة يشعر كل من يقع فيها بعظمة الدولة الحلم !..)[7].

من خلال هذا الصوت الذي حرصت مجموعة «خان» إبلاغنا إياه وأبرزته حتى على صدر غلافها هَدَفت لفت انتباه العيون الساهرة على أمن الدولة الإماراتية إلى خطورة ما يجري كي لا تغفو عنه ولا تنام .. وقبل النهاية تقدم لنا رجال الشرطة وخفر السواحل والحدود وقد تمكنوا من إلقاء القبض على هذه المجموعة المتسللة بكمين تم نصبه لها في الطريق وبعد سجن أفرادها وترحيلهم يعاودون الكرة متسللين فَيُلقى القبض عليهم ثانية

وهكذا عند كل محاولة يدفع بها الحلم القادمين إلى الإمارات من وراء البحار باعتباره الأفق المفتوح لتسلل الغرباء الذين حولوا بعض مدن الدولة إلى مساحات اختلطت فيها اللغات بجنسياتها المختلفة وهو ما دفع القصة الإماراتية إلى رصد هذه المتغيرات في حياة أبناء مجتمعها الجديد القائم بعد اكتشاف النفط، وبعد قيام الدولة المؤسساتية المتحدة، مدونة ما يكتنفها من هواجس لا تبعث على الطمأنينة جراء هذا التواجد المتعاظم للأجانب على أرضها والذي بلغ حدود التجاوز للذات الإماراتية والعربية مما يهدد الهوية الوطنية وعقائدها كما يهدد بنيان الدولة نفسها مما جعلها تجسد البحر بصورتين اثنتين، الأولى جاءت بملامح واقعية وتسجيلية قدمتها من خلاله كنافذة وبوابة مفتوحة الأفق على مخاطر التسلل والعدوان الخارجي.. والثانية تمّ تقديمها بملامح رمزية وتخييلية حررتها من إسار الواقع المتأزم إلى صورتها الحلمية المشتهاة وأبرز مَنْ قدمها وفق هذه الملامح التي تقوم على الثنائية . التسجيلية والحلميه التي تقف على مفترق بين الواقع الراهن ونقيضه. القاصة سلمى مطر سيف التي جعلت حتى مدخل قصتها المركزي يقوم على هذه الثنائية مختارة عنواناً لها (بحران نشوان)[8] واستعانت بتجسيد هذا الواقع المركّب ببطل مخمور لتحرره من إسار الراهن وحواجزه وتستعين بمخبوئه اللاشعوي وبمخزون اللاوعي لديه جاعلة إياه حارس البحر الذي بدا محباً له وفق الملامح التي يشتهيها عليه والتي تبدو له على هيئة امرأة توهم خروجها من بطن مائه ومن خلف الموج إليه، فيلاطفها ويتقرب منها ويعرض عليها ارتداء ملابسه لتشاركه حراسة البحر، ولكن عندما تعاوده الصحوة بين الفترة والأخرى من آثار الخمر وتستيقظ فيه الأعراف الاجتماعية وتقاليدها الموروثة يعاملها بقسوة ويشبعها ضرباً ثم يندم على ما فعل ويتراجع ليعود إلى التودد إليها من جديد، إلا أنه يقرر في النهاية تسليمها إلى السلطات المختصة بعد إقدام وإحجام

أظهرته الكاتبة في مواقف تتسم بالتردد الذي عكسته الكاتبة بمرايا المرأة عروس البحر السحرية منيطة حراسة ملامحها الرمزية بالسلطات المختصة التي لجأ إليها بطل قصتها في خاتمة المطاف، بينما حضورها الواقعي تولته مسبقاً الأنا الاجتماعية والتي أطلق عليها كارل غوستاف يونغ بالأنا الجمعية وقد بينت الكاتبة من قبل آثار فعالياتها السايكولوجية والسوسيولوجية في المجموعة من خلال ما دونته من ردود الأفعال على غياب بطلتها في قصة (ساعة وأعود) وذلك بعد اعتمادها على عدة أصوات متباينة للراوي المشاهد تناوبت من خلالها الأدوار مع شخصياتها في نقل وقائع الحدث فمثلت هي في السياق القصصي الراوي برؤية خارجية عالمة بمجريات السرد حسب رؤية توماتشفسكي والتي تكون فيه أكبر من الشخصية في العمل القصصي على حد تعبير تودوروف[9] وفي هذه الحالة تكون الشخصيات التي اعتمدت عليها الكاتبة لمشاركتها السرد أصغر من الشخصية التي يدور حولها الحدث القصصي.

إن القصة الإماراتية القصيرة بمختلف أقلامها، قالت كلمتها منذ عدة عقود وأفصحت عما رصدته في دواخل الشخصية الإماراتية من خلال الآمال والأحلام التي قدمتها عبر مختلف شخصياتها؛ وبين ما جرى من وقائع في الأمس البعيد والقريب وما يجري اليوم من أحداث ساخنة يبدو ما نهت إليه هذه القصة الإماراتية وما قالته في سياقاتها السردية كأنه نبوءة دقت بأجراسها التعبيرية أبواب اليقظة كي تبقى حارسة للأمن والأمان لفضاء دولة توحدت في قوام لابد أن يكون متقدماً ومنيعاً.. ■

الهوامش:

1. قصة الصمت الصاخب لشيخة الناخي - مجموعة الرحيل - اتحاد كتاب وأدباء الإمارات 1988م.
2. مجموعة آثار على نافذة - قصص فاطمة محمد الهديدي - إصدار الوطن للطباعة - دبي 1995م.
3. مجموعة قصص مياديد - ناصر جبران - إصدار اتحاد كتاب وأدباء الإمارات - الشارقة 1989م.
4. المرجع السابق.
5. مجموعة قصص خان - إبراهيم مبارك - إصدار اتحاد كتاب وأدباء الإمارات - الشارقة 1999م.
6. المرجع السابق. قصة خان ص72.
7. المرجع السابق. قصة خان ص 73. 76.
8. مجموعة هاجر - قصص سلمى مطر سيف - إصدار اتحاد كتاب وأدباء الإمارات - الشارقة 1991. قصة بحران نشوان ص 23.
9. الأدب والدلالة - تزفتان تودوروف ، ونظرية المنهج الشكلي ، نظرية الشكلانين الروس - ترجمة إبراهيم الخطيب - مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت 1982م.

الشاعر عبيد خميس بن صويلح الهاملي

مريم النقبي

الشاعر الذي رحل في أوج نجوميته وقمة عطائه الشعري، أحد أبرز الأصوات الشعرية الشابة في الإمارات ....

ولد وترعرع وعاش حياته في مدينة زايد بمنطقة الظفرة وينتمي لأسرة شعرية برز منها الكثير من الشعراء.

ويعد رحمه الله واحداً من أشهروأجزل شعراء جيله، بزغ نجمه في النسخة الرابعة من برنامج شاعر المليون، وحلق نجمه عالياً في فضاءات الشعروالإبداع لما كان يتمتع به - رحمه الله - من مهارة شعرية عالية وجزالة وتمكن وإبداع.

كما تميز شاعرنا - رحمه الله - بمشاكساته الشعرية واختياره القوافي الصعبة لأبيات قصائده.

توفي رحمه الله عام 2014 نتيجة حادث أليم وقع له، وكانت وفاته صدمة لجمهور الشعر ومحبيه، ورثاه العديد من الشعراء ومحبي الشعر من داخل الإمارات وخارجها..

بعض من قصائده:

ليت اللقـــاء مـا حـل تاليـه فرقـا
ولا ذقت في اللقيـا معـك طيّب الريـق
يـا غالـيٍ مثلك فـلا اظـن بلقـا
ولا حيـد مثلك ينوجـد في المعاشيـق
بشْكيـك للـي هامـة العزيرقـا
بو ناصر اللي خـال لـي وإخـو ورفيـق
شاعـر وعشّـاق ومـن الشعـر ينقـا
عـذْب البيـوت اللي نـدر مثلهـا ذيـق
قفّـى الحبيب و منـه ما كـنت أهقـا
ينـسى المخـوه و الوفـا والمواثيـق
سـوّى المفـارق للكوابـيس مرقـا
في ذهني وأهـذي به مع النـوم وأفيـق
آفيـق وأطالـع شبلُقـا ولا ألقـا
غير المعـاتب والملامـات والضيـق
وكان انكتب لـي بصفحـة البين أشقـا
برضى بهـا من خالـقٍ للمخاليـق
ويالله عسـى يوم اللقـا ذاك يسقـا
والله يجـازي معذبـات العشاشيـق
لو هي ركـاب الشـوق والعشـق شمّقـا
للي يـذب لـي خافقـي من المعاليـق
أسندْت بوناصـر لك القـاف تبقـا
القلـب كظّه ما خفـى في المعاميـق
ويالله عسـى مـن (عين تسنيم) تسقـا
في الآخـره و تشوف كـل التوافيـق
ولا تشوف في دنيـاك ضـيمٍ وفرقـا
وتعيـش في الدنيـا بخيرٍ وتشريـق

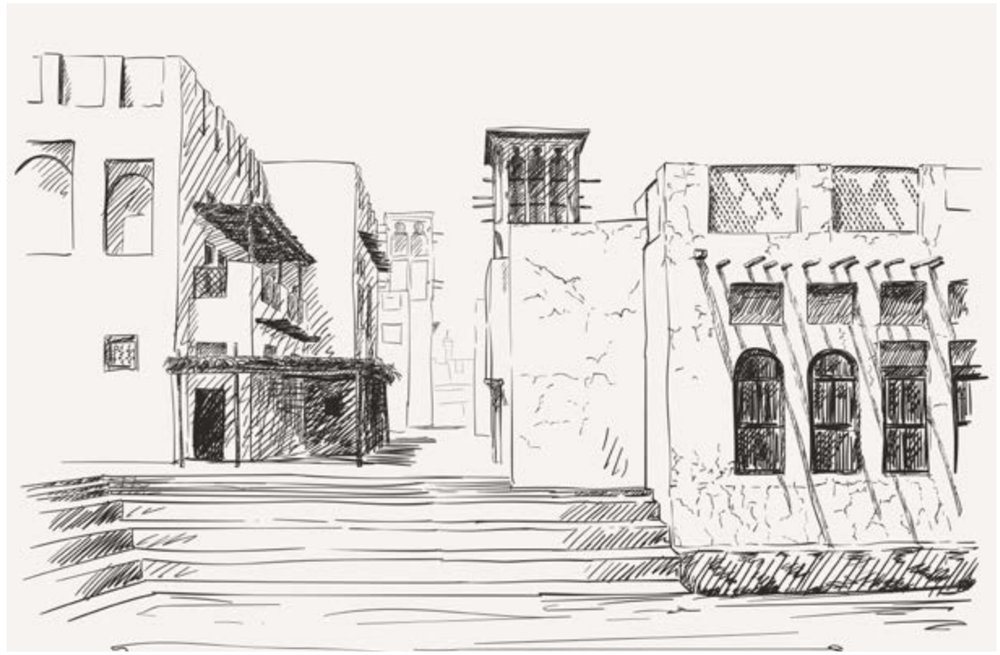

جنيف

مـن يوم شفتـك صرت لـي طيـف
اتخايلـه فـي كـل الأوقـات
مـاحـد مثـلك في البـدع شيـف
طبـع وحـلاوه واحترامـات
عودك سحرنـي يـوم انـا ضـيف
قمـت ألتفت وأعطيـك نظـرات
زايـد جمـالك يـا ظبي ريـف
ماخـذ مـن الابريـام لفتـات
وصف الخشـم كسلـة السيـف
وعينـك اتـوهْبي متـاهـات
وصفـي لكـم مـا فيـه تزييـف
محلـى ابتسامـك بالمسـرات
يـا دانـتي فـي موسـم الصيـف
يـا منوتـي فـي كـل حـزات
ماحـب غيـر اللـي على الكيـف
كيفـي وأنـا عشّـاق دانـات

أبيات من قصائده:

دام ضـاق الصـدر واحتار الفكـر
اذكر اللـه و شـوف كونـك موْسعـه
مانـي بحاكـرك يـا خلي حكـر
دام عنـدي ضيقتـك رح في السعـه
يـا رب لطْفـك و إحسانـك
عبْـدك عظيمـاتٍ اذنوبـه
عفْـوك إلهـي وغفرانـك
رُحْماك يـا قابـل التوبـه
أحـن لك حنـة ركـابٍ عطاشـا
وإلا كمـا خلفه علـى فقـد حاشـي
يامـن تباعـد عن عيونـي و تلاشـا
وهيّـض غرامٍ مبطيٍ وسـط جاشـي
أنظـم لك الأبيـات والغـير حاشـا
وتحـلا بذكـرك لـو تعابـير ناشـي
يامـن حسبتـك ع الخونـدات باشـا
وصفٍ حقيقـي لامجامـل وراشـي

كسر في الوزن لحبيب الصايغ بنية مشهدية وخيال مدهش

عزت عمر

أصدر حبيب الصايغ مجموعة «كسر في الوزن» عام 2011 وضم 40 قصيدة ومن ضمن هذه القصائد «كسر في الوزن» التي سمّى بها المجموعة وبكل ما تحمله من غرابة التسمية تميّزت في الوقت نفسه بأطروحتها الفلسفية ومقترحاتها الجمالية والتعبيرية من حيث بنائية النصّ التي تنوعّت أساليب الخطاب فيها ما بين الخطاب السردي والشعري المنتمي بدوره إلى قصيدة النثر، بما يعني أن الحمولة اللغوية نابضة بتوترات السرد وما يتطلبه من عناصر: سارد متماه بمرويه، زمكان فني، حوار بين الشخصيات، وثمة استهلال وحبكة ونهاية ترتبط جميعاً برؤية الشاعر واللحظة درامية والتصعيد المعزز لشدّ انتباه القارئ وجذبه إلى عالم النصّ الحافل بالصور الخلاّقة والخيال المبدع الذي يدفع المتلقّي غالباً للتساؤل عن مقاصد تسمياته الجديدة للنجوم من مثل: نجمة العنكبوت؟ وما الرابط بين المشبّه والمشبّه به من حيث المعنى أو الشكل، وربّما أو لعلّها البنية السردية التي تطلب تسمية الشخصية لاستكمال عناصر الحكاية الأساسية على الأقل كما في تسمية الشخصية هنا تسمية مجازية وهي نجمة العنكبوت كما يأتي:

«تتناسل في ضوء عتمتها
أو تحاول
لكنها الآن تهت أبعد
حتى تكاد تموتْ
وتومض ثانية
لتصارع أقدارها
نجمة العنكبوتْ
تتناسل مثل السلالة حيناً
وتنسلُّ مثل الشعاعْ
ثم تذهب في دربها
غير عابئةٍ
وهي ترعى خراف الضياعْ»

فالنجمة العنكبوت تتناسل مثلها مثل بعض الكائنات التي بمجرد أن تضع بيوضها تموت، والنجمة العنكبوت كذلك بمجرد أن تلد الضوء تذهب في الأفول وبتعبيره تهت وتصارع أقدارها، وهي بلاشك استعارة لطيفة أنسنت النجمة أو جعلتها كائناً حيّاً يتناسل وفي الوقت نفسه يعزز المشهد بالتضاد اللوني مابين الليل والضوء الصادر عن النجوم، الصورة البصرية الحاضرة في الوجدان الجمعي إلى جانب القمر بطبيعة الحال، ومثل هذا التخييل التمسناه في الأدب السردي أيضاً

عن تشكّلات الغيوم وإمكانية انتقال الإنسان المأسور في المكان منن خلالها إلى أماكن يرغب في الانتقال إليها، ومثل هذه الصورة البصرية كثير في الشعر والسرد، لكن الشاعر هنا يبتكر تعابير أو صوراً عير مألوفة لنجمة العتكبوت وهي ترعى خراف الضياع!

ولعل هذا المجتزأ من النص يبين جانباً من تعزيز الحكاية بحوار الشخصيات بغية التصعيد الدرامي للحدث عن حيرة الناس بغد رؤية الشراع:

«على ضفاف بحر الوقت مرّ، بغتة شراعٌ
واحتار فيه الناس:
قال الغريب: إنه خيوط عين الشمس
قال المغني: إنه البياض واستدرجه نحو السماء قوس
وقالت المرأة: بل تشكيل موج
هائج في الرأسْ»

ومع ذلك لم يتمّ الكشف عن سرّ هذا الشراع الغامض ولن يركن القارئ إلى أيّ رأي مما قيل، فالشراع من جانب واقعي رمز لقارب يسافر في البحر، ولكن في الوقت نفسه قد يرتقي مجازياً نحو السماء فيسافر مع الريح والغيوم، مشهدان بصريان رصدتهما عين متبصّرة وخيال جامح، وكان ميشال فوكو في «الكلمات والأشياء» تناول حكاية المتشابهات الأربع ودورها الباني في المعرفة الثقافية الغربية لأنها أسهمت في تفسير النصوص وتأويلها إضافة إلى فاعليتها في مجال الرموز الموظّفة.. (نثر العالم.. المتشابهات الأربع) ص39

ولعل ظاهرة التشابه ما بين الأرض والسماء جاءت من حيال الشعراء تماماً كما خمّن المتحاورون: البحر وهدير أمواجه وعواصفه، والسماء في حركة سحبها وغيومها ورعودها وبروقها والشراع المسافر كمركبة فضائية تسمح برؤية بانورامية للأرض من السماء، أبدع الشاعر في تخيلها وبنائها سردياً بما يشبه القصة القصيرة جداً ذلك النص الحائر ما بين نمطين مهيمنين.

1. فاعلية الاستعارة

«النمور التي شاركتني المعاطف والبرد
والخطوات السريعه
النمور التي أرضعتني حليب النحيب
النمور التي آثرت دائماً ان تغني
مخافة أن يذهب الليلْ
النمور التي سكنت بيتنا قبلنا»

لعل هذا المجتزأ من نصّ «كسر في الوزن» لحبيب الصايغ يعزز جانب التخييل اللامتناهي في بنية مشهدية تنهض بها الاستعارة والتشخيص اللطيف إلى جانب الرمز وتكرار في لفظة (النمور) في بداية كلّ سطر للإخبار عن فعل ما تقوم به، ومع ذلك يبقى سبب وجودها والإصرار على تكرارها مجهولاً و غامضاً غموض الاستعارة ذاتها وتعذر الكشف عن محتواها الدلالي غلى الأقل، فالنمور الوحشية لا تحتاج إلى تعريف بها، وهي حاضرة في الذاكرة كوحوش فتاكة أوردها الشاعر بصيغة الجمع وليس نمراً بمفرده شاركه المعطف لأنه بردان بدوره، وإنما النمور بصيغة الجمع وأل التعريف توحي بأن الشاعر يعرفها جيّداً وعلى علاقة وطيدة لا تتحدد بارتداء الملابس فقط، وإنما المشاركة في حياته اليومية بما في ذلك أنها أرضعتنه «حليب النحيب» والصورة قبل التأويل استعارة مبتكرة نبتت من خيال مجنّح رافقه سؤال على الدوام لماذا؟ وما هي طبيعة حضور هذه النمور في نص أخّاذ كهذا، وهل يحتاج هذا الحضور إلى إسقاط سياسي أو اجتماعي؟ وفي

أي مقام يمكن تصنيفه؟ أمقام حزن أم رمز لحياة مشتركة مع بشر طبيعيين أسماهم النمور؟ وإن كانوا كذلك فمن هم؟ لابدّ أنهم أصدقاء او أقرباء! في المخيلة وللوهلة الأولى مجتمعان يمكن تخيلهما متباينين: عالم الغابة وقوانينه المعروفة في الانتخاب الطبيعي والبقاء للأقوى، والمجتمع البشري الذي يفترض أنه تجاوز حياة الغابة، بل إنه محا الحدود في ما بينهما، فشكلت الاستعارة ركيزة قوية في البنية المشهدية، فالنمور الآن مؤنسنة تصاب بالبرد وتشارك الشاعر ارتداء الثياب، بل إنها أرضعته ذلك الحليب الغامض الذي يسبب النحيب!

سلسلة متكاملة من الصور البلاغية المتلاحقة تعزز فكرة الأنسنة، وكأننا أمام مشهد سينمائي للنمور التي غادرت غابتها ووحشيتها، سكنت بيت الشاعر وباتت قريبة منه، أكان هذا التحوّل برغبتها أم قفزة تطوّر نوعية في جنسها، إنها تغني الآن بصوت مسموع كي يبقى الليل سهران معها ولا يذهب للنوم.. تحتاج النمور إذاً إلى أنيس مثل أي إنسان فائض بالمشاعر.

«النمور التي تتهاوى،
وتدعو أبن آوى
نبياً قديماً وتاه
النمور التي أيبست عشب جيراننا
النمور التي أورثتنا الحتوف الرشيقه
النمور التي أرهقتنا من النبش في ظلنا»

تأتي خاتمة المشهد لتعزز ما جاء في مفتتحه عن شكوى الشاعر من شغب النمور، أو فلنقل احتجاجه المتسم بلغة الألفة والمحبّة، وهو خطاب مألوف في الحياة العامة وبخاصة في وصف شغب الأطفال ومدى ما يسافر معهم وبواسطتهم الخيال الفطري الذي في الغالب يُعجز الكتّاب والشعراء التعبير عنه، وإذا كان الأمر كذلك فإن الغموض الذي سببه حضور النمور في النصّ سرعان ما ينزاح إلى وضوح وشفافية كلّية ليبقى الاجتهاد في بناء

أصدر حبيب الصايغ مجموعة «كسر في الوزن» عام 2011 وضم 40 قصيدة ومن ضمن هذه القصائد «كسر في الوزن» التي سمّى بها المجموعة وبكل ما تحمله من غرابة التسمية تميّزت في الوقت نفسه بأطروحتها الفلسفية ومقترحاتها الجمالية والتعبيرية من حيث بنائية النصّ التي تنوعّت أساليب الخطاب فيها ما بين الخطاب السردي والشعري المنتمي بدوره إلى قصيدة النثر

نصّه وما اجترحه من جماليات بصرية وذهنية تجاورت فيها الحكايات لتؤسس المشهد المدهش فعلياً بما تجلّى عنه من ابتكار في التراكيب والصور مع لغة موحية وخلاّقة.

مثل هذه المشهدية المبتكرة كثيرفي نصوص حبيب الصايغ، وهي للإنصاف تعبّر عن حساسية إبداعية لها بصمتها الخاصة فضلاً عن تراكم التجربة، نظراً لأن مجموعة «كسر في الوزن» جاءت في مرحلة الكهولة والنضج العمريّ القائم على التأمّل والركون إلى الحلم لتغدو قراءة النصّ متعة جمالية بحد ذاتها:

في الهزيع الأخير من الليلْ
سألت نجمة كلب جارتها
ليحرسها من كوابيسها
كان منهمكاً في قراءة رمل المرايا
في الهزيع الأخير من الليل
في الهزيع الأخير من الويلْ.
من بذور معتقة تتفتق تلك الحدائقْ
وتغدو حرائقْ
وتغدو مشانقْ
أين يكمن سر البذور
وقد حُمّل الوهم والوحْم

وأي طريق وزيتْ؟
أي محلٍ ومحوْ؟
أي إغفاءة
وأي سبات وصحوْ؟

سوف نرى أن هذا المجتزأ ينهض على استعارة تتوخّى لغة وخيال الطفولة بمنح الجماد والكائنات صفات البشر على نهج أفلام الرسوم المتحركة لأجل تقديم حكاية يستهلها بتحديد الزمكان والسارد العليم يروى كيف في الهزيع الاخير من الليل سألت نجمة كلب جارتها كي يعمل على حراستها من الكوابيس التي تنتابها أثناء نومها، نظراً لأن الكوابيس لاتأتي خلال اليقظة، ولعلها كانت مصابة بالأرق ولم تستطع النوم الذي حان وقته كما ينام البشر ليلاً ومضى بها الوقت حتى كادت الشمس أن تشرق معلنة ولادة النهار، والهزيع زمنياً في هذا التركيب هو الربع ويقال الثلث الأخير من الليل ويصح أن يكون الأول فيما لو قال «في الهزيع من الليل» وبذلك فإن تحديده بـ (الأخير) كزمن للحكاية أتاح للتلقي إمكانية الاستنتاج أن قلق الخوف من الكوابيس لم يغادرها ولعل كلب جارتها يحرسها من هذه الكوابيس المتجسدة على نحو ما، وإلا كيف بإمكان كلب أن يشعر بها ويبعدها»؟ الإجابة بدورها قد لا تشبع فضوله إذ تستوقفه هذه الصور المتلاحقة والتي بمجملها محاولة مقصودة من قبل الشاعر لتقمص روح طفل فائض الخيال، وفي هذا الصدد نتذكر قول الشاعر الداغستاني رسول حمزاتوف: «الأطفال يرون أخلاماً كبيرة» بمعنى أن الخيال لديهم مشروع وينفتح على مداه طالما ثمة لغة تمكّنه من التعبير، ولعل النقاد لم يخطئوا عندما سموا هذا النوع من البراءة المصحوبة بخيال أخّاذ بـ «استعادة لغة الطفولة الإنسانية» كزمن صوفي خال من الإثم والعدوان. في صدد البنية المشهدية ثمة ما يلزم التذكير به بعد توجيه الكاميرا نحو الكلب الحارس فنجده «منهمكاً في قراءة رمل المرايا» وبمقدار غموض التشبيه في «رمل المرايا» إلاّ أن المشهد سيبدو جميلاً عن كلب يسلي وقت حراسته بالقراءة، وفي الوقت نفسه وقت مستقطع ليعود السارد بعده لاستئناف حكايته التي لم تنته فيعود لتذكير قارئه بالزمكان الفنّي للنصّ السرديّ فيقول: في الهزيع الأخير من الويلْ مستبدلاً كلمة الليل بالويل كتشاكل لفظي متباين المعنى فالويل هنا هو الكارثة أو المصيبة تمتد زماناً كالليل كانزياح سريع نحو معطى واقعي قد يرتبط بمآلات الأمّة العربية، والتأويل على هذا النحو ممكن بدلالة ما سيأتي من إخبار عن الحرائق والمشانق، وعن بذور العنف الغامضة بما يفتح مجالاً واسعاً لتساؤل الشاعر عن سرّ هذه البذور، وفي الوقت نفسه كي يعيد استنتاج الدلالة والمقصد،

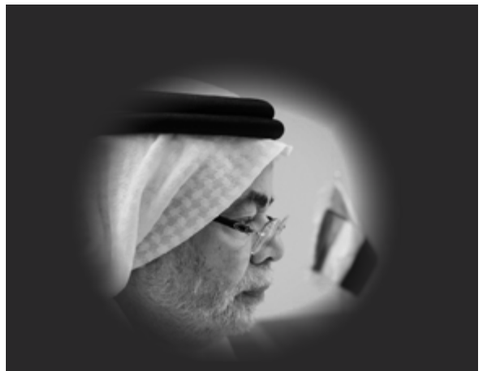

- ولد الشاعر الأديب حبيب يوسف الصايغ في مدينة أبوظبي عام 1955 وقد نشأ وترعرع فيها وإبان دراسته تبيّن لمعلّميه أنه طالب موهوب وأكمل دراسته في الفلسفة وعززها بشهادة ماجستير من لندن في مجال اللغويات والترجمة عمل في مجالي الصحافة والثقافة، وانتخب رئيساً لمجلس إدارة اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ومن ثمّ ترأس منصب الأمين العام للاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب.

إلى جانب الشعر واظب على كتابة زاوية يومية باعتباره رئيس التحرير المسؤول لصحيفة الخليج.

- رافق مسيرة تطور الشعر الإماراتي واشتهر عربياً في وقت مبكر بعدما وزّعت دور النشر دواوينه فدعي لحضور المؤتمرات والندوات العربية والعالمية وقد جمعت مؤلّفاته الكاملة وصدرت عن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، وقد ضمّت هذه الأعمال دواوينه العشرة التي كان أصدرها منذ سبعينيات القرن العشرين وهي:

- هنا بار بني عبس الدعوة عامة، عام 1980 التصريح الأخير للناطق باسم نفسه، 1981 قصائد إلى بيروت 1982 ميارى وملامح 1986، قصائد على بحر البحر، 1993 .

- وردة الكهولة وديوان (غد)، 1995 كسر في الوزن 2011. رسم بياني لأسراب الزرافات 2012 وديوان (أسمي الردى ولدي 2012).

- وقد ترجمت بعض أعماله إلى اللغات الأوربية ومنها: الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية، والصينية والألمانية.

والأسئلة في هذا الصدد مشروعة للمتلقّي والناقد بطبيعة الحال، فأين يكمن سرّ هذه البذور؟ سيخبرنا السارد بحكايتين أولاهما تذهب في السؤال عن سر البذور الكامنة في الأنفس تفعل فعلها المناط بها فتستحيل حرائق وتغدو مشانق على حدّ تعبيره والثانية حامل البذور الحطاب العدميّ الذي كلّما انحنى تتفتق بذرة، ثمّ يأتي التساؤل مجدداً

أين يكمن سر البذور؟
من ذا، بين الطلقة والطلقة،
ينكش شَعر الأسماءْ
لتكون، كعادتها،
جثثاً طافية فوق الماء؟
أول الخيل هدهدةٌ
آخر الخيل معركةٌ
وتطيرْ
إلى عين فارسها
وكأن البصيرة مسقط رأس البصيرْ
والملاذ الأخيرْ.

2. زمكان المشهد

ثمة زمكان فتي يرتبط وجوده بالنصّ كما لاحظنا في النصوص السابقة: وطالما هو زمكان فتّي فإنه يصعب تعيينه واقعياً نظراً لأن النصّ شعر ينهض على الرمز والمجاز وزمان طلقات الرصاص في واقعنا المعاش يغاير زمان ركوب الخيل والطلقات تصطاد الناس وترميهم جثثاً بلا حياة بينما زمان الفروسية قد يمتدّ بعيداً في الماضي لكنهما يتجاوران في المشهد كالمشهد الليلي الذي أضاءته النجوم والأقمار:

بيتها القش يفتح باباً على قمرينْ
وفي يدها كأسها..
كلما ثملت خربشت جانب الأفق،
وانقسمت نجمتينْ.
عندما يتناثر حول مياه الصداقة
يبدو كئيباً ورثّاً
ويجمع أجزاءه
ويبعثرها من جديدْ
واقفاً يتلفت

كيف تقاسمني الساحرون
وكنت لهم، مرة، حية
ومراراً حصاة
ويحاور حرباءَه:
أينا الأصل؟
كيف التقينا معاً عند سطر الغيابْ؟

ومثل هذا الشعر لا يحتاج إلى شرح أو تأويل بحثاً عن المقاصد، وإنما تأمّل جمالية الصور الجزئية المتلاحقة لأجل رسم المشهد بعناية الفنان الحاذق فتتأمله بمشاعر الغبطة التي تنتاب المرء لدى وفوفه أمام عمل فني باهر في أحد المعارض التشكيلية، ولعلّ خاصية الوصف والتقصّي الخلاّقة والجملة الخبرية في السياق السردي ساهمت بدورها في إثارة المتلقّي لتقبّل المشهد والاستمتاع بجماله، فالنجمة التي بيتها من قشّ

يفتح باباً على قمرينْ والاستعارة سوف تتعزز بوصف إضافي، ففي يدها كأسها وربّما ثملت قليلاً وهذه الثمالة دفعت بالخيال إلى حدوده القصوى وبات الأفق في متناولها تخربشه وفي مثل هذه الحال لابدّ من تجسيده وجعله محسوساً تترك الخربشة فيه أثراً ومع تغيّر وضعية الكاميرا التي يقف خلفها الشاعر الذي يبدع في التقاطاته يعاود السارد العليم استكمال حكايته

موظّفاً الفنون البلاغية المختلفة كالمجاز في «مياه الصداقة» و«الأجزاء المبعثرة» فضلاً عن المونولوج السريع في المعبّر عن الشكوى المتمثّلة في الاستفهام المعبّر عن حيرة حقيقية فيتساءل موجوعاً بينما هو يجمع أجزاءه ويبعثرها من جديد: «كيف تقاسمني الساحرون» فمن المعني بضمير المتكلّم أهو الشاعر أم غيره يشتكي قدره أن يكون مبعثراً تقاسمه السحرة، وبالرغم من امتثاله لمتطلباتهم في إشارة بيّنة على عن مدى تأثير العنف الرمزي على السلوك الإنساني، وهو في الغالب عنف الجماعة التي لا يمكن لشاعر حسّاس الخضوع لمتطلباتها غير المنتهية بدليل قوله:

«وكنت لهم، مرة، حية
ومراراً حصاة» ولكن إرضاء الناس غاية لا تدرك كما يقول المثل الدارج بما يعزز حضور الشكوى والاحتجاج من خلال الإنشاء الاستنكاري المنفتح على السؤال أو على مزيد من الأسئلة المرتبطة بذات الشاعر والفنان من جانب الوجدان فيما إذا اعتبرنا أن ثمة ظلالاً للسيرة الذاتية حاضرة في خلفية المشهد.

«أؤسس أسئلتي في الفراغ
فيستدرج الشكل ظلي إلى وحشة الحب
أدفن أسئلتي في حديقة بيتي
فيطلعها صاحبي شجراً
لا سماء سوى ما انتهى فدعيني أقل ما أشاء..»

رحى الاستعلاء والأمل في التغيير

شريف مصطفى محمد
كاتب وقاص مصري

الاستعلاء هو شعور يرتقي إلى درجة اليقين بالتميز والتفرد على الآخر ويُبنى هذا الشعور على تميز ذي طبيعة تصنيفية طائفية معتمداً على تميز عرقي أو ثقافي أو ديني أو جسدي مادي، ويرتكز هذا الشعور في ضمير الفرد، ولكن انتقاله إلى الضمير الجمعي للمجتمع أو لجزء منه يمثل بداية خلل يفضي إلى انهيار قيمي وأخلاقي. والأزمة الكبرى حين تنتقل عدوى الاستعلاء للنخب الثقافية.

لعبة تبادل الأدوار

حين كانت تعيش أوروبا حالة من الضياع المعرفي خلال العقود الوسطى كانت الكنيسة تمارس حالة من الفوقية الإيمانية على المجتمع. مُنح القساوسة أفضلية طبقية على كل المجتمع حتى على الملوك والحكام.

مرتفعين تسلقا على تراكمات خوف العامة المرتعبين من العقاب الأخروي الممنوح حقه الإلهي لرجال الكنيسة. وتبعيا زرع القساوسة الاستعلاء العقائدي على الشعوب الأخرى في نفوس العامة، فقدمت المبررات العقائدية التي قامت عليها الحروب الصليبية لاستعادة مجد وسيادة الدين المسيحي على الشرق بعيداً عن تلك الدوافع السياسية التي دفعت لها. وكانت تلك النظرة الاستعلائية المتكئة على اليقين الديني هي تعويض عن الشعور بالدونية الحضارية والمعرفية أمام الحضارة الشرقية التي كانت وقتها ذات شأن حضاري أكثر تطورا وارتقاء من أوروبا.

مع المقاومة الفكرية التي عاشتها أوروبا بداية من عصر النهضة أو عصر التنوير على يد المفكرين والفلاسفة والعلماء، استطاعت أن تتخلص من تلك السيطرة الكنسية. وتكسرت طبقات الهوس الديني الذي كلسته الكنيسة في شعور المجتمع وكُسرت شوكة الاستعلاء الخطابي للنخبة الدينية. سارت الأمور نحو الترقي المعرفي والعلمي واستعادة العقل لقيمته واستعاد الحق في الحياة والتفكير والوعي بلا خوف من عصا التفويض الإلهي. في الضفة الأخرى كان هناك صراعات فكرية من نوع آخر تدور في العالم الإسلامي. ومراوحة ما بين سيطرة من الفلاسفة والعلماء وبين رجال الدين الذين لم يختلفوا كثيراً عن قساوسة أوروبا في عصورها المظلمة من محاولتها كسب هذا الصراع من العيش على رصيد الخوف في نفوس المجتمع من الآخرة والعذاب.

لكن في تلك الفترة كانت المجتمعات العربية والإسلامية تمتلك رصيداً كبيراً من الفلاسفة والمفكرين والعلماء المقاومين، وكان المجتمع يمتلك من المرونة بأن يقاوم سيطرة رجال الدين الى حد سمح بمساحة من حرية التفكير كافية لتطور وتقدم الحضارة الشرقية في حينها إلى مستوى جعل الجانب الغربي ينظر إليها بشعور بالدونية الحضارية والمعرفية واستعوضها بالاستعلاء الديني تجاه الجانب الشرقي.

ومع حتمية تبادل الأدوار بدلت الحضارة الأوروبية والحضارة العربية والإسلامية الأدوار وأصبحنا نعيش الآن فكريا قروننا الوسطى ونقتات على منتجات الحضارة الغربية فكرياً و ثقافياً وعلمياً.

رحى الاستعلاء

الرحى هي آلة كانت تستخدم إلى وقت قريب في طحن القمح والغلال وهي عبارة عن حجرين كبيرين من الحجارة الصلبة واحدة قاعدة ثابتة وأخرى متحركة تدور و بينهما تأتي حبات القمح ليتم طحنها.. والمجتمعات العربية الآن مثل حبات القمح تُطحن ما بين استعلاء عقائدي للنخبة الدينية وهو القاعدة الثابتة التي لا تتحرك واستعلاء فكري للنخبة المثقفة وهي تمثل الحجر الذي يدور والنهاية تتحول العقول إلى دقيق تذره الرياح.

قسوة الحجر الثابت

نتيجة التراجع الحضاري نعيش حالة من الشعور الخفي بالدونية تجاه الحضارة الغربية. تنامي استعلاء عقائدي يغذيه رجال الدين بتاريخ وفخر ماضوي بأننا من علم أوروبا الحضارة، ونور الحضارة الاسلامية في الأندلس كان سببا لنقل المعرفة والفلسفة التي أسست للفكر والعلم الغربي الحديث وكثير من تلك الجمل التي باتت مكرورة - لا ننكر حقيقتها التاريخية - خلقت شعوراً ظاهرياً بالأفضلية مع إذابته في شعور بالأفضلية الدينية الأخروية. فنحن كمسلمين أصحاب اليد العليا في السماء. وحدنا من سيدخل الجنة لأننا خير أمة اخرجت للناس - من دون اعتبار للمصدر الحقيقي لتلك الخيرية - تلك النظرة التعويضية التي زرعها فينا رجال الدين خلقت حالة من التكلس تراكم عبر الزمن وصرنا نتخاطب مع الآخرين بلغة استعلائية عقائدية ويقين زائف بالأفضلية وانقسم العالم إلى فسطاط الإيمان وفسطاط الكفر.

وتتجلى بشاعة هذه النظرة الاستعلائية في أن المجتمع يمارسه حتى بين أفراده لمجرد أنهم لا يدينون بالإسلام فكل أصحاب دين يؤمنون أنهم أصحاب الحقيقة المطلقة ويختلف دين عن آخر في قدر النظرة الاستعلائية وليس في وجودها.

آفة الحجر الدوار

وسط هذا التفشي المرضي لحالة الجمود والانخراط في الذهنية الخرافية الموروثة وتراجع قيمة العقل عند المجتمع والتعويض بحالة الاستعلاء العقائدي والانتصار الأخروي الوهمي في الآخرة الذي نعيشه في مجتمعاتنا العربية - أظن أن كل المجتمعات المتقهقرة حضارياً تعيش نفس الحالة بصورة أو بأخرى - يبقى الأمل في النخبة المثقفة التي تؤمن باحترام الإنسانية وحق الجميع في الحياة على قدر المساواة. والتي تحمل راية الفكر التنويري الذي يعلي من قيمة العقل وقيمة الحرية الفردية وحق الإنسان في اختيار مصيره.الخطاب التنويري العربي أصابته آفة الاستعلاء الفكري خلال السنوات الأخيرة ولم تستطع النخبة المثقفة أن تصنع خطاب تنويري يعتمد على مفردات المجتمع الشرقي وينبع من سماته اللغوية والثقافية. وأصبح الخطاب التنويري استعلائي فكرياً في مواجهة الخطاب الاستعلائي العقائدي للنخبة الدينية .

ولا يقع ضحايا لهذه الرحى الاستعلائية الا المجتمع الذي يزداد غرقا في خطاب النخبة الدينية بسبب اتساع الهوة بينه وبين النخبة التنويرية حتى ويجهض تماماً المشروع التنويري في الثقافة الشرقية ونظل رهائن النخبة الدينية المتجمدة عند حدود الماضوية. لابد للنخبة التنويرية أن تعيد النظر في خطابها الموجه للمجتمع ويتخلى عن استعلاء امتلاك الحقيقة. فبنظرة سريعة على لغة خطاب بعض الشخصيات التنويرية الكبيرة وخاصة أصحاب المنابر الإعلامية مع كل جملة ينطقون بها تفوح رائحة الاحتقار للمجتمع والنخب الأخرى والغرور والإيمان المغلف بامتلاك الحقيقة ويسقطون في نفس الهوة الاستعلائية التي سقطت فيها النخب الدينية وجرّت وراءها وعي المجتمع كاملاً وظل أسيرا للقاع.

تظل هذه الحالة من الصراع ما بين الفكر المتحرر من قيود التزمت والثبات والفكر المختطف داخل كتب التراث التي كُتبت منذ مئات السنين هي مقياس تحول المجتمع من التجمد والبقاء عند عتبات الحضارة منتظرة فتات العلم والمعرفة، وبين التخطي لتلك العتبات والتحول الى صناعة العلم والمعرفة. وقوة النخبة التنويرية وقدرتها على تحقيق النجاح يتوقف على قدرتها على التواصل مع المجتمع وتبني لغة خطاب تكون قادرة على اختراق تكلسات الأفكار المسبقة. مما لا شك فيه أن الأمر ليس مطلقاً فهناك من النخبة الدينية ومن النخبة التنويرية من تخلى عن الاستعلاء بكل صوره ويحاول إعادة التوازن في تواصلهم مع النخب الأخرى من منطلق الاقتراب وليس من منطلق الاحتراب ■

سبيل الغارق
إشارات حول المبنى والمعنى

محمد حسن الحربي

(ولو خشيت الغرق فأنت غارق لا محالة، ولو وثقت من ضلوعك فأنت غارق لا محالة، ولو سبحت سبعة بحور لن تصل. أبحر إلى البحر الذي تجهله تصل، فلا عبور إلى النجاة في السّبُل التي نألفها) صفحة 6. بعبارة غفل من المصدر تبدأ الرواية، وأحسب العبارة لأحد المتصوّفة القدماء، أو أنها منقولة عن لسان أحد أبطال الرواية، وكان لا بأس من ذكر اسمه، كما فعلت الكاتبة في الصفحة 14 مع عبارة أخرى على النسق ذاته أوردتها مقوسةً (فلا تسألني قبل الوقت، وتيقّن أنك لا تصل إلا بالسَّير) لقائلها أبو حامد الغزالي (1058 - 1111م). لكن تأتي الكاتبة في الصفحة 313 لتكرر ما فعلته مع الفقرة الأولى وتغفل المصدر؛ حيث تورد الفقرة مقوّسةً ونصها (أريدك أن تعرف أن المجذوب كان يرافقنا في النصر ثم الهزيمة. عرفته أكثر حينها، ونفذ إلى روحي عذابه الكامن في الأعمال دهراً أو يزيد. قال إن النسيان نعمةً ونقمةً، والذاكرة نعمةً ونقمةً، وتأرجح بين الاثنين طوال عمره). لتتركنا بهذا مع احتمالين للفقرات المغفلة المصدر: الأول إما أن تكون الفقرة لأحد المتصوفة القدماء، وإما منقولةً عن لسان أحد أبطال الرواية. على أن في الاحتمالين، كان المتوقع ذكر مصدر العبارات. وعلى أي حال، فإن قولنا هذا ليس من باب التشكيك في شيء على مستويي المكنة الكتابية والرؤية، لكنه تلويحةٌ بريئةٌ من أجل التوثيق وما يستوجبه، وما تعوّدنا عليه من طول تعامل مع المتون أدباً طبيعتها كانت أم دراسات إنسانية على اختلاف حقولها ومجالاتها. وعلى أي حال للمرة الثانية، فإن ما ذكرناه من تفصيلات بالتأكيد ليست تهمُ كثيراً الكاتب ذي التجربة العميقة، بل الأهم هو الأجواء التي أردنا استدعاء دلائلها؛ فالأديبة ريم بسيوني ومنذ البدء تدفعك على نحو استباقي إلى أجواء صوفيّة تدلّلُ عليها باللغة، وتلك العبارات الجزلةُ التي أرادتها عتبات لأبواب وفصول، ليصعد القارئ عليها إلى المعنى والغاية، الأمر الذي ربما ومن دون أن تتنبّه، ألزمها بشروط يقتضي التقيّد بها: فهل فعلت ريم بسيوني ذلك؟ شخصياً، لم يبد ليّ أنها فعلت، وهذا ما سوف نضيء عليه.

وعدُ العنوان ظلَّ ديناً

ريم البسيوني

رغم شهرتها ومكنتها العالية وتجربتها العريضة في مجال السرد ومكامن سحره في الرويّ والقص تحديداً، إضافة إلى كتبها العلمية المنشورة في أكثر من لغة (والتي لم اطّلع على أي منها بسبب طبيعتها)، أقول: رغم كل ما يبعثه ذلك في النفس لدى الكاتب من شعور بالزهو والاعتداد، فإن رواية (سبيل الغارق: الطريق والبحر) للأديبة ريم بسيوني لم تحقق لي كامل السرور، أو أقلهُ، المتعة بالقدر الذي توقعته. على أن بوحاً أميناً كهذا قد لا يفت في همّة القلم الواثق، أو يثني أي كاتب متوثب عن الدرب الذي يريد السير فيه، بل هنالك من قد لا يهمهُ هذا الكلام في شيء لا من قريب ولا من بعيد، وأزيد: بل لم تستطع تلك السردية الفنية الطويلة (450 صفحة) انتزاع الإعجاب الذي رصدتهُ لها مسبقاً في نفسي حال وقعت عيناي على غواية العنوان (سبيل الغارق) من دون حذرٍ أو تحوّط، فحقاً: إنَّ لمن العناوين لفتنة ينبغي التحصّن ضدها. و(الإعجابات) التي يتطلّع الكاتب إليها، لم تكن يوماً أمراً ثانوياً لا قيمة له؛ إذ من شأنها إشعاره أن سهمه أصاب قرص العسل وسط الأغصان فأسأله قطراً ولا ألذ، بل سوف يرفُ جفنه وتلمعُ عيناه دلالة الغبطة والانتشاء؛ فالكتّاب والأدباء لطالما خبروا تلك النشوة على اختلاف نصوصهم المخضّبة بالعرق الساخن، يستشعرونه برودةً تنز عبر زَرَدِ الظهر حيناً، وخطوط الجباه أحياناً، وصدق من قال: النسّاجون والنسّاخون يأكلون من بطون عيونهم. ومهما اختلفت الصيغ في تلك (الإعجابات) فحال نطقها بصدقيّة القراء الدافئة يكون موقعها في القلب من الكاتب وترحل معه طويلًا وتصبح غراماً. أجدني هنا أتأسف عنها لهذا كله؛ ففتنة العنوان جذبتني للدخول متوثباً إلى النص، على وقع حماسة شعرتها تدبُّ في الأعماق انتهت بي عند الصفحة الأخيرة بهدوءٍ ونوعاً من العتابِ الصامتِ: ما الذي حفّزني وجعلني اتهيأ لرحلة صوفيّة كنت لأقطعها مغموراً بفيوضات اللغة وتجلياتها، مُشيّعاً بدفء الإيمان إلى عالم الغيوب، ذاك المجهول المعلوم والغائب الحاضر في القلب، وفي الكلمات، وفي المرئيات ما استطاعت العين، بين تجلٍّ وتأمّل وانحجابٍ وذهول؟ لكن ريم لم تفِ بما وعد العنوان وإن إيحاءً: تطّوافٌ في فضاءات الغيوب وعوالم الشهادة، ما جعلني أهمس لنفسي (ليتها فعلت). لو كانت فعلت، لأشاعت بهاءً عميماً. لو كانت بذلت جهداً إضافياً واختارت اللغة الأنسب لروايتها (المتصّوفة أجواءً) والتي اقتربت من أن يكتبها مفكر يعشق الأغوار العميقة، وليس كاتباً أدبياً أفسح في المجال لتسيّد لغة الإبلاغ والإخبار، مكتفياً بالسباحة على وجه الماء؛ إذ بعدما خضتُ سبيل الرحلة بصحبة الغارق، وجدت لغةً لا تصل إلى مستوى فتنة العنوان وغوايته: لغة تخلّفت عن المضمون لتسير وراءه فراسخ عديدة (فيا لفرط تفاؤلي). قلت ذلك بين لوم وعتاب أشد. واستدركت (علامَ العتابُ وقد أكونُ أنا المُخطئُ ذاتهُ؟)؛ فأنا من شحن نفسه بطاقة فائضة تجاوزت فيها أميالاً ذُرى التفاؤل. (لقد فعلها العنوان). همست لنفسي. وأجبت على هواجسي الإنسانية المشروعة في طلب المعرفة: إن الزوايا الحادّة في التعاطي مع الأمور على اختلافها، إذا ما استمرت فأنها تؤذي القلب وتضنيه. إن تشذيب الرؤوس الحادة للزوايا مطلوبٌ حتماً، فجعلها منحنيةً يجنبك (حملُ السلّم بالعرض). وتلك قاعدة ليست مأمونة على أي حال. تحذيرٌ أطلقته متأخراً على نفسي.

تذكّر المنسيُّ، والبناءُ على الوثيقة

ترى، ما الذي جعلها أن تبعثَ الشاطر حسن مجدداً (القصة التاريخية إياها) ليحيا في مرحلتين مختلفتين من تاريخ مصر في القرن الخامس عشر: الأولى قديمة قدم (فيلم المخرج الجزايرلي؛

حيث يقع الشاطر حسن في حب ابنة الوالي وما ترتب على ذلك من أحداث دارمية وتراجيدية). والمرحلة الثانية تعود إلى أيام (هدم منارة الاسكندرية وتشييد قلعة قايتباي مكانها). إنه تاريخ مصر بدءاً من عهد السلطان الناصر 1477م. يا لها من عملية لملمة دقيقة لكل الجزئيات التي سقطت من أوراق الزمن، وكادت تسلك طريق الإهمال إلى النسيان. ويبقى الشاطر حسن شخصية تراثية شعبية شهيرة أشبه ما تكون بشخصية جحا في المرويات التراثية العربية العامّة.

وأحسب أن الكاتبة انطلقت من تلك المرحلة الخصبة من تاريخ مصر التليد، لتؤرخ للجديد المهمل في سِفرِ تينك المرحلتين. وهو أمر حسن يذكرني بما همس به الراحل المبدع العالمي نجيب محفوظ (1911-2009) في أذن الراحل المتميّز جمال الغيطاني (1945 - 2015) قائلاً: لماذا لا تحاول كتابة تاريخ مصر الحديث في عمل روائي يا جمال؟). وهذا ما حدث وفعله الغيطاني رحمه الله، بقدرة فائقة وبديعة في الأبرز بين رواياته وهي (رسالة البصائر في المصائر-1988). وللكاتبة ريم بسيوني، وهي الأديبة والأكاديمية المعروفة، تجربة طويلة في الأدب أثمرت إلى حد الآن ما يزيد على الست روايات منها (بائع الفستق، دكتورة هناء، الحب على الطريقة العربية، مرشد سياحي، أولاد الناس: ثلاثية المماليك، وأشياء رائعة). وزخم كهذا لا أخالهُ لم يترك لديها ذخيرة طاغية التأثير في الذاكرة عبر السنين: ألم يزد ذلك في لغتها عمقاً أبعد؟ سألتُ. أو أكسبها قدرةً على السرد الآسر، والثراء الباذخ ما يحتنك القارئ بلطف ويدفعه إلى الوقوف والتأمل في ما وراء الإيحاءات والإشارات، ويضفي على تلك الإحالات الجبريّة قدرة تفتح كوة في المبهم والمجهول؟ هكذا افترضتُ. هذا كله لو فعلته.. لو اقامته لكانت ضمنت لنفسها وعملها، مبنىً متماسكاً منضبط النظام،

قلعة قايتباي

ومعنى غوراً يحوي رؤاها وبما يتوازى مع المكتوب المقروء حدثاً ولغةً وأسلوباً ومعالجةً، وابعاداً مفتوحة على اتساع الخيال. لكن، تبقى سبيل الغارق رواية مشوقة لمن صفا وقته لقراءتها، بسبب اعتمادها على أسلوب الحكاية، ولا ضير في ذلك؛ فالسرد روائياً كان أو قصصياً، عمادهُ في الأساس، الحكائيّة. وأغلب الموروث العربي هو حكائيٌّ بامتياز. والقول: إن الحوارات في سبيل الغارق لم تستطع نسبيًا، النجاة من اللغة الصحفيّة (التي ربما كانت مقصودة بغية التبسيط وإفهام العامّة ممن يحركون شفاههم عند القراءة)، وأنها فعلياً لم تكن بمنأىً عن ذلك، هو قول قريب من الحقيقة، بينما كان من المتوقع لمستوى اللغة أن يكون مرتفعاً وأكثر بلاغة وجزالة ليرتقي إلى مستوى الحوارات الداخلية، الذاتية والموضوعية، كما عودتنا الأعمال التي تكون ذات أجواء صوفية أو ما وراء طبيعية (ميتافيزيقيه) أو غيبيات؛ ساحرة في بيانها، متعددة في آفاقها الواسعة واللانهائية، وفيها من الدلالات النَّرة التي تكمن قوتها ليس في التشويق والامتاع والخروج المعرفي بل في عمق الدلالي، وربما أبعد من ذلك بكثير.

سبيل الوصول والبحر الثامن

إن العمل الروائي الذي يقوم على القصص المتداول بين الناس، خصوصاً ذاك المندرج في لفافات المرويات الشفاهية ولم يدوّن بعدُ، وعلى أخذ الوثيقة التاريخية عتبة للبناء الموازي، لطالما كان ممتعًا لتوافره على اللغة الجزلة والأسلوب المتميز والمعرفة والثقافة الموسوعية، مضافاً إلى هذا الكل شيئاً من الفكر ومن التجربة الحياتية الخاصة بالكاتب، تماماً كالتي تمتلكها حتماً الكاتبة ريم البسيوني في الأدب، وفي الحياة، وفي الفنون السردية عموماً والرّوي منها تحديداً. إن قائمة الأسماء التي اشتغلت على الوثيقة في أعمالها الروائية عربياً وأجنبياً تكاد تكون أطول مما قد يتخيله المرء؛ فمن بين أشهر من كتبوا أمين معلوف، إبراهيم الكوني، نجيب محفوظ في أعماله الأولى تحديداً، جمال الغيطاني، عبد الرحمن منيف، محمد حسن علوان، وناصر عراق، في بعض رواياته التي تحكي علامات فارقة في سفر مصر المفتوح على الزمن. إن الروايات المعتمدة على الوثيقة كأساس، يكتسب العمل فيها حساسيَّة نوعيّة؛ فأنت تمتلك وثيقة تاريخية لها رؤيتها، وتريد بناء عالمك الخاص عليها واعتبارها قاعدة انطلاق؛ فبعدما هضمت كل عناصر الوثيقة وما فيها من معلومات وأحداث وأسماء ودلالات شكلت مضمونها، تريد الآن إعادة انتاجها بخاصتك؛ أن يكون المنتج الجديد حاملاً لرؤيتك الخاصة التي قد لا تتوافق بالضرورة مع رؤية الوثيقة كاملةً أو مجتزأةً. إن الأمر يقتضي منك جعل القارئ على غير علم دقيق بتلك الحدود التي انتهت عندها رؤية الوثيقة، والحدود التي بدأت عندها رؤيتك. تلك هي (اللعبة) التقنية المستهواة والمشروعة والمستمرة في أي عمل روائي على هذا النحو الذي قرأنا. وأمرٌ كهذا من شأنه جعل العمل رصيناً ومتوازناً وماتعاً على حد سواء. وبعد: فها نحن قد أبحرنا في بحر ثامن ونخالهُ سبيلاً مختلفاً عمّا ألفناهُ من (البحور السبعة) للمؤلفة، فهل سيكون هو دربنا للوصول؟ لعل الإجابة عن هذا السؤال تقتضي أو تستوجب العودة إلى كاتبة (سبيل الغارق) الأديبة ريم بسيوني ■

* أديب وإعلامي

كريم معتوق

عبدالمقصود محمد
ناقد وكاتب روائي مصري

ولد عبد الكريم معتوق المرزوقي عام 1963 بالشارقة في دولة الإمارات ،ومنذ صغره كان يهوى الشعر، ولما بلغ المرحلة الثانوية ظهرت موهبته كشاعر، وبدأ يعبر عن أفكاره مرة بالشعرالعمودي، ويعرض أشعاره على أساتذته وأصدقائه فيشجعونه، ويصور كريم الأيام التي قضاها في المدرسة الثانوية وكأنها أيام شعروليس أيام دراسة، ويذكر أن أول قصيدة نشرها كانت حول (دلال المغربي) الفتاة الفلسطينية التي قامت بعملية داخل فلسطين واستشهدت، وكان يقرأ لكبار الشعراء الإماراتيين والعرب، فتأثر جداً بالشاعر العراق بدرشاكر السياب، كما تأثربأشعارنزار قبانى وحرص على حضور ندواته والتحدث إليه، وهكذا اقتنع تماما بشعر التفعيلة، خصوصا بعد إلتحاقه بكلية الآداب فى جامعة الكويت ودراسته بقسم اللغة العربية، ومنذ صغره يعتقد الشاعرعبدالكريم معتوق بأن الحب يجعل الإنسان يحتمل مواجع الدنيا:

حينما تبسمُ لونا
ينتمي الصبحُ إلى دورة عينيها
وترتاحُ أغاني المتعبينْ
بظلالِ الصبحِ، يا ضحكةَ لونا
يا حصاداً يسبق الموسمَ يا آخرَ فتوى
بكتابِ العاشقينْ

هذه لونا، وإذْ تبسم، لونا
يتمناها رجالُ الأرضِ إلا الزاهدينْ
عصفَ السحرُ على أكتاف لونا
فتجاذبنا حبالَ الوقتِ كي تهدأ لونا
ولكي تهدأ أعصابُ الحروفْ
ولكي لا يثأرَ الليلُ ويزداد جنونا

وكريم معتوق يرى فى العشق طريقاً للإخلاص والوفاء والصبر على الفراق:

دارتْ بنا الأيامُ يا هيفا
فلا أنت انتبهت ولا أنا
خمنتُ غيبَتكِ الطويلةَ
واتقيتُ مساءَها
حين اتقيتكِ واعتدلتُ
لأبدأ النسيانَ أو أروي لأطفالي حكايتنا
فقد قالوا لغيرك مرةً: (ماما)
وأزهرت المواجعُ
فارتضيت قضاءَها

وبعد تخرجه عمل موظفاً في شركة بترول أبوظبي الوطنية 1983، وتدفق إنتاجه الشعرى الذى يتصف بالرهافة والمصداقية والدفء، وقد اتسم كريم معتوق بالعجلة في تعاطي الشعر والعشق، فلم تكن الشهيدة الفلسطينية (دلال المغربى) ملهمته الوحيدة، فهناك الجارات ومنهن: بنت الجيران التي عاتبته لتلصصه على زوجة جاره، ومنهن بعض نزيلات الفنادق التى سكنها في كثير من مدن العالم:

دعي حزني
دعي ما شئتِ من سهري
ذريني أحرثُ الماضي
وكوني فرحةَ الأيامِ يا قمري
دعي أشيائيَ الصُّغرى
دعي لي أمرَ ما يبديه هذا الليلُ
من طولٍ ومن قِصَرِ
ومن منفى بكاءِ الحرفِ
تحتَ تساقُطِ الألحانِ من وتري
فلي وحدي مقامُ الجهلِ بالتاريخ
مما قال، مما خطَّ ، مما صاغَ من عِبَرِ

ولا ريب في أن عبد الكريم معتوق واحد من الشعراء الإماراتيين الذين أثبتوا حضوراً وتفوقاً فى التعبير عن العشق فى الكثير من أشعاره:

يا ليلَ كازا يا فماً حاصرته شوقاً
فاتعبني الحصارْ
لم أدريا كازا ووجهكُ شاغلي
يوماً على فمكِ الطريِّ ستعتلي حممٌ
وتشتعلُ الحروبْ
ويُقالُ لي تُبْ عن هوى كازا
وأخشى أن أتوبُ

شغل كريم معتوق منصب رئيس اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، وكتب المقالات في الصحافة المحلية، كما أعد وقدم برامج إذاعية وتلفزيونية، واستطاع من خلال إبداع واضح وثقافة معمقة أن يجعل لشعره مذاقاً جمالياً مميزاً، من خلال الأدوات والقوالب الشعرية التى يختارها، والمزج بين التراث والحداثة أوالمعاصرة، وسنلاحظ أنه يحرص فى شعره على أن يضفر الواقع بالخيال لكى يضفي على شعره جماليات تفيض بالنداوة والصورالمعبرة المبتكرة، فشعره متين السبك قوي المعنى غني بالدلالات:

وإليك ياحلمي الجميلُ رضيتُ أنْ أجترَّ أخيلتي
وما في القلبِ من همسٍ
تَعَوَّده الأحبةُ والنساءُ العاشقاتْ
وأطوفُ معتمراً رياضَكِ فاتحاً وحدي
وأعتصرُ اللَّمى
حيناً وأنْ أطأ النجومَ العالياتْ

وقد صدرت للشاعر كريم معتوق دواوين: «طفولة» 1992، «مناهل» 1988، «طوّقتني» 1990، «مجنونة» 1992، «رحلة الأيام السبعة» 1992، «حكاية البارحة» 1992، «السامري» 1993، «هذا أنا» 1996، «أعصاب السكر» 1997، بالإضافة إلى ديوان «سوانح»، و«قصة موسى»، «وخذلتك الأمة» 1999، و«الطفلة الأخيرة» 2001 - 2010، وفي عام 2007 فاز الشاعر الإماراتي كريم معتوق بلقب «أمير الشعراء»، خلال المسابقة الأولى، التي نظمتها هيئة أبوظبي للثقافة والتراث للحصول على هذا اللقب، كما حصل على جائزة الشيخ راشد بن حمد، وجائزة جمعية الفجيرة الثقافية، ومازال عطاؤه مستمراً أطال الله عمره، وإنتاجه الشعرى الغزير سيخلد اسمه فى سجل تراث العاشقين من الشعراء العرب ■

عباس محمود العقاد مقتطفات ورؤية

د. هيثم يحيى الخواجة

ولد عباس محمود العقاد في الثامن والعشرين من شهر حزيران يونيو عام 1889م في مدينة أسوان بصعيد مصر. نشأ عباس وعقله أكبر من سنه ويكفي أن أذكر قول الشيخ محمد عبده فيه عندما عرض عليه مدرس اللغة العربية الشيخ فخر الدين كراسته عليه فتصفحها وقال لفخر الدين: (ما أجدر هذا الفتى أن يكون كاتباً بعد). لقد صدق الشيخ محمد عبده في نبوءته حتى إن العقاد نفسه قال: «عرفت قبل أن أبلغ العاشرة أني أجيد الكتابة وأرغب فيها، ولم ينقطع عني هذا الشعور بعد ذلك إلى أن عملت بها واتخذتها عملاً دائماً مدى الحياة».

أتم عباس تعليمه الابتدائي وعمل في وظائف عدة وفي هذه الفترة ثقف نفسه بنفسه ثقافة واسعة فرأى أن الوظيفة أقل بكثير من تطلعاته وطموحاته ولذلك قرر أن يتفرغ لعمله في الصحافة. في عام 1916 أصدر ديوانه الشعري عام 1916 وبعد ذلك أصدر ديوان وحي الأربعين ثم ديوان هدية الكروان، ثم ديوان عابر سبيل كانت البيئة المصرية النبع الذي يمتح منه سواء أكان ذلك بما يتعلق بمؤلفاته أم بالسجالات التي دارت بينه وبين أدباء عصره، ويكفي أن أذكر خوضه مع المازني معارك شديدة ضد أنصار القديم في كتابهما الديوان حيث هاجما أحمد شوقي وغيره هجوماً قوياً. وهنا أذكر من مؤلفاته : إبليس - الفلسفة القرآنية - الفصول - مطالعات في الكتب والحياة - مراجعات في الأدب والفنون - الشيوعية والإنسانية - أبو نواس - جحا الضاحك المضحك - حياة قلم - أنا - رجال عرفتهم - أما عن أهم مؤلفاته فهي: الله وسلسلة سير أعلام الإسلام: عبقرية محمد، عبقرية الصديق، عبقرية عمر، سيرة سعد زغلول. توفي العقاد في الثاني عشر من آذار سنة 1964 بعد أن أنجز نحو أربعين كتاباً. كتب العقاد آلاف المقالات وتبحر في الفكر الديني ومجالات الفكر الإنساني والعلمي كما كتب عن أهمية الفلسفة الثقافية العلمية.. تأثر بالشيخ محمد عبده ولهذا انتصر في غالب كتبه ومقالاته للإسلام والمسلمين. وذكر الكثيرون أنه كان يقرأ مئة صفحة ليكتب صفحة واحدة ومن ميزاته أنه يعتمد الدليل العقلي في حواراته، والذي لا يختلف عليه أحد هو أن إسهامات العقاد الأدبية والثقافية والدينية مجال تقدير النقاد والمبدعين، وإذا أضفنا إلى ذلك مواقفه الوطنية والثورية فإننا نشكل بذلك صورة متكاملة عن هذا الأديب الناقد، وعلى الرغم من أن إسلاميات العقاد التي بلغت نحو أربعين كتاباً هي المشهورة باعتباره تناول أعلام الإسلام ودافع عن الدين الحنيف وأنار على الفلسفة القرآنية وبين أن التفكير فريضة إسلامية وأن الإسلام دعا وأسس الديمقراطية وغير ذلك. ما أريد قوله إن العبقريات هي الكتب التي شهرت العقاد لأنه في هذه الكتب لا يهدف إلى الحديث عن الوقائع وإنما يهدف إلى رسم صورة للشخصية تبين سماته بأدق التفاصيل.

شاعريته :-

يمكن القول إن العقاد كاتب وباحث ومفكر ومؤرخ وشاعر فقد أصدر عشرة دواوين أذكر منها يقظة الصباح ووهج الظهيرة وأشباح الصيل، وأعاصير مغرب، وبعد الأعاصير، وأشجان الليل ووحي الأربعين وهدية الكروان وعابر سبيل. وما يميز شعره قوة السبك وجزالة الألفاظ والخيال المجنح والاهتمام بأمور الحياة كموضوعات شعرية لا أهميتها من ذلك قصيدته عن عسكري المرور

متحكم في الراكبين
ومالـه أبداً ركوبه
لهم المثوبة من بنانك
حين تأمر والعقوبة

تكريمه:-

لقي العقاد اهتماماً من قبل الأدباء والنقاد والباحثين واختير عضواً في مجمع اللغة العربية وحصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب 1959 وترجمت بعض كتبه إلى لغات عدة، وأطلقت

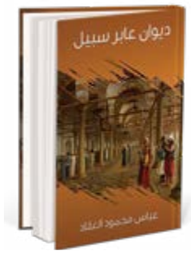

كلية اللغة العربية بالأزهر اسمه على إحدى قاعات محاضراتها وبايعه طه حسين بإمارة الشعر بعد موت شوقي وحافظ إبراهيم. واشتهر العقاد بصالونه الأدبي ووقف حياته على خدمة الفكر والأدب.

معاركه الأدبية :-

من أهم معاركه الأدبية معركته مع شوقي، طه حسين، وزكي مبارك، والرافعي، ومصطفي جواد، وعائشة عبد الرحمن، والزهاوي، وعبد الرحمن شكري، وقد ألف كتاباً مع المازني بعنوان «الديوان» هاجم فيه شوقي وله كتاب بعنوان معارك العقاد الأدبية.

مواقفه:-

دافع العقاد عن حقوق الوطن والحرية والاستقلال وسجن لمدة تسعة أشهر عام 1930 بتهمة العيب في الذات الملكية.

شخصيته والمرأة:-

كان العقاد واثقاً من علمه وفكره ولهذا عده بعضهم مغروراً حين رفض أن يلتحق بكلية الآداب ويجلس على مقاعد الدراسة. أحب العقاد مي زيادة ولعل ذلك يعود لجمالها أو لعلمها الواسع وموهبتها الأدبية. لم يتزوج العقاد، ولكن المرأة لم تغب عن حياته ألف كتاباً بعنوان: (المرأة هذا اللغز) وآخر (المرأة في القرآن الكريم) وثالث بعنوان (سارة) المرأة عنده أم وأخت وأنثى، وقد نظر إلى المرأة من خلال وعي الإسلام لها. كما أحب العقاد هنومة خليل عام 1940 وعاش سنوات في ظل هذا الحب.

رؤية:-

أسس العقاد بالتعاون مع إبراهيم المازني وعبد الرحمن شكري مدرسة الديوان، وكانت هذه المدرسة من أنصار التجديد في الشعر والخروج عن القالب التقليدي ويرى العقاد بأن العمل بالعقل أمر من أوامر الخالق ولا بد من الابتعاد عن الموانع وتجاوزها لكي يأتي التفكير سليماً من مثل العرف الشائع والاقتداء بالسلف واقتفاء آثارهم، فالتدبر والتفكير ضرورتان لأنهما طريق الرأي السديد. والسؤال إذا كان شعراء الكلاسيكية يهتمون بالعقل فلماذا وقف العقاد ضدهم. لقد أضاف العقاد إلى الاهتمام بالعقل الاهتمام بالجوهر والتمسك بالشروط الفنية وقد أخذ على شوقي أربعة عيوب في رثاء مصطفى كامل نوجزها بالتفكك والإحالة والتقليد وعدم الاهتمام بالجوهر، وهذا ما أبعده عن الشعر الحقيقي الرفيع المترجم عن النفس الإنسانية في أصدق علاقاتها بالطبيعة والحياة. فالقصيدة تشكل وحدة منسجمة كالجسم الحي لا يمكن التخلي عن أي عنصر أو إهمال أي عنصر، لأنه إذا فعل ذلك تصبح القصيدة بلا روح يقول شوقي:

للشرقـــان عليـــك ينتحبـــان
قاصيهمـــا فـــي مأتـــم والدانـــي
يا خـــادم الإســـلام أجـــد مجاهـــد
فـــي اللـــه من خلد ومـــن رضـــوان
لمـــا نعـــيت إلى الحجـــاز مشـــى الأسى
فـــي الزائريـــن وروع الحرمـــان
السكـــة الكـــبرى حيـــال رباهمـــا
منكوســـة الأعـــلام والقضبـــان
جـــار التراب وأنت أكـــرم راحـــل
مـــاذا لقـــيت من الوجـــود الفـــني

أما الإحالة فتعني فساد المعنى وهي ضروب منها الاعتساف والشطط والمبالغة ومخالفة الحقائق والخروج عن المعقول وغير ذلك. فهل السكة الحديدة تنكس الأعلام ويعني التقليد التكرار للقوالب اللفظية للمعاني والاقتباس والسرقة وغير ذلك. والسؤال إذا كان شوقي كذلك في رأي العقاد فلماذا اشتهر شوقي حتى صار أميراً للشعراء ولماذا لم يصل شعر العقاد إلى شعر شوقي.

الحقيقة التي يجب ألا تغرب عن بالنا هو أن رأي العقاد رأي ناقد قاس يريد أن يكون الإبداع على حدود الرأي النقدي والإبداع غير

ذلك هذا أمروالأمر الآخر هو أن الكثير من النقاد الذين أحبوا شوقي تحدثوا بآراء نقدية مخالفة لرأي العقاد، هل يعني ذلك أن العقاد لم يكن مصيباً؟ الجواب إنه أصاب في بعض آرائه ولم يصب في بعضها الآخر، شأنه شأن أي ناقد آخر. نعود إلى القول إن العقاد كان منافساً لشوقي، وإذا لم يكن كذلك فلنقل إنه كان يكره شوقي، إما لبرجوازية الأخير أولطبقته أولأمور أخرى ذكر بعضها في سياق النقد وصفحات التاريخ، ولهذا جاءت توجهاته النقدية قاسية كما تلمسنا رأيه في قصيدة رثاء شوقي لمصطفى كامل التي بلغت أربعة وستين بيتاً، وإذا أضفنا إلى ذلك مذهبه في الحداثة والتحديث وتجاوز الشعر التقليدي وانضمامه إلى جماعة الديوان أو مدرسة الجيل الجديد أدركنا لماذا حدث ما حدث بين العقاد وشوقي.

ها نحن اليوم نقدر أحمد شوقي كشاعر ونثمن شاعريته ونثمن العقاد كناقد ومؤلف للعبقريات ونثمن جهده وتوجهه.ألا يكفي قول شوقي:

وإنمـــا الأمم الأخـــلاق مـــا بقـــيت

فإن هـــم ذهـــبت أخلاقهـــم ذهبـــوا

لم يكن شعر العقاد أفضل من شعر شوقي سواء أكان ذلك في الرثاء أم غيرذلك من الموضوعات. يقول العقاد في رثاء واحد من أدباء قنا كان معروفاً بالورع اسمه حسين الحكيم:

وما كـــان أغلـــى ما بكـــيت وأطيبـــا

رفيق الصبا المعســـول أبكيـــك والصبا

كذلك لم يكن العقاد أفضل من شوقي في الوحدة الموضوعية للعقيدة والجوهر والإحالة والتقليد وغيرذلك.

إن هذا الرأي ينطلق من منطلقين:-

الأول: إن الزمن والتاريخ والنقاد يدل عليه ما أسلفت ويؤكده.

الثاني: إن العقاد في نقده لم يبرز إيجابيات القصيدة التقليدية بل تمحور. إن عباس محمود العقاد يمتلك رؤية نقدية عميقة، وإذا كنت سأتحدث عن العقاد من زاوية الحداثة باعتباره كان يؤمن بالتطور وتحديث الشعر العربي إلا أن ما أراه أن العقاد ناقض نفسه، فهو هاجم الشعر الكلاسيكي ونادى بتحديث وتطوير الشعر، وفي الوقت نفسه وقف ضد الحداثة والتحديث، حدث ذلك عندما أرسلت له قصيدة مكتوبة على شكل التفعيلة، وعلى الفور رفضها معتبراً أنها نثر وليست شعراً على الإطلاق من هذا الموقف افتقد الشعر الحديث ناقداً جباراً وعقلية مثقفة.

لقد طلب عباس محمود العقاد من الشاعر أحمد شوقي أن يطبق

مجموعة من الصفات الشعرية الحديثة على قصيدته وهو في الوقت ذاته لم يطبق هذه الصفات والسمات على شعره.

وهنا ننظر إلى الموضوع بمستويين:

الأول: إن رؤيته النقدية لم يستطع أن يحققها في شعره وقسا بهذه الرؤية على أحمد شوقي.

الثاني: وقوعه في التناقض بين النظرية والتطبيق.

لقد اهتم النقاد بالرومانسية الإنجليزية وتبنى هذه المدرسة، وإذا كانت هذه المدرسة تفسح مجالاً للعاطفة والألم والمعاناة، فإن العقاد ركز في نظريته على العقل فقط، وهنا نسأل كيف مثل العقاد في زمنه الحداثة واتخذ موقفاً ضد استمرار الإنسان في التقدم والمعاصرة وتطور القصيدة.

إن للشعر الحديث رموزاً تمثل الأصالة الشعرية والنقد لا يمكن أن يقلل من قيمة مبدع والمعروف أن أبا الطيب المتنبي تعرض لهجمات شرسة في النقد وبقي المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس. وهنا نشير إلى أهمية علاقة المبدع بالناقد، وإذا كان الإبداع يسبق النقد فإن النص المبدع لا يعيش من دون ناقد يلاحق الإبداع ويدفعه إلى الأمام.

وعلى هذا الأساس فإننا لان نستطيع تبرئة عباس محمود العقاد من الشخصي إلى جانب تناقضه بين ما يطلب وبين رؤيته للشعر الحديث مع أن المذهب الرومانسي وأعني النقد فيه كان يروج لهذا الشعر ويدعوله.

هذا النقد حول الشخص ذاته وحول وجهات نظر نقدية منها ما يتصف بالقسوة والقساوة.

أخيراً:-

أقول إن عباس محمود العقاد ناقد وكاتب وأديب نعتز به، وإن شوقي وغيره ممن نقدهم العقاد ظلوا علامة فارقة في أدبنا ونعتز بهم ويبقى الرأي في محور التأثير لا غير ■

المصادروالمراجع

• شوقي ضيف، مع العقاد، دار المعارف، القاهرة.

• محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، دار القلم، دمشق 1995.

• محمد مهدي علام، المجمعيون في خمسين عاماً، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1986.

• جمال الدين الرمادي، من أعلام الأدب المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة.

• نعمات أحمد فؤاد، قمم أدبية، عالم الكتب، القاهرة، 1984.

• د. دريد يحيى الخواجة، رأي في شعر العقاد.

• مجلة الهلال، عدد خاص عن العقاد.

«المصريون الأمريكان»

د. حمزة قناوي

شاعر مصري مقيم في الإمارات

يبرز كتاب «المصريون الأمريكان» للعالم المصري المقيم في الولايات المتحدة د. فكري أندراوس كأحد الكتب التي تحتاج إلى حساسية خاصة في التناول، فمنذ التقسيمات التقليدية للمدارس الأدبية وفي طليعتها ما عُرف باسم مدرسة «المهجر»، برموزها التي قدمت أدباً رومانسياً حالماً واستخداماً للغة العربية مغايراً لاستخدامات الشعراء المقيمين، إيليا أبو ماضي، وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة، وغيرهم، كان اللافت في جوهر إبداعهم السمات التي أصلتها الغربة في هذا الإبداع، وأثر مشاهدة تجربة حياتية مغايرة ركيزتها المكان والآخر، ورغم استغراق الأديب في حياته الجديدة، فإن هموم وطنه الأم تظل راسخةً في صدره، ويحاول أن يعبر عنها بمنظور جديد، قد لا يتاح لمن يعيشون على أرض الوطن، ومع مضي العقود، لم يعد مصطلح «أدباء المهجر» يتردد كثيراً، حتى إن استمر بعضهم في الكتابة بلغة غير العربية، فعادة ما تترجم أعماله إلى العربية، كأهداف سويف مثلاً، أو سمير أمين أو إدوارد سعيد، كل هذه الكتابات لا تقدم في إطار مدرسة أدبية مهجرية، تحاول أن تتواصل مع الثقافة الأم، وإنما تأتي في إطار ما أصبح متاحاً من معارف وتواصل كوني وفرته وسائل العولمة الحديثة.

في هذا السياق، يأتي كتاب «المصريون الأمريكان» نافذةً تفتح أفق الفكر العربي على رؤى وأفكار مختلفة، وعلى نوعية مغايرة من التجارب التي قد نراها بعيدة عنا، كيف أضحت الصورة الآن في المهجر؟ وما هي الخبرات والتجارب التي مرّ بها أولئك المهاجرون - أو المنفيون اختياراً - وعادوا يقدمونها لأوطانهم والثقافة الأم؟ كل هذه الأسئلة ترد إلى الذهن مع مطالعة هذا الكتاب، والطريف في الأمر، أن الكتاب يحمل في طابعه الروح الأمريكية، فهو من إعداد كاتبين مرموقين، هما: د.فكري أندراوس العالِم الكيميائي المصري الذي عمل في وكالة «ناسا»، ومنذ تقاعده عام 2000 وهو منشغلٌ بالثقافة العربية، أو بالأحرى بالتداخلات الثقافية وأثرها في الشخصية المصرية. ويشاركه أيضاً تحرير الكتاب محمود الشاذلي، الذي لا يقدم الكتاب عنه تعريفاً وافياً، ولكن نعرف من مقدمته أنه يحمل الجنسيتين الأمريكية والمصرية.

إن المجتمع الأمريكي مجتمع مختلط، متداخل، مختلف الثقافات بصورةٍ لافتة، وبعد قراءة الكتاب سيكتشف القارئ أنه ليس لديه صورة واضحة عن حقيقة الأوضاع الأمريكية، من أن أمريكا أرض الفرص والثروة والحياة الرغدة والوفرة، لقد اعتدنا التعامل مع هذه المفاهيم المتعلقة بالولايات المتحدة باعتبارها مسلّمات.

لكننا سنكتشف مع الكتاب أن هذه الرؤية ليست صواباً، فبجانب الحرية التي تتمتع بها أمريكا في إتاحة التعبير عن الرأي، إلا أنها بلد طاحن في العمل وفي وتيرة الحياة وإيقاعها الصاخب ومتطلبات الوجود بها.

ورغم ذلك فإن أمريكا تعتمد على تقديم الإغراءات لأفضل العقول في العالم حتى تستقر فيها، في جميع القطاعات المهنية. أتاح الكتاب لاثنتينِ وثلاثين شخصية أن تكتب عن نفسها بضع صفحات، وتناولت كل شخصية تجربتها الحية من زاوية أو منظور مختلف، وعبّرت عن نفسها وتجربتها بطريقة فريدة، بين القصة السريعة، أو المقال المحكم، أو السرد الذاتي المعتمد على التوثيق، وقد كُتبت هذه المواد بالإنجليزية وقام المحرران بترجمتها، ومن ثم كان الكتاب تعبيراً حقيقياً عن تعددية الرؤية، وهي طبيعة الروح الأمريكية ذاتها في النظر للأمور وتمثلها، حتى في الرؤية بين المحرَّرَيْن، وقد حوت اختلافاً واضحاً بينهما، وهو أمرٌ شديد الندرة في الثقافة العربية ■

تاريخ اللغات الآرية (الهندوأوروبية)

راشد سعيد مبارك

أثبتت الدراسات والأبحاث التاريخية الحضارية الإنسانية بأن اللغات الآرية (الهندوأوروبية) هي تلك اللغات التي تكلمت بها مجموعة من الشعوب عرفت اصطلاحاً عند المؤرخين والمستشرقين القدماء باسم (الشعوب الآرية الهندوأوروبية). وهناك أيضاً تسميات أخرى لهذه الشعوب عرفت اصطلاحاً عند مؤرخين ومستشرقين آخرين باسم (اليافثيون) وقد سموا بهذه التسمية نسبة الى شخصية عرفت في المصادر التاريخية القديمة على نه واحد من آبناء النبي نوح عليه السلام وهو (يافث بن نوح) وذلك بعد حادثة الطوفان العظيم .

وفي الحقيقة فإن هذه اللغات (الآرية) هي لغات منتشرة بشكل كبير ابتداء من قارة أوروبا مروراً بمنطقة الأناضول ثم بلاد فارس والسند وأفغانستان والهند وباكستان وبنغلاديش وغيرها. ومن المعتقد بأن الموطن الأصلي لهذه الشعوب الآرية الهندوأوروبية قبل انتشار لغاتها القديمة في المناطق التي تم ذكرها أنفاً هي (منطقة جنوبي روسيا) .

وبشكل عام سنذكر الآن نبذة عامة عن تاريخ هذه اللغات الآرية القديمة (الهندوأوروبية) وهي كالتالي :-

1. اللغات الجرمانية: وهي تلك اللغات التي تكلمت بها مجموعة من الشعوب أو القبائل الجرمانية القديمة مثل القوط الغربيون والشرقيون والفاندال واللومبارد والفرنج والفايكنج وهذه اللغات هي النرويجية والسويدية والدانماركية والهولندية ومن أشهر اللغات الجرمانية على الإطلاق هي الإلمانية والإنجليزية وهي تلك اللغة التي تكلمت بها الشعوب أو القبائل التي عرفت اصطلاحاً لدى المؤرخين والمستشرقين على حد سواء باسم (الإنجلوساكسون) حيث تجدرالإشارة بأن هذه اللغة الإنجليزية قد سميت بهذا الاسم نسبة الى قبيلة من قبائل الإنجلوساكسون عرفت باسم (الإنجلز) وهناك قبائل أخرى أيضاً عرفت على أنها من ضمن تحالف القبائل الإنجلوساكسون مثل (ساكسون) و(اليوت)

2. اللغات اللاتينية: وهي تلك اللغات التي تكلم بها اللاتينيون وقد تفرعت من اللاتينية وهي اللغة العامة لمدينة روما والحضارة الرومانية القديمة عدة لهجات تمثل اليوم اللغات الرومانسية مثل الإسبانية والإيطالية الحديثة والفرنسية والبرتغالية

3. اللغة الكلتية: وهي تلك اللغة التي تكلم بها الكلتيون القدماء وقد كانت منتشرة كثيرًا في أوروبا وقد تفرعت منها عدة لغات فرعية مثل :

1. اللغة الإيرلندية وهي لغة إيرلندا .

2. اللغة الاسكتلندية: وهي لغة اسكتلندا.

3. اللغة الويلزية: وهي لغة أهل ويلز وهي عبارة عن لغة بريطانية قديمة.

4. اللغات البلطية: وهي تلك اللغات التي تكلم بها الليتوانيون واللاتفيون وأهل بروسيا القديمة (النمسا).

5. اللغة اليونانية أو الإغريقية: وهي تلك اللغة التي تكلم بها اليونانيون أو الإغريق القدماء وقد كانت هي لغة الحضارة اليونانية القديمة.

6. اللغات السلافية القديمة: وهي تلك اللغات التي تكلمت بها الشعوب السلافية القديمة وقد انقسمت إلى عدة اقسام نذكر منها ما يلي:-

1. السلافية الجنوبية: مثل اللغات البلغارية والصربية الكرواتية والسلوفينية والبوسنية .

2. السلافية الغربية: مثل اللغات التشيكية والسلوفاكية والبولندية .

3. السلافية الشرقية: مثل اللغات الروسية والأوكرانية.

7. اللغة الحثية القديمة: وهي تلك اللغة التي تكلم بها الحثيون القدماء الذين استوطنوا في الهضبة الأناضولية وهي تركيا حالياً وينتمون عرقياً إلى الشعوب الهندوأوروبية (الآرية القديمة) وقد استطاع الحثيون أن يكونوا الإمبراطورية الحثية الأناضولية القديمة في التاريخ القديم لبلاد الأناضول.

8. اللغة الكوتية القديمة: وهي تلك اللغة التي تكلم بها الكوتيون القدماء ويكاد يتفق معظم المؤرخين أن (الكوتيين) ما هم إلا الأسلاف أو الأجداد المباشرون للشعوب والقبائل الكردية الآرية المنتشرة بكثرة في العراق وسوريا وتركيا وايران وهم من الأقوام الجبلية البدوية القديمة الذين نزحوا من جبال زاغروس بين ايران القديمة والعراق القديم وقد استطاعوا أن يؤسسوا إمارتهم في شمال العراق لمدة قرن من الزمان ما بين عامي (2211 - 2120 ق.م) وتمكنوا من القضاء على الدولة الأكادية السامية القديمة في سنة (2212 ق.م) ما يدل في الحقيقة على قوتهم وقدراتهم العسكرية الحربية الجبارة انذاك .

9. اللغة الفارسية: وهي تلك اللغة التي تكلم بها مجموعة من الشعوب الهندوأوروبية الآرية القديمة الذين استوطنوا في هضبة فارس القديمة بعد قضائهم على السكان الأصليين وهم (العيلاميون) مثل الاخمينيون والساسانيون والاشكنانيون والميديون الذين استطاعوا أن يؤسسوا إمارتين واحدة في الشمال هي (ميديا) والثانية في الجنوب هي (باريسيس) ومن الاخيرة اشتق اسم بلاد فارس لكن هاتين الإمارتين اتفقتا على توحيد شوؤنهما وإطلاق اسم (أرض الآريين) على عموم بلاد إيران القديمة .

10. اللغة الهندية الآرية: وهي تلك اللغة التي تكلم بها مجموعة من الشعوب الهندوأوروبية الآرية القديمة الذين استوطنوا في شمال القارة الهندية (الهنود الآريين) بعد قضائهم على السكان الأصليين وهم الهنود الدرافيديون ما بين عامي (2000 - 1500 ق.م) وقد تفرع منها عدة لغات مثل البنغالية وهي لغة بنغلاديش والتيلوغوية والتاميلية في سريلانكا والكجراتية في كجرات والأردية والبنجابية والسنسكريتية والسندية بالاضافة الى لغات اخرى مثل اللغة الأفغانية البشتونية التي تكلم بها الأفغان وهم من الشعوب الآرية القديمة في أفغانستان ■

أسس ومعايير تقويم المخطوطات وتقدير ثمنها

عبد الله بن يحيى السريحي

خلال فترة عملي الطويلة في مجال المخطوطات لفت نظري عدم إدراك الكثير من الناس، ومنهم بعض ملّاك المخطوطات للأسس والعوامل التي على ضوئها تُقدّر أثمان وأسعار المخطوطات، ورأيت الكثير منهم وقد جاءنا عارضاً مخطوطة أو قطعة من مخطوطة طالباً فيها الملايين، لأنه طرق إلى سمعه أن مخطوطة ما بيعت في المزاد الفلاني بمليون دولار أو أكثر، ويظن أن القطعة التي لديه ستجلب له مثل هذه المبالغ، بينما تكون تلك القطعة التي لديه هي من المتون العلمية في الفقه أو النحو..إلخ، والتي كانت مقررة على طلبة العلم في المدارس والمساجد قديماً قبل نشأة الجامعات الحديثة، ومنها مئات النسخ في المكتبات وخزائن المخطوطات، وفي الغالب تكون المخطوطة حديثة وسيّة الخط، وبعضها قد يكون أحد أجزاء القرآن الكريم التي كان يكتبها أشخاص بسطاء لأنفسهم غير متقنين لقواعد الخط، وليس فيها أي ميزة جمالية أو فنية، وقد تكون مليئة بالأخطاء الفاحشة من التصحيف والسقط وغيرها.

ولذلك أحببت أن أقرّب إلى الأذهان المعايير والأسس التي على ضوئها تقدّر أثمان المخطوطات إذ من المعلوم أن المخطوطات تتفاوت فيما بينها تفاوتًا شديدًا، من حيث قيمتها العلمية أو المادية، فهناك مُسَوَّدات ومُبيَّضات، وهناك نُسخ مُمْلاة ونُسَخ بخطوط المؤلفين، ونُسخ كتبها علماء ثقات، ونُسخ أخرى كتبها ورَّاقون يتفاوتون في درجة الدِّقة والإتقان، وهناك نُسخ موثَّقة ونُسخ مزيَّفة أو مزوَّرة، ونُسخ نادرة، وأخرى ركيكة لا يساوي ثمنها أكثر من الورق الذي كتبت به.

وقبل أن نذكر المعايير المعتبرة في تقييم أيّ مخطوطة وتقدير ثمنها نذكر بعض المصطلحات المستخدمة في عملية التقييم، باعتبارها من أبرز العوامل المهمة في عملية التقييم وفي تحديد أسعار المخطوطات، ومنها:

المخطوطة الفريدة: هي المخطوطة الوحيدة التي لا تُعرف لها نُسخ أخرى في مكتبات العالم.

المخطوطة النادرة والنفيسة: وهي التي تتوفر فيها إحدى الصفات التالية:

- لا يوجد منها إلا بضع نسخ في العالم.
- إذا كانت بخط المؤلف، أو أملاها أو قُرئت عليه وأجازها.
- أو تتميز بخط جميل ومتقن، ومزينة بصور وزخارف جمالية تميزها عن باقي المخطوطات.
- أوكانت من مخطوطات ما قبل القرن السادس للهجرة، وبخاصة عندما تكون تامة وسليمة وقليلة الأخطاء.

المخطوطة الخزائنية: هي المخطوطة الأنيقة المزخرفة صفحاتها بالرسوم الهندسية والنباتية، والمنسوخة نساخة جميلة كتبها خطاط ماهر برسم خزانة ملك أو أمير أو وجيه من الوجهاء.

المخطوطة الأم: وتسمى أيضا: (المخطوطة الأصلية): وهي التي كتبها المؤلف بخطه، أو أملاها وأشرف على نسخها وتصحيحها بنفسه.

المخطوطة المنسوبة: وهي المخطوطة المنسوخة عن الأصل (المخطوط الأم) وتمت مقابلتها عليها، أو قُرئت على مؤلفها وأجازها. وقد يطلق هذا الوصف أيضا على المخطوطة التي كتبها خطاط ماهر بخط متقن متناسق.

المعايير المعتبرة في التَّقييم:

تمر عملية التقييم بمرحلتين:

المرحلة الأولى: عند عرض أي مخطوطة على المكتبة للشراء يجب التأكد من أمرين:

الأول: التأكد من أصالة المخطوطة وأنها غير مزوَّرة ولا مزيفة ولا مصورة، والخبير في مجال المخطوطات الذي يتولى عملية التقييم يستطيع أن يميزها بحكم خبرته، وقد يستعين بوسائل الفحص العلمية الحديثة إذا كانت المخطوطة نادرة وغير مؤرخة ويغالي مالكها في سعرها.

الثاني: التأكد من صحة نسبتها إلى المؤلف، وذلك بالرجوع إلى مصادر التراجم والطبقات وفهارس المخطوطات..إلخ.

المرحلة الثانية: وبعد التأكد من أصالة المخطوطة وصحة نسبتها إلى مؤلفها يتم الاسترشاد بالاستمارة التي تتبناها المكتبة عادة لعملية تقييم المخطوطات وتقدير ثمنها، وتلبي حقول هذه الاستمارة معايير التقييم، وتتضن الحقول الآتية:

- عنوان وموضوع المخطوطة: تتفاوتُ قيمة المخطوطات صعودًا وهبوطًا بتفاوت موضوعاتها، فإذا كان عنوان وموضوع المخطوطة يتسم بأصالة المادّة العلميّة التي من شأنها المساهمة في إثراء المعرفة الإنسانية فإن ثمنها يكون أعلى من ثمن المخطوطات التي تدور في فلك الموضوعات (المدرسية) آنذاك: فقه، ونحو، وصرف..إلخ. وقد يكون في بعض هذه المعارف أحياناً بعض الجدّة والأصالة فتراعى.
- اسم المؤلف: وتتفاوتُ قيمتها المادية كذلك بتفاوت المكانة

العلمية للمؤلف، فهناك من المؤلفين من يُعدّ في صفوف العباقرة، وبعضهم دون ذلك.

• تاريخ النَّسْخ: يرتفع ثمن المخطوطة عندما يكون تاريخ النسخ في حياة المؤلف، أو في الحقب القريبة إلى عهده، ما لم تكن هذه المخطوطة هي المخطوطة الوحيدة (الفريدة) فلها تقدير خاص حتى لو كانت متأخرة، وفي حالة خلو المخطوطة من تاريخ النسخ فيمكن تقديره من خلال نوع الورق ونوع الخط والتجليد والتملكات والسماعات التي تحفل بها النسخة، كما يمكن من خلال المعلومات السابقة التثبت من التاريخ الحقيقي للنَّسْخ، فقد يدون الناسخ تاريخ نسخ المخطوطة (الأم) التي نقل عنها، أو تاريخ انتهاء المؤلف من تأليف الكتاب، ويهمل الناسخ تاريخ انتهائه هو من نسخ تلك المخطوطة إما (سهواً) أو (عمداً) بقصد التزوير.

• اسم الناسخ: يسهم معرفة اسم الناسخ في تقدير القيمة العلمية والمادية للمخطوطة، فإذا كان الناسخ هو المؤلف (نفسه)، فتعتبر تلك المخطوطة هي (الأم)، أو (الأصل)، ومثلها التي أملاها المؤلف على أحد تلاميذه وأثبت هو عليه خطه بصحة القراءة عليه، أو سماعه، أو إجازته، تليها المخطوطة التي نُسخت في عصر المؤلف وقُرِئَت عليه، أو تمت مقابلتها على النسخة الأم، يليها في المرتبة النسخة التي خطّها عالم معروف ومشهور بالدقة والضبط حتى لوكان متأخراً، لأن منسوخاتهم غالباً تخلو من التحريف والتصحيف والأخطاء، وأيضا النسخة التي عليها سماعات لعلماء معروفين، فوجود السماعات وكذلك الإجازات يعطي الثقة الكافية بصحة المخطوطة ويرفع قيمتها العلمية، وبعض النساخ كانوا من الخطاطين المشهورين مثل ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي..إلخ، فمثل فهذه المخطوطات تعتبر (نادرة) وتشترى بأثمان عالية بغض النظر عن محتواها.

• نوع الخط: يكتسب نوع الخط أهمية في تقييم سعر المخطوطة، فبعض المخطوطات كتبها نساخ (وراقون) محترفون بخط جميل ومتقن، وفي الغالب تكون هذه النسخة كُتبت لخزانة ملك أو أمير أو ثري من الأثرياء..الخ. وتعرف هذه المخطوطات بـ(الخزائنية) وفي تاريخنا الحضاري أسماء لامعة من الخطاطين المشهورين مثل ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي..(انظر الفقرة السابقة). وبعض الوراقين كانت خطوطهم عادية، وبعضهم الآخر خطوطهم رديئة وضعيفة جداً.

• وصف المخطوط (الملامح المادية والفنية للمخطوط): ويندرج تحته عدة عناصر، تؤخذ في الاعتبار عند القييم، من أهمها:

• نوع الورق وحالته: بعض المخطوطات القديمة كتبت على الجلد (الرق) وبعضها على البردي (وهي نادرة الآن)، وبعد ذلك ظهرت أنواع متعددة من الورق، فمنه الفاخر الجيد الصناعة والمواد، ومنه العادي، والضعيف، ويدخل في عملية التقييم كذلك حالة الورق عند عرضه للبيع، فقد يكون سليما، أو أثرت فيه عوادي الزمن.

• التجليد: يتفاوت حظ المخطوطات من التجليد باختلاف ملاكها ومستوياتهم المادية، وباختلاف البلدان والحقب الزمنية، فالبعض منها جُلِّد تجليداً متواضعاً بالورق أو الجلد أو القماش، وبعضها نال تجليداً مميزاً باستخدام الجلد المصقول المزين بالزخارف الهندسية والنباتية، فقد أصبح التجليد منذ القرن الرابع الهجري فناً وصناعة قائمة بذاتها، وكان لكل بلد طابعه الخاص في التجليد، وتطوَّر كذالك مع المراحل الزمنية المتعاقبة. ولذلك فإنه يستفاد من نوع تجليد المخطوط في تحديد عمره في حالة غياب تاريخ النسخ.

• الزخرفة والتذهيب والصور والرسوم: كانت المخطوطات في بدايتها تزخرف بخطوط بسيطة ثم أصبحت بعد ذلك ذات أشكال ورسوم هندسية لها أصول و قواعد، ونالت المصاحف أولا الاهتمام الأكبر بهذا الفن، وكذلك التذهيب (الكتابة والزخرفة بماء الذهب) بدأت في المصاحف أيضاً، وكانت الصفحات الأولى والأخيرة وعناوين السور تحظى بعناية أكثر، ثم ما لبث هذا الفن أن انتقل إلى الكتب الأخرى، وإلى التجليد أيضاً، وأضيفت الصور والرسوم إلى بعض المخطوطات العربية مثل كتب الطب والفلك والنبات التي تحتاج إلى صور أو رسوم توضيحية لتخدم أغراض الكتاب.

• الأبواب والعناوين الموجودة داخل المخطوط: بعض المخطوطات كانت تكتب عناوين الفصول والأبواب فيها بخط أكبر من خط نصّ المخطوط ثم أصبحت بعد ذلك تكتب بلون مخالف، مما يضفي عليه لمسة جمالية.

• التملكات والسماعات والإجازات: لها أهمية بالغة في توثيق المخطوطة والتأكيد صحتها وخلوها من الأخطاء، وتكشف عن قيمتها العلمية ومدى اهتمام الناس بها في فترات معينة من التاريخ، وبخاصة إذا كان هؤلاء الأشخاص المذكورين لهم مكانتهم العلميّة، وتزداد قيمة النّسخة بازدياد أعدادهم، وتباعد أزمانهم، وهي تساعد أيضا على تحديد تاريخ المخطوط في حالة عدم وجوده.

• التصويبات والإيضاحيات والتعليقات: كان الناسخ أو (المؤلف) إذا أخطأ في الكتابة يقوم بشطب الخطأ ويكتب الصواب بعده أو يضع الصواب فوقه، أما الكلمات المنسية فكانت توضع على موازاة السطر في الهامش أو في موقعه الحقيقي إذا توفرت المساحة لذلك، وقد يقوم أحد العلماء بعد ذلك بمهمة تصويب الأخطاء، أو التعليق على النص، وشرح بعض المفردات الغامضة فيه.

• هوامش المخطوط: حرص النساخ على ترك هوامش جانبية تتلاءم مع حجم الأوراق، وكانت الهوامش بحجم واحد في كل الصفحات، وكانت هذه الهوامش في بعض الأحيان تستخدم من جانب المؤلف نفسه لتصحيح بعض الأخطاء، وإضافة أو زيادة بعض العبارات لتوضيح النص. كما يمكن أن يستغلها كل قارئ في كتابة أية بيانات أو تعليقات أو تصحيحات.

• سلامة المخطوط: بعض المخطوطات تعرضت مع الزمن لسوء التخزين والحفظ أو الاستخدام فتمزقت بعض أوراقها، أو أصيبت بالخروم نتيجة الحشرات، وتتأثر بعضها بالجفاف نتيجة الحرارة العالية فتصبح أوراقها هشة سريعة التمزق، وقد تصاب بالبقع نتيجة الرطوبة وتلوث الهواء وغيرهما...إلخ. فيؤخذ كل ذلك في الاعتبار عند تقييم أي مخطوط.

مخطوطات القرآن الكريم:

وفيما يتعلق بمخطوطات القرآن الكريم، يستبعد من الحقول السابقة: الحقل الخاص بالمؤلف، والموضوع، والعنوان، وتُتَّبع في التقييم بقية المعايير السابقة، ويضاف إليها وصف:

• الفواصل ما بين الآيات وما بين السور.
• أنواع الحبر وألوانه.
• علامات الأجزاء والأحزاب.
• ترقيم الصفحات والآيات.
• مسطرتها: (مقاسها - عدد الصفحات - عدد السطور) ■

* دار الكتب، دائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي

الإنسان والباب.. أي علاقة

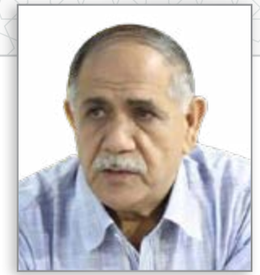

عبد الفتاح صبري
أديب وناقد مصري مقيم بالإمارات

الباب والإنسان علاقة أبدية ولكنها تتعدى من الإحساس المادي والبصري والحواسي مع جماد يؤدي وظيفة أرادها له الإنسان إلى علاقة من العشق والكره، من الحب والدفء، ومن برودة الإحساس بهذا الجماد، حيث إن الوظيفة المطلوبة من الباب هي وظيفة ديناميكية حركية، ولكن الإنسان العظيم صاحب العقل أيضاً صاحب مشاعر وصاحب حيوات عميق تجعله يقيم علاقات غير ممكنة نظرياً مع الأشياء الجامدة، تجعلنا نقف على جملة من التأملات، للبحث في كينونة هذه العلاقة غير المصدقة بين إنسان وباب، أو إنسان وشباك، أو إنسان وعمود خرساني في حجرته، فلسفة الحياة والحركة فيها تقوم أيضاً على شبكة معقدة من العلاقات بين الأضداد وبين الروح المتوثبة بالحياة ودفئها وحراكها، وبين ما هو مادي لأنها فلسفة العلاقة النفعية والعلاقة المتمأسسة على الفائدة، واستمرار الحياة في النهاية بدفء العلاقات ولو حتى مع جماد، الإنسان الفلاح يعشق الأرض ويعشق التراب لدرجة أنه يصعب عليه فراقها، والأرض في كل الحالات في الظاهر جماد لا مشاعر لها وفق الظاهر، وقس على ذلك هذه العلاقة التي يمكن أن تنشأ بين الإنسان وأخشاب مركبة في سطح الباب لتكون صداً أو رجاءً أو وقايةً.. أو ستراً.

منذ أن صنع الإنسان الباب، تولدت بينهما علاقات عميقة تفضي إلى الرضا المتبادل والسكينة الدائمة، بل إن تفكير الإنسان في صناعة الباب كان أساسه أن يلبي الباب طبائع ومظاهر تؤدي إلى الدفء والأمان، وإلى أن يكون الباب رحيماً بصديقه الذي صنعه أو الذي اقتناه، ليقوم بدوره في المكان فيطبطب على وقته ويهدئ من روعه ويقيه شر القادم سواء كان الإنسان أو الحيوان. ولذا تشكلت لدى الإنسان بعض القيم والسلوكيات والمشاعر تجاه الباب، الذي صار أحد أهم أدوات الضبط الحياتي في حركة الإنسان المعيشية واليومية، فالباب صار الأمين والحارس على المتاع والمعاش والمقتنيات والممتلكات والأطفال وكبار السن، وفي غياب الإنسان عن المكان المحروس من قِبل الباب يعظم دوره بشدة، وتتعاظم فائدته الحمائية والقيمية، ولهذا فإن الإنسان ارتبط في سلوكه بالباب ونشأت علاقة بين أخلاقه والباب. في حالة قلق الإنسان وعزلته سواء داخل سكنه لظروفه الخاصة أو العائلية، أو أن يكون في مكان عزل فيه قصراً كالسجن أو المعتقل أو الاحتجاز في منزله، ستتشكل علاقة ما بين الباب والإنسان.. علاقة مودة وتعاطف أو علاقة كراهة عميقة، وستكون علاقة طردية أو عكسية متمأسسة على الحالة الإنسانية. الإنسان المعزول في الظاهر طوعاً، المتوحد، المتشظي.. والذي تفرض عليه الظروف العائلية التحصن الجبري داخل السكن، فإنه سيكون على غير وفاق مع الباب الرئيس للمنزل أو الدار، وربما للباب الخاص بالغرفة لأنه في حالة من الاعتزال والاعتوار النفسي والقلق الإنساني، مما يجعله بحاجة للعيش في ذاته بعيداً عن الناس وعن من حوله أحياناً، هذا الابتعاد سيكون الباب هو الأقرب إليه، وسيكون من الأكثر الأشياء كراهة له الآن لأنه معبر للآخرين غير المرغوبين في حالته الراهنة، الذين يحاولون الدخول إليه ورؤية من لا يريد، والتعامل معهم حتى ولو كانوا من أهل المكان من عائلته أو أقربائه وأصدقائه.. والباب ممر غير مرغوب فيه لأنه كوة للداخلين إليه، وحتى لكونه لا يريد الخروج من شرنقة عزلته، ولا يريد رؤية أو الاحتكاك مع آخرين خارج حالته وخارج إطاره النفسي وما هو فيه من تشظ واعتوار وقلق ذاتي لأسبابه ولما هو فيه. بينما في حالة العزل القسري، قد يختلف الأمر بين المعزول والباب، حيث ستتولد علاقة معبّرة عن حالة المعزول القسري الباحث عن حريته والخروج من قسوة المكان الضيق الذي فرض عليه عقاباً أو تأديباً أو انتقاماً.. في كل الحالات هو إنسان مقيد الحركة ومنزو في مكان أضيق من الواقع، ومن مساحة مرنة مفتوحة كان ينعم بها سابقاً، ويحياها في الماضي، يتوق إليها الآن. الإنسان بطبعه لا يحب القيود والرسوف في المكان ضيق الأركان مظلم الضوء، محدود النظر، أبعاده الضيقة تطبق على الأضلاع، ومن ثمّ على الروح والفكر، فيعتل البدن وتهن الحركة وتسري في الأوصال أوجاع الابتراد والعزلة والتوحد والتشظي. الباب هنا سيمثل طاقة التحرر والنور والترحال والحركة وسيكون محرضاً للخيال، والانبعاث نحو الأرحب والأوسع باتجاه شساعة الحياة والانطلاق فيها، العلاقة هنا مبنية على الحميمية بين المعزول والباب، لأن الباب هو الأكثر التصاقاً به الآن، وهو بطاقة الخروج والتحرر ورمز الانعتاق وباب الحرية الأوسع التي يحلم بها في لحظته الراهنة. الباب يمنح السجين بهجة الانشراح حين يتخيله مفتوحاً ومسرباً للحياة خارج هذه العزلة وتلك الأركان الضيقة، سيمثل الباب كما يتهيأ له كوة النجاة للفرح الآتي غير المحدد بأسوار وحوائط، يشكل الباب للسجين أملاً من مأزق ضيق المكان، إنها علاقة تتحول رويداً إلى دفء الوله والعشق لأنه باب النجاة ظاهره العذاب والضيق والتحكم، وباطنه الحرية والانعتاق، الباب حين يتخيله المعزول مفتوحاً فإنه جمرة عشق للحرية وبهجة انتظار لها. الاهتمام بالباب يمثل معاني الخير القادم ومحبات النور القادم الذي سيهطل حين يئز الباب وينفتح للخروج من ربقة المكان ومن آثار العزلة وقسرية التحكم في الإنسان بقيود الأركان الضيقة في الحجرة الضيقة، ويتحكم فيها باب مغلق بإتقان وإحكام لا تسمح أعقابه بانسراب حتى الروح منها. في علاقة الدال والمدلول تبدو أهمية علاقة الإنسان بالباب، فقد قيل المنزل يعرف من بابه، أي أن الباب هو المفتاح، مفتاح البيت دلالياً هو الباب الحارس والمنقذ والمعبر إلى الداخل، ومن هنا تبرز هذه العلاقة بين الكائن البشري الإنسان وبين الكائن الجماد الباب، الباب هنا دال على إنسان الداخل شكله الاجتماعي ومكانته الاجتماعية وسلوكه الإنساني، فالباب يشكل بعلاقته بصاحبه وبأهل المنزل الذي يحرسه صورة للتأمل بعمق في موجودات الحياة ومحركاتها، وكيف يتخلق السلوك البشري عندما يحيط ذاته ونفسه بشبكة من العلاقات المستمدة من بشريته ليضيفها ويبعثها في أوصال من جماد ومن خشب لا يدرك ولا يحس، ولكن هذه الحميمية التي تشكل وجدان الإنسان صاحب المكان مع الباب، هي نتاج الخبرات والتراكمات للإنسان تجاه الباب الذي هو عنوانه وعنوانه داره ودليل على دفء ما يتشكل في الوعي تجاه الأشياء المهمة في حياتنا، والتي تصبح ضرورة في آلية الحياة، ويصبح الباب وريث الواقع والرمز والمجاز حتى أصبح الباب من الضرورات الاجتماعية والأساسية والنفسية، وليس كمالياً أو ترفاً أو مجرد حارس بمعناه الضروري في مواجهة أعداء محتملين، ولكن ما تشكل في يقين الإنسان تجاه الباب هو نظرة فلسفية عميقة تجاه الكون المسير بإدارات غير مدركة لنا، ولكننا مطمئنين لأن هناك إرادة نؤمن بها هي الحارسة على الحركة ومسيرة الكون، مثل إدراكنا تجاه الباب كونه العمق النفسي والأمني الذي أصبح مرتبط بطمأنينة الإنسان تجاه ما يتحقق من وجود الباب في حياتنا وعلى مداخل وحيوات منازلنا. كان لدينا باب.. لما شاخ الباب وهَرِم أصبح عصياً على الانقياد حين الفتح والإغلاق، مزمجراً تئز مفصلاته بالصراخ وعدم قدرتها الصدئة على الدوران بهذا الثقل الذي تحمله من عشرات السنين بلا هوادة أو رحمة أو صيانة تليق بضرورة حركتها المطواعة، كنت صغيراً لا أقوى على فهم آلية الدوران والحركة وقوانينها، ولما كبرت تقينت أن الباب العصي على أوامرنا نحن البشر أهل البيت راجع بالأساس إلى حزن الباب ويأسه، فصاحبه الأساسي لم يعد يحنو عليه، بل إنه اختفى تماماً غادر إلى ربه ولم يعد للباب صديق حميم قريب يفهم حاجاته ومتطلباته، الباب مثلنا له ما يطلبه ويعينه على ما هو مطلوب منه، هذه الرعاية حين تفقد يهرم الباب وتتفكك أوصاله وتصدأ مكامن حركته، لأن هنا إهمالاً مقصوداً أو غير مقصود، هذه العلاقة بين الباب وصاحبه حين تهت تتجمد حركته وتنحرف تراكيبه، ويصعب دورانه، ربما لن يغلق كما يجب ولن يفتح كما يجب، فتنهمر منه أصوات حزنه وآلامه الصوتية معلنة عن فلسه وعدم قدرته على الانصياع الآمن، عكس ذلك حين تكون العلاقة واضحة وقوية سنجد أيادي الرحمة تمتد إليه كلما احتاج إلى إصلاح خلل أو تقوية مكمن أو تلميع بروز أو إخفاء عيوب يبرزها الزمن وكثرة الدوران حول نفسه آلاف المرات عبر الأيام والليالي ■

حكاية العقيلي واليازيّه

خليل عيلبوني

قرأت في مجلة التراث قبل نحو ثلاث سنوات قصة تراثية إماراتية بطلها فارس يدعى العقيلي وعرفت أن هذه الحكاية متداولة وخاصة لدى الآباء والأجداد من مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة.

تأثرت بالحكاية ودفعني ذلك التأثر إلى سردها بالشعر العربي الفصيح. كانت التجربة صعبة، ولكن شعرت بالارتياح بعد أن وجدت الشعر قد ألم بجميع جوانب هذه الحكاية، ولانتساب هذه الحكاية إلى تراث الإمارات فإنني أضع هذه القصيدة الحكاية في مجلة التراث مؤكداً أن الشعر العربي قادر على رواية الحكايات من دون أن تقف أمامه صعوبات أو عثرات أو حتى سدود. وهذه هي التجربة تجسدت شعراً عربياً جلياً.

حِكايَة العِقيلي واليَازيّه

كَـــانَ يَا مَـا كَـانَ فِـــي مَاضِي الزَّمَـانِ
أُسْـــرَةٌ تَحْيَـــا بِحُـــبٍّ وَأَمَـــانِ
وَالِـــدُ الأُسْـــرَةِ شَيْـــخٌ فَـــارِسٌ
وَهْوَ بَيْنَ القَـــوْمِ ذُو قَـــدْرٍ وَشَـــانِ
عِنْـــدَهُ مَاشِيَـــةٌ مَـــعْ إِبِـــلٍ
مَا لَهَـــا عَـــدٌّ وَتَبْـــدُو لِلعَيَـــانِ
كَـــانَ يُدْعَـــى بِالعِقِيلِـــيِّ وَقَـــدْ
صَـــارَ مَعْرُوفـــاً لَدَى قَـــاصٍ وَدَانِـــي
ذَاتَ يَـــوْمٍ قَـــالَ لِلْبِكْـــرِ : اسْتَلِـــمْ
رَعْيَ هَذِي النَّـــوقِ فِـــي كُـــلِّ مَكَـــانِ
فَأَطَـــاعَ البِكْـــرُ أَمْـــراً صَـــادِراً
مِـــنْ أَبٍ حَـــانٍ مَلِـــيءٍ بِالحَنَـــانِ
سَـــارَ لِلْمَرْعَـــى وَلَكِـــنْ عِنْدَمَـــا
عَادَ لِلأَهْـــلِ بِـــهِ ضَعْـــفٌ وَعَانِـــي
عَاجِـــزاً عَـــنْ نُطْـــقِ حَرْفٍ واجِـــدٍ
وَهْوَ مَـــنْ كَـــانَ فَتىً طَلْـــقَ اللِّسَـــانِ
شَعَـــرَ الوَالِـــدُ بِالخَـــوْفِ عَلَـــى
بِكْـــرِهِ العَائِـــدِ مِـــنْ دَاءٍ يُعَـــانِي
قَـــالَ لِلْأَوْسَـــطِ مِـــنْ أَوْلَادِهِ
قُـــمْ بِرَعْيِ الإِبِـــلِ كُنْ طَـــوْعَ البَنَـــانِ
قَـــالَ : أَبْشِـــرْ يَـــا أَبِـــي إِنِّي لَهَـــا
وَمَضَـــى فَـــوْراً عَلَـــى ظَهْـــرِ حِصَـــانِ

وَالَّـــذِي مَسَّ أَخَـــاهُ مَسَّـــهُ
عَادَ مَخْبُـــولاً سَقِيمـــاً لِلمَغَـــانِي
مَـــا الَّذِي يَحْـــدُثُ فِـــي أَبْنَائِـــهِ
قَالَهَـــا الوَالِـــدُ وَالخَافِـــقُ حَانِـــي
أَرْسَـــلَ الثَّالِـــثَ يَرْعَـــى نُوقَـــهُ
وَهُـــوَ الأَصْغَـــرُ لَكِـــنْ ذُو طِعَـــانِ
فَـــارِسٌ يَخْشَـــاهُ فُرْسَـــانٌ لَهُـــمْ
شُهْـــرَةٌ فِـــي ضَرْبِ سَيْـــفٍ أَوْ سِنَـــانِ
يُوسُـــفٌ فِي الحُسْـــنِ كَـــمْ هَامَـــتْ بِـــهِ
مِـــنْ عَـــذَارَى سَاحِـــرَاتٍ وغَوَانِـــي
غَيْـــرَ أَنَّ الثَّالِـــثَ ارْتَـــدَّ كَمَـــا
فَعَـــلَ الأَوَّلُ مِـــنْ قَبْـــلُ وَثَانِـــي
صَرَخَ الوَالِدُ : قُـــلْ لِـــي مَـــا جَـــرَى
قَالَ : هَذِي شَيْخَـــةُ الغِيـــدِ الحِسَـــانِ
واسْمُهَـــا يَـــازِيَّـــةٌ يَا وَالِـــدِي
أَهْلَكَتْنِـــي سَلَـــبَتْ مِنِّـــي جَنَانِـــي
حِينَمَـــا أَرْخَـــتْ نِقَابـــاً وَبَـــدَا
وَجْهُهَـــا أَدْرَكْـــتُ أَنِّي اليَـــوْمَ فَـــانِي
يَـــا أَبِـــي لاَ عَيْـــشَ يَحْلُـــو دُونَهَـــا
هِـــيَ وَاللهِ غَـــدَتْ كُـــلَّ الأَمَـــانِي
العِقِيلِـــيُّ بِحُـــبٍّ قَـــالَ : قُـــمْ
نَحْنُ مُنْذُ اليَـــوْمَ فِـــي أَقْـــسَى امْتِحَـــانِ
إِنَّ فِـــي اليَـــازِيَّةِ الحُسْـــنَ الَّـــذِي
يَسْتَحِـــقُّ البَـــذْلَ مِـــنْ غَـــيْرِ تَـــوَانِي
قَـــالَ : إِنِّـــي أَبْـــذُلُ الرُّوحَ أَبِـــي
إِنْ مِـــنَ اليَازِيَّـــةِ الدَّاعِـــي دَعَانِـــي
مُـــرْ بِمَـــا تَبْغِـــي فَإِنِّـــي طَائِـــعٌ
لَمْ أَكُـــنْ يَوْمـــاً بِرِعْدِيـــدٍ جَبَـــانِ
فَأَجَـــابَ الوَالِـــدُ : الأَمْـــرُ ابْتَـــدَا
فَاسْتَمِـــعْ وافْهَـــمْ مَقَالِـــي وَبَيَانِـــي
وَخِطَّـــةُ الوَالِـــدِ كَـــانَتْ مُحْكَمَـــه
وَخِـــبْرَةُ السِّـــنِينِ كَـــانَتْ مُلْهِمَـــه

شَهْبَـــارُ كَـــانَ خَـــيْرَ فَحْـــلٍ عِنْـــدَهُ ... وَاحْـــذَرْ بِسِـــرِّ القَلْـــبِ إنْ تُكَلِّمَـــه

يَمْتَـــازُ بِالسُّـــلاَلَـــةِ المُكَرَّمَـــه ... إلاَّ إذَا وَجَـــدْتَـــهُ مُكَـــرَّمـــاً

ثَـــلاَثَ بِكْـــرَاتٍ تَخَيَّـــرَ الفَـــتَى ... لِصَيْـــدَحٍ فِتِـــلْكَ لِلشَّـــهْمِ سِمَـــه

بِلَوْنِهَـــا وَبَـــأْسِهَـــا مُقَيَّمَـــه ... هُـــوَ الوَفِيُّ أَعْطِـــهِ السِّـــرَّ وَثِـــقْ

صَفْـــرَاءُ مَعْ شَقْـــرَاءَ مَـــعْ مُحْمَـــرَّةٍ ... بِأَنَّـــهُ لَقَـــادِرٌ أنْ يَكْتُمَـــه

وَالكُـــلُّ فِـــي حَظِيـــرَةٍ مُنَظَّمَـــه ... وَحِينَمَـــا الْتَقَـــى بِرَاعٍ سَـــارِحٍ

السَّمْـــنُ والشَّهْـــدُ المُصَـــفَّى أَكْلُهَـــا ... لَـــمْ يَسْتَطِـــعْ بِسِـــرِّهِ أنْ يُعْلِمَـــه

وَفِـــي الحَلِـــيبِ وَجْبَـــةٌ مَتَمِّمَـــه ... لِأَنَّـــهُ لَـــمْ يَحْتَـــرِمْ صَيْدَحَـــهُ

وَبَعْـــدَ عَـــامٍ كَامِـــلٍ وَنَيِّـــفٍ ... وَصَيْـــدَحٌ عَـــزِيزَةٌ لَيْسَـــتْ أَمَـــه

تَـــمَّ اخْتِيَـــارُ النَّاقَـــةِ المُلاَئِمَـــه ... لَكِنَّـــهُ لَمَّـــا الْتَقَـــى بِآخَـــرٍ

وَكَـــانَتِ الحَمْـــرَاءَ صَيْـــدَحَ الَّتِـــي ... أَعْطَـــى لِصَيْـــدَحٍ عَطَايَـــا قَيِّمَـــه

شَـــبَّتْ بِرَاعِهَـــا الكَرِيـــمِ مُعْزَمَـــه ... أَكْرَمَهَـــا بِلَبَـــنٍ وَعَسَـــلٍ

زَوَّدَهُ أَبُـــوهُ بِـــاحْتِيَـــاجِـــهِ ... لَـــمْ يُبْـــدِ مِثْـــلَ غَيْـــرِهِ تَبَرُّمَـــه

لِرِحْلَـــةٍ طَوِيلَـــةٍ وَمُبْهَمَـــه ... أَخْبَـــرَهُ بِسِـــرِّهِ أَدْخَلَـــهُ

لِلشَّرْقِ سَـــارَ فَـــوْقَ ظَهْـــرِ صَيْـــدَحِ ... لِلْقَلْـــبِ، كُـــلّ مَـــا لَدَيْـــهِ سَلَّمَـــه

إِلَـــى حِمَـــى اليَازِيَّـــةِ المُتَيَّمَـــه ... فَقَـــالَ : أَبْشِـــرْ إِنَّنِـــي أَعْرِفُهَـــا

وَالِدُهَـــا هُـــوَ المُعَـــنَّى سَيِّـــدٌ ... فَهِيَ ابْنَـــةٌ لِسَيِّـــدٍ مَـــا أَكْرَمَـــه

فِـــي قَوْمِـــهِ ذُو سُمْعَـــةٍ وَمَكْرُمَـــه ... هُـــوَ المُعَنَّـــى وَالمُعَنَّـــى طَـــيِّبٌ

أَوْصَى العِقِيلِـــيُّ ابْنَـــهُ وَصِيَّـــةً ... وَنَـــارُهُ فِي كُـــلِّ حِيـــنٍ مُضْرَمَـــه

بِخِبْـــرَةِ الأَيَّـــامِ كَـــانَتْ مُفْعَمَـــه ... وَإِنَّنِـــي الرَّاعِـــي لِمَـــا يَمْلِكُـــهُ

لاَ تُعْـــطِ يَـــا إِبْنِـــي ثِقَـــةً لِأَحَـــدٍ ... وَالفَخْـــرُ لِـــي يَا سَيِّـــدِي أَنْ أَخْدِمَـــه

وَاليَوْمَ فِي لَيْـلِ الدُّجَـى يَـا سَيِّـدِي ... أَمَّـــا العَقِيلِـــيُّ فَعِنْدَمَـــا رَأَى

سَـــوْفَ تَرَى اليَازِيَّـــةَ المُنَعَّمَـــه ... نَاقَتَـــهُ بَيْنَ الأَيَـــادِي المُجْرِمَـــه

أَرْكَبَـــهُ بَيْـــنَ أَوَانِـــي لَبَـــنٍ ... هَـــبَّ إِلَى نَجْدَتِهَـــا بِجُـــرْأَةٍ

يَحْمِلُهَـــا جَمَلُهَـــا وَأَفْهَمَـــه ... مُقَدِّمـــاً بِلاَ حِسَابَـــاتِ دَمَـــه

قَالَ لَـهُ: الظَّـــلاَمُ خَـــيْرُ سَاتِـــرٍ ... وَفَكَّهَـــا مِـــنْ أَسْرِهَـــا بِحِيلَـــةٍ

لِتَصِـــلَ المَنَاطِـــقَ المُحَرَّمَـــه ... وَجَـــاءَ بِاليَازِيَّـــةِ المُلَثَّمَـــه

وَسَـــارَ فِي ظَـــلاَمِ لَيْـــلٍ جَمَـــلٌ ... وَاغْتَلَيَـــا ظَهْـــراً لِصَيْـــدَحٍ وَمَـــا

لَمْ يَكْتَـــرِثْ أَنَّ الطَّرِيـــقَ مُظْلِمَـــه ... خَافَـــا مِـــنَ الفَـــوَارِسِ المُهَمْهِمَـــه

فَإِنَّـــهُ يَعْـــرِفُ سَيِّـــدَتَـــه ... كَـــرَّ المُعَـــنَّى بِالرِّجَـــالِ خَلْفَـــهُ

وَأَيْـــنَ يَـــازِيَّتُـــهُ مُخَيِّمَـــه ... وَصَيْـــدَحٌ تكِـــرُّ فِـــي المُقَدِّمَـــه

وَعِنْدَمَـــا رَأَتْـــهُ خَافَـــتْ إِنَّمَـــا ... لاَ يَسْبِـــقُ الصَّيْـــدَحَ إلاَّ إِبْنُهَـــا

رَقَّـــتْ لَـــهُ وَنَهَضَـــتْ مُسَلِّمَـــه ... وَمَـــا لَهَـــا مِـــنْ وَلَـــدٍ لِتَفْطِمَـــه

أَخْفَتْـــهُ عَـــنْ كُـــلِّ عُيُـــونِ قَوْمِهَـــا ... نَحْـــوَ دِيَـــارِ قَوْمِـــهِ تَقَدَّمَـــتْ

وَاعْتَرَفَـــتْ بِأَنَّهَـــا مُتَيَّمَـــه ... صَيْدَحُـــهُ لِفَوْزِهَـــا مُصَمِّمَـــه

وَاتَّفَقَـــا عَلَـــى الزَّوَاجِ إِنَّـــهُ ... لَـــمْ يَسْتَطِـــعْ قَـــوْمُ المُعَنَّى نَيْلَـــهُ

نِهَايَـــةٌ جَمِيلَـــةٌ مُحَتَّمَـــه ... وَهَكَـــذَا تَمَّتْ فُصُـــولُ المَلْحَمَـــه

وَصَيْـــدَحٌ ظَلَّـــتْ لَدَى صَدِيقِـــهِ ... تَـــمَّ الزَّوَاجُ وَالمُعَـــنَّى بَعْدَهَـــا

عَزِيـــزَةً آمِنَـــةً مُكَرَّمَـــه ... لَـــمْ يَعْتَرِضْ أَوْ يَلْتَـــجِئْ لِمَحْكَمَـــه

لَكِنْ دَهَـــاءُ القَـــوْمِ قَدْ كَشَفَهَـــا ... وَلِلْعَقِيلِـــيِّ أَتَـــى مُبَارِكـــاً

فَأُخِـــذَتْ ذَلِيلَـــةً مُسْتَسْلِمَـــه ... اللَـــهَ مَـــا أَجْمَلَهَـــا مِنْ خَاتِمَـــه ■

من حكايات إيسوپ ثلاث قصص للأطفال

محمد عبد الفتاح

1 - الضفادع والثور

في يوم من الأيام، أتى ثور ضخم ليشرب من بِرْكة ينمو على حدودها نبات القصب بكثافة. وبينما هو يقذف نفسه في الماء بشدة جعلت قطرات المياه تتطاير في الهواء مثل نافورة، داست قدمه ضفدعاً صغيرًا فجعلته يغوص عميقًا في الوحل.

ولكن سرعان ما أحست أمه بغيابه، فراحت تسأل إخوته وأخواته عما يمكن أن يكون قد جرى له.

قال واحد منهم: «وحش هائل دهسه بقدمه الضخمة!»

قالت الضفدعة العجوز: «هممم... كبيرًا كان!» ثم حبست الهواء في رئتها، وراحت تنفخ نفسها بشدة لتصبح أكبر حجمًا، وتساءلت قائلة: «هل كان كبيرًا هكذا؟»

صاحوا جميعًا قائلين: «أوه! أكبر كثيراً من هذا.»

ظلت الضفدعة العجوز تنفخ نفسها أكثر وأكثر.

ثم قالت: «لا يمكن أن يكون أكبر من هذا». ولكن الصغار قالوا إن الوحش أكبر بكثير جدًّا، بينما ظلت الضفدعة العجوز تنفخ نفسها أكثر وأكثر... وإذا بها تنفجر فجأة كبالونة مملوءة بالهواء لتتناثر أشلاؤها في المكان!

الحكمة: لا تُحَمِّلْ نفسَكَ فوق طاقتها.

2 - جرس للقطة

كان يا ما كان أن دعت الفئران إلى اجتماع لوضع خطة تخلصها من عدوها: القطة. أو - على الأقل - للعثور على طريقة تساعدهم على معرفة موعد قدومها، حتى يتمكنوا من الهرب في الوقت المناسب. في الحقيقة، كان عليهم أن يفعلوا شيئًا، فقد كانوا يعيشون في خوف مستمر من مخالبها، حتى إنهم لم يكونوا يغادرون جحورهم ليلاً أو نهارًا إلا في أضيق الحدود.

راحوا يناقشون الكثير والكثير من الخطط، ولكنهم لم يجدوا خطة واحدة مناسبة. في نهاية المطاف، وقف فأر شابٌّ، وصاح قائلاً: «عندي خطة تبدو شديدة البساطة.. ولكنني أعرف أنها ستكون ناجحة.. كل ما علينا هو أن نُعَلِّق جَرَسًا حول رقبة القطة. وعندما نسمع رنين الجرس سوف نعرف على الفور أنها آتية».

تعجبت الفئران كثيرًا من أنها لم تفكر في مثل هذه الخطة من قبل. ولكن وسط فرحتها الشديدة بهذه الفكرة الجميلة، نهض فأر عجوز وخاطب الفئران قائلاً: «لا شك أن خطة الفأر الشاب خطة رائعة.. ولكن دعوني أسأل سؤالاً واحدًا: من - يا ترى - هو الذي سيعلق الجرس في رقبة القطة؟».

الحكمة: معرفة ما يجب عمله شيء، أما تنفيذه، فهو شيء مختلف تمامًا.

3 - فئران المدينة وفئران القرية

ذات مرة، ذهبت فأرة من سكان المدينة لزيارة فأرة قريبة لها من سكان القرية. على الغداء، أعدت فأرة القرية وجبة من سيقان القمح وبعض الخضراوات وثمار الجوز، مع كمية من المياه الباردة. أخذت فأرة المدينة تأكل ولكن بغير حماس؛ تقرض قليلاً من هذا وقليلاً من ذاك، حتى صار واضحًا تمامًا من سلوكها هذا أنها لا تأكل إلا الطعام البسيط حتى لا تجرح إحساس قريبتها.

بعد الغداء، انهمكت الصديقتان في حديث طويل، أو - إن شئنا الدقة - راحت الضيفة تحكي عن حياتها في المدينة بينما صديقتها تسمعها في اهتمام. بعد ذلك ذهبت الصديقتان إلى جحر دافئ تحت جذور الأشجار المحيطة بالحقل، واستمتعتا بنوم هادئ مريح حتى الصباح. في نومها، حَلَمت فأرة القرية بأنها واحدة من سكان المدينة بكل ما فيها من أسباب البهجة ووسائل الترفيه التي حكت عنها صديقتها. وفي الصباح، طلبت منها صديقتها أن تعود معها إلى المدينة، فوافقت وهي في قمة السعادة. عندما وصلتا إلى القصر الذي تعيش فيه فأرة المدينة، وجدتا في غرفة الطعام مائدة عامرة بكل ما لذ وطاب مما تبقَّى من طعام وليمة فاخرة؛ حلويات مختلفة الأنواع والألوان، ومعجنات، وأصناف من الجبن اللذيذ، في الحقيقة، كل ما يمكن أن يشتهيه أي فأر. ولكن بمجرد أن جلست فأرة القرية لتناول الطعام، سمعت قطة تموء بصوت عالٍ وهي تخدش الباب بمخالبها. فأسرعت الفأرتان بالهرب إلى مخبأ بقيتا فيه وقتًا طويلاً وهما تحبسان أنفاسهما من الرعب. عندما تجرأتا بعد فترة على العودة للوليمة مرة أخرى، انفتح الباب فجأة، ودخلت خادمة لتنظف المائدة، وفي أعقابها مباشرة، دخل الكلب الذي يحرس المنزل.

توقفت فأرة القرية في جحر صديقتها لحظات قليلة لتأخذ حقيبتها ومظلتها. ثم أخذت تجري وهي تخاطب صديقتها قائلة: «ربما كان عندك ما ليس عندي من أسباب الرفاهية والأطعمة الشهية.. ولكنني أفضل طعامي المتواضع وحياتي البسيطة في الريف حيث أشعر بالأمان والسلام». الحكمة: الفقر مع الأمان أفضل من الوفرة في جو من الخوف والقلق ■

إشارات:

• إيسوب حكاء يوناني قديم ترك تراثًا كبيرًا من قصص الأطفال التي تحتوي كل منها على حكمة معينة، والتي تُرجمت إلى عدة لغات، وهذه المختارات من ترجمة صلاح صبري من الإنجليزية.

• والقصب المشار إليه في الحكاية الأولى هو كل نبات كانت ساقه أنابيب وكعوبًا، ويسمى في مصر: الغاب البلدي.

القهوة... موروث عربي أصيل

سوسن محمد كامل

من منا لم تجذبه رائحة القهوة في الصباحات الباكرة... يشحن بها طاقاته لبدء رحلة عمل يومي... إنها ناقوس الصباح وصوت فيروز ولمة الأحبة ...إنها رمز الكرم العربي إنها القهوة العربية، والقهوة من المشروبات الساخنة الأكثر تقديماً في الضيافة وفي كل المناسبات ولا يكاد يخلو بيت منها، حتى صارت رمزاً وتقليداً يومياً لارتباطها بموروث ثقافي عربي أصيل، وبذاكرة شعبية توارثناها أجيالاً بعد أجيال، فهي تمنح بمذاقها العذب إحساساً بحضور الذهن ومتعة سياحة فكرية تسترجع الماضي وتجوب في الحاضر وتستشرف المستقبل، وهنا يكمن سر الإقبال عليها والشغف بها.

يقول الشاعر عماد الدين محمد بن البقاعي:

هـــذه قهـــوة الحـــلال أتتكـــم
تتهادى والطـــيب يعـــبق منـــها
سودوهـــا على الحـــرام بحـــل
وأميطـــوا غوائـــل الغـــول عنهـــا

وهنا يلمح الشاعر إلى الجدل الفقهي الذي صاحب انتشار شرب القهوة في بداياته وانتهى إلى عدم تحريم تناولها، لأنها تساعد على تحفيز الذهن واستحضار الملكات العقلية، ويؤكد هذا المعنى الشاعر محمد البكري أيضاً بقوله:

وقهـــوة بـــن تورث اللـــب قـــوة
ومن عجـــب والقشـــر أصـــل وعـــنبر
تحقق فيهـــا النفـــع لا سيمـــا لمـــن
عـــن الجـــد في فعـــل العبـــادة يفتر

تذكر المصادر التاريخية أن أول من جاء بالقهوة من الحبشة إلى موطنها الأول في الجزيرة العربية، رجل من أهل اليمن اسمه جمال الدين أبو عبدالله محمد بن سعيد الذي عاش في منتصف القرن التاسع الهجري حيث كان يسافر إليها، وقدّمها لأهل بيته وأصدقائه وضيوفه لتعديل المزاج والتعافي من الوهن والإجهاد، ثم بدأ المزارعون في اليمن في زراعة البن بعد انتشارها بين الأثرياء والموسرين، وبعد ذلك قلّدهم العامة وانتشر شربها في المجتمع اليمني، وأصبحت عادة اجتماعية يومية، انتقلت بعد ذلك إلى مكة، وسائر شبه الجزيرة العربية ، وصولاً إلى بلاد الشام، ووصلت إلى مصر بواسطة طلاب يمنيين أخذوها معهم في رواقهم بالجامع الأزهر للاستعانة بها على السهر من أجل المذاكرة والدرس. وفي القرن الخامس عشر وصلت القهوة إلى تركيا عن طريق رجلين شاميين افتتحا مقهيين هناك عام (1554م)، ومن ثم أخذت طريقها إلى فينسيا في عام (1645م)، وإلى إنجلترا في عام(1650م) عن طريق رجل تركي يدعى «باسكا روسي» الذي فتح أول مقهى في شارع لومبارد في مدينة لندن عام 1652م، ومن هنا أصبحت القهوة العربية قهوة تركية، وقهوة إيطالية، وقهوة بريطانية، بعد أن تدخلت أمزجة هذه الشعوب وأذواقهم في تجهيز القهوة، يذكر أن أبا بكرالرّازي الذّي عاش في القرن العاشر للهجرة أوّل مَن ذكر البن والبنشام في كتابه (الحاوي)؛ وكان المقصود بهاتين الكلمتين ثمرة البن والمشروب. وفي كتاب ابن سينا (القانون في الطّب) لابن سينا الذّي عاش في القرن الحادي عشر، ذكر البن والبنشام في لائحة الأدويةٍ المنشطة للذهن. وشجرة البن دائمة الخضرة ذات ثمار حمراء اللون في حالة نضجها، تنمو في المناخ الاستوائي الذي يكون حاراً رطباً في موسم النمو، وحاراً جافاً في موسم القطاف وتعيش أشجار البن إلى أكثر من 100 عام. من الجدير بالذكر أنّ البن اليمني من أجود وأفضل أنواع البن، وسبب ذلك التربة الجبليّة البركانية المعروفة بوفرة العناصر الغذائية فيها، إضافة إلى التركيب الوراثي والمناخ الذي يساعد على نموّ الأشجار بشكلٍ جيّد، ويكسبها مذاقاً عطرياً يميزها عن باقي أنواع أشجار البن التي تزرع في أماكن أخرى من العالم. أما الاسم (كافيه) فقد أتى من اسم مكتشفها وهو الشيخ الصوفي (الكاف) وكانت تسمى قهوة الكاف، وحينما احتل البرتغاليون المكلا وعدن وجدوا هذا المشروب فحملوه للعالم وباسمه الأصلي مع تحريفات بسيطة. ويعد تقديم القهوة من أهم تقاليد الضيافة في المجتمعات العربية على مدار قرون عدة، وطريقة تقديم القهوة للضيوف لها عادات قبلية متعارف عليها بين كل القبائل، إذ يجب على من يقدم القهوة للضّيوف أن يكون واقفاً، وممسكاً بالدلة بيده اليُسرى ويقدم الفنجان باليد اليُمنى، ولا يجلس أبداً حتّى ينتهي جميع الحاضرين من شرب القهوة... وعند سكب القهوة وتقديمها للضّيوف يجب أن يبدأ من اليمين، أو يتوجه بها مباشرةً إلى أحد الضيوف إذا كان من كبار السّن أو وجيهاً. ومن المُتعارف عليه أيضاً أنّ يكرر صبّ القهوة للضيف حتّى يحرك الفنجان بيده دلالة على اكتفائه. وتتميز طريقة تحضيرها وتقديمها بتقاليد وطقوس دقيقة؛ فقد اعتاد العرب في الماضي تحضير القهوة على موقد تقليدي الصنع مُثبت في الأرض، ومع مرور الوقت، بدأ العرب باستخدام حفرةً من الطين بموقد مصنوع من الحصى والحجارة في ركن من أركان المجلس، وبجانبه صندوق حطب ومقعد للشخص الذي يقوم بإعداد القهوة. وتبدأ عملية تحويل حبوب البن إلى قهوة من فرز الحبوب وغسلها وتجفيفها وتحميصها حتى يتغير لونها إلى الأحمر أو البني، ثم تُطحن وتُخمّر للحصول على قهوة ذات مذاق ورائحة عطرية.

وتعتبر الدلة من أهم الأدوات المستخدمة أثناء تحضير القهوة. فقد صُمّمت وزُيّنت بطريقة خاصة، وتوجد منها ثلاثة أنواع تُستخدم أثناء تحضير وتقديم القهوة العربية وهي: دلة التخمير (وهي عبارة عن وعاء كبير لغلي القهوة والهيل)، ودلة التلقيمة (وهي عبارة عن إناء متوسط الحجم يُستخدم لتصفية القهوة)، ودلة المزلة (وهي عبارة عن إناء صغير يُستخدم لتقديم القهوة). والدلال أنواع؛ فمنها الحساوية، والعمانية، والرسلانية، والقرشية، وأقدمها وأثمنها وأجودها البغدادية التي تصنع في العراق. ويتدرج لون القهوة العربية الأصيلة من الأصفر (الأشقر) إلى الأسود مروراً باللون البنيّ، حسب درجة حمس حبوب البن، وها هو أحد الشعراء يتغزل بها فيقول:

أنـــا المحبوبـــة السمـــرا
وأجلـــى فـــي الفناجـــين
فعـــود الهنـــد لـــي عطـــرا
وذكـــري شـــاع فـــي الصـــين

وتتحدث الباحثة غاية الظاهري المتخصصة في الموروث الشعبي الإماراتي عن مكانة القهوة في المجتمع الإماراتي، حيث تؤكد أن لها احترامها وتقديرها وترتبط بقواعد الأدب والسلوك في المجتمع الإماراتي؛ فمن أولويات إكرام الضيف تقديم القهوة له حتى ولو نحرت له الذبائح. وأضافت(تعد القهوة من المتطلبات الأساسية في كل بيت إماراتي، فصار فنجان القهوة الرفيق اليومي الذي يبدأ معهم صباحهم ويكرمون به ضيفهم، فنجدهم يحرصون على تزويد البيت بحبوب القهوة باستمرار قبل نفاد الكمية المتوافرة، فلا يمر يوم والبيت خال من القهوة). وأوضحت غاية الظاهري أن القهوة الإماراتية تتميز عن غيرها في منطقة الخليج العربي بطريقة تحضيرها ودرجة تحميصها، وما يضاف إليها من نكهات مثل الهيل والزعفران وغيرهما؛ وتصنع عادة بعد أداء صلاة الفجر مباشرة،، أما الوقت الآخر لتحضيرها فهو بعد أذان العصر مباشرة، ويطلق عليها «قهوة العصر».

وذكرت الباحثة الظاهري أن الدلة من أهم الأدوات المستخدمة في تحضير القهوة، وتوجد منها أنواع عدة مثل (الدلة الفلاحية) التي تعتبر من الدلال الفاخرة، وتنسب إلى قبيلة آل بوفلاح العريقة، وتعد رمزاً تراثياً يعبر عن أصالة النسب، وتجسد أيضاً مفهوم الهوية الوطنية الإماراتية، وأكدت أن الفنجان الذي تقدم القهوة فيه رمز للعطاء والكرم، ويقوم بتقديمه (المقهوي)، وهو يتمتع بكثير من الخبرة والمهارة إضافة إلى الصفات والأخلاق الحميدة والمظهر الحسن. وأضافت أن فنجان القهوة أيضاً عن الالتزام في أخذ العهود، حيث يقال (بينا فنيان قهوة مشروب في حضرة خوان شما)، وأشارت إلى أن للقهوة قيمة معنوية كبيرة في المجتمع الإماراتي، إذ تقدم كهدايا بين الأهل والأصدقاء والجيران في مختلف المناسبات. حاز «المقهوي»، وهو الشخص الذي يقوم بتقديم القهوة للضيوف، مكانة مميزة في مجتمع الإمارات، فتقديم القهوة يتطلب الكثير من الخبرة والمهارة والصفات والأخلاق الحميدة والمظهر الحسن واللياقة البدنية التي يجب أن تتوافر في من يقوم بتقديمها، لما يتطلبه هذا العمل من ثقافة تراثية أصيلة. أما عن انتشار القهوة في منطقة الخليج العربي بشكل عام فيعود إلى أكثر من (500)عام، عن طريق رحلات الحج، بعدما وفدت هذه القهوة من موطنها الأصلي في اليمن عن طريق الأسفار التجارية، ومن هناك عرفها المجتمع الإماراتي، ومن الجدير ذكره أن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة أدرجت القهوة العربية ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي في العام (2015م) ■

عبقرية الأندلسي ابن باجه

د. نورة صابر المزروعي
أكاديمية من الإمارات

هو أبو بكر محمد بن يحيى الملقب ابن باجه، يرجع إلى أصول يمنية هاجرت أسرته واستقرت في الأندلس، ولد ابن باجة بمدينة سرقسطة شمال إسبانيا.

عرف بفيلسوف العرب في الأندلس، يعد أول من قدم إنتاجاً فلسفياً في بلاد الأندلس، حيث ركز في إنتاجه الفلسفي على الارتقاء بجوهر النفس والعقل لتحقيق البهجة والسعادة القصوى وبها يتصل عقل الإنسان بالعقل الكوني ويدرك حقيقة الله.

وأهم ما ذكر في الصورة المثالية للإنسان في كتاب ابن باجه الأندلسي الفيلسوف الخلاق صفحة 6: «...يستطيع هذا العقل بفضل التأمل أن يفكر في ذاته على النحو الذي تدرك به العقول المفارقة ذواتها، وهذا النوع من الحدس العقلي هو الذي يسمو بالإنسان عن مرتبة جميع الكائنات المادية. ويطلق على عملية الحدس العقلي باسم الاتصال بالعقل الفعال وفيها يتحد العاقل مع المعقولات بالفعل وحينئذ لا يفكر في شيء آخر سوى ذاته وينتهى الإنسان بالدرس والتأمل إلى إدراك الصورة المثالية».

وذكر في كتابه «النَّفس»: «أنَّ الإنسان إذا ارتقَى بَلَغَ في ارتقائه أن يتصِّلَ بالله، وتنكَشِفُ لهُ الحقائق، ويشعُرُ من ذلك بلذَّةٍ أكبر من كُلِّ لِذَّة، ويحدُثُ ذلكَ للإنسانَ في لحظاتٍ تجلٍّ، وهي نظريةٌ اعتقها كثيرٌ من النَّصَارى والمُسْلِمين في القُرونِ الوُسْطَى».

ومن إنتاجه الفلسفي كتاب شرح السماع الطبيعي لأرسطو ركز فيه على المبادئ الفلسفية التي تهتم بعلم الطبيعية. تأثر بمنهجه الفلسفي ابن رشد وابن حزم وابن طفيل، تعرض ابن طفيل في رواية «حي بن يقظان» لوصف مكانة ابن باجة ومؤلفاته الفلسفية وذلك في سياق حديثه عن الحالة العقلية السائدة في الأندلس». تعد رواية «حي بن يقظان» من أهم الروايات التي ترجمت إلى عدة لغات في أوروبا في القرن الثامن والتاسع عشر.

سطر التاريخ إسهامات ابن باجه ومعارفه في مجال الطب والرياضيات والفلك، والموسيقى. وله العديد من المصنفات في مختلف العلوم أهمها كتاب تدبير التوحيد تكمن أهمية هذا الكتاب أنه ركز على عقل الأفراد والقدرة الحقيقة في استخدام العقل بشكل فعال لتحقيق السعادة االقصوى. رسالة الوداع ركز على الوجود الانساني وغايته في تجاوز الحدود الفردية والاتصال بالعقل الكوني وناقش كيفية الاتصال بالمولى عزوجل. له العديد من المصنفات الطبية ومنها كتاب اختصار الحاوي للرازي، وكتاب كلام في المزاج بما هو الطب، كتاب التجربتين على أدوية ابن رافد وجالينوس، شرح فيه أصناف من الأدوية (الأغذية) المفردة لكل من الطبيب اليوناني جالينوس والعالم ابن رافد، وكلهما اهتم بالعلاج الطبيعي الخاص بالأغذية الطبيعية عوضاً عن العقاقير الطبية. يعد ابن باجه أهم الشخصيات التي اهتم بالموسيقة الأندلسية.

وتذكر المصادر العربية والاجنبية بأن له الفضل في تطور فن الموشحات بالأندلس.

يرجع بزوغ فن الموشحات الأندلسية إلى أبو الحسن علي بن نافع الذي نعرفه بزرياب، الذي هاجر من بغداد عاصمة الخلافة العباسية قاصداً قرطبة عاصمة الفن والثقافة في الأندلس. تلقاه الخليفة الأموي عبد الرحمن الثاني بقرطبة بكل ترحاب.

بعد هجرة زرياب إلى قرطبة أسس معهداً موسيقياً في مدينة مدريد تحديداً في سالامانك وهو مؤسس أول مدرسة للموسيقى والغناء التي يعتبرها الأوروبيون أساساً لتدريب الصوت بتمرينات على الارتقاء بالأداء الصوتي (الفوكاليز)، وهو واضع قالب التأليف الموسيقي الذي يبدأ بالنشيد في نوع من التلاوة المنغمة، ويتبع بالحركات ويختتم بالأهازيج (الأغاني).

ابن باجه

فن الموشحات على القصيدة المزخرفة التي نظمها شعراء الأندلس وهي قصائد متنوعة القوافي، لكل مقطوعة منها نهاية موحدة تسمى (القفل).

والأندلسيون بالتحديد هم مبدعو فن الموشحات الأندلسية، وهو نوع من الشعر المصنوع خصيصاً للغناء المقطعي. تذكر الكتب بأن ابن باجة هو منظم الألحان المعتمدة بالأندلس وفي هذا يقول ابن سعيد: «وإليه تنسب الألحان المطربة بالأندلس التي عليها الاعتماد» ابن باجة، شخصية فذة وعبقرية موسيقية، جمع بين الموسيقى والشعر والغناء في موشحاته. وصفه ابن خلدون بأنه «صاحب التلاحين المعروفة» شيء من اشعاره:

سُكَّـــانَ نَعمـــانِ الأَراكِ تَيَقَّنـــوا
بِأَنَّكُـمُ في رَبـــعِ قَلبِـــيَ سُكَّـــانُ
وَدومـــوا عَلى حِفـــظِ الوِدادِ فَطالَمـــا
بُلينـــا بِأَقـــوامٍ إِذا حُفِظـــوا خانـــوا
سَلوا اللَّيـــلَ عَنّي مُذ تَناءَت دِيارُكُـــم
هَلِ اِكتَحَلَـــت بِالغمضِ لي فيهِ أَجفـــانُ
وَهَـــل جَرَّدَت أَسيـــافَ بَرقٍ دِيارُكُـــم
فَكـــانَتْ لَهـــا إِلّا جُفـــونيَ أَجفـــانُ

ومن الحكايات المشهورة عنه أنه حضر يوماً مجلس أمير سرقسطة زمن حكم المرابطين، أبي بكر ابراهيم بن تيفلويت فأعطى مغنية كانت هناك موشحة من نظمه فغنتها وكان مطلعها:

جـــرر الذيـــل أيمـــا جـــر
وصـــل الشكـــر منـــك بالشكـــر

فلما طرق سمع الأمير قول الشاعر:

عقـــد اللـــه رايـــة النصـــر
لأمـــير العـــلا أبـــي بكـــر

طرب وصاح: واطرباه، وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت وما ختمت. وحلف بإيمان مغلظة أن لا يمشي ابن باجة إلى داره إلا على الذهب. فخاف الأمير سوء العاقبة من حوله فاحتال بأن جعل في نعله ذهباً ومشى عليه. يذكر الباحث محمد المنوني، أن

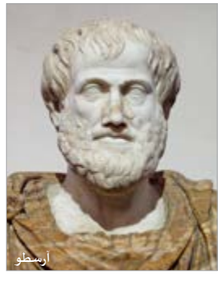

أرسطو

فن الموشحات ازدهر زمن حكم دولة المرابطين (المغاربة الذين حكوا بلاد الأندلس)، حيث أولوا أهمية كبيره لشعراء الأندلسيين بيما خمد زمن حكم الموحدين الذين حلوا محل المرابطين في حكم. تذكر الدراسات أن فن الموسيقى الأندلسية تعرض لشيء من المقاومة زمن حكم الموحدين، تأثراً بما قامت عليه الدولة من التدين، فإنه لم يشهد رواجاً للموسيقى على رأي الفيلسوف العالم الشهير ابن طفيل الذي قال قولته الشهيرة: «لو نفق عليهم علم الموسيقى لأنفقته عليهم».

رحل ابن باجة إلى بلاد المغرب بسبب الأوضاع السياسية بين المماليك الإسبان والعرب والبربر في بلاد الأندلس من جهة ومن جهة أخرى صدر الملك الإسباني فيليبي الثالث قراراً بطرد كل من العرب والبربر والموالي من آسبانيا، هاجروا نحو شمال أفريقيا، رحيل ابن باجه إلى المغرب واستقر فيها عشرين سنه وعين فيها برتبة وزير لحيي بن يوسف بن تاشفين، وبقي وزيراً حتى وفاته بمدينة فاس سنة 533هـ. وقد رحل كذلك فن الموشحات مع ابن باجه إلى المغرب وهناك اشتهر فن الموشحات الذي ظل قائمة إلى يومنا.

هذا يقول ابن سعيد بأنه كان «فيلسوف المغرب وإمامها في الألحان» وهو أول من أدخل التلاحين الأندلسية إلى المغرب، وقد مكنه طول استقراره من نشر فن الموشحات وتعليمه. حافظت دول المغرب العربي الكبير على إرث فن الموشحات. وظل هذا الارث قائما خارج حدود إسبانيا بعد الهجرة النهائية من الأندلس، فاستقر هؤلاء في أنحاء مختلفة من الدول (البرتغال والمغرب وتونس والجزائر ومصر)، حاملين معهم عاداتهم وتقاليدهم، واستفاد الأهالي من خبرتهم ومهارتهم في سائر مرافق الحياة اليومية فهاجر الفن بأجمعه إلى المغرب، واشتغل الناس به اشتغالاً كبيراً، فاحتضن التراث الموسيقي. حافظت المغرب على إرث ضخم من حضارة الأندلس وثقافتها. ويرى الدكتور محمد بن شريفة: «أن أكبر اسم نجده في تاريخ الموسيقى الأندلسية المغربية بعد زرياب هو الفيلسوف ابن باجة» ■

الأمثال الشعبية في الشعر النبطي الإماراتي

فهد علي المعمري

الأمثال مرآة تنعكس عليها عادات الشعوب وسلوكه وأخلاقه وتقاليده، وهي معين لا ينضب، لمن يريد دراسة المجتمع، أو اللغة، أو العادات الشعبية عند أمة من الأمم. وقد نُطِقَ بها في كل زمان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، وقد أتي الله جل جلاله بالمثل في محكم كتابه العزيز، قائلاً: (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له)، كما أوردها سيد الخلق محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، رسول الله، ﷺ في جوامع كلمه.

كما إنه لم تعن أمة من الأمم بأمثالها عناية العرب، وذلك يعود للوفرة اللغوية التي تتمتع بها هذه اللغة، إضافة إلى أن العرب قد تسابقوا في ميدان اللغة، فنتج عن هذا السباق الكلام الذي لا يقع عليه وصف واصف، حتى نزل القرآن متحدياً لغتهم التي طالما بارزوا فيها بعضهم، وغيرهم من الأمم الأخرى حتى قيل فيه .أي القرآن خاصة، واللغة عامة .

أحد القرشيين: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلا، ولا يعلا عليه. إضافة إلى كل ما سبق، ومما لا شك فيه أن الأمة العربية، تمتاز عن غيرها من الأمم في التاريخ القديم، بأنها كانت وريثة حضارات روحية نمت وازدهرت في ظلال الأديان السماوية، وأقوال الأنبياء، والرسل، ووصاياهم وحكمهم، ناهيك عن أقوال الحكماء والبلغاء والشعراء والخطباء. ولا شك أن الحياة الأدبية، والفكرية، عكست بظلالها على ذلك، فبرع العرب في القول نثراً وشعراً، وتناقل العرب هذه الأمثال كابراً عن كابر، يتوارثها الأجداد ويسلمونها إلى الأبناء، إلى يومنا هذا.

وقد ورد في شعر الإمارات الشعبي، الكثير من الأبيات الشعرية المتضمنة للأمثال الشعبية، التي تنم عن أمثال كثيرة أوردها الآباء وأخذ بها الأبناء والأحفاد، لتبقى خالدة في ذاكرة كل من يعيش على هذه الأرض الطيبة، واعلم أيها القارئ أن القصد في هذا البحث الموجز هو إيراد أبيات الشعر التي اتخذت من المثل المنثور مادة ومصدراً لها،

فأتى البيت الشعري متضمناً نص المثل بكلماته وحروفه، وفي بعض دواوين شعراء النبط الإماراتيين الكثير من الأمثال لدرجة أنه لا تخلو قصيدة إلاّ وفيه بيت متضمن للأمثال الشعبية الإماراتية. وبعد هذه المقدمة نأتي الآن إلى مادة هذا البحث ونورد الشواهد من الشعر النبطي الإماراتي.

يقول الشاعر الجمري

تَمِـــيت قُولِـي والغِلِـــب طُـــوع
قُـــوَّه غِلَبْنِـــي ولْـــد سُوقـــات

وهو مقتبس من المثل القائل: الغلب طوع.

الشاعر محمد الكوس

صِـــروف الليَالِـــي عَـــارِضِي شَيّبنّـــه
مَـــعْ ذا وزاد الطيـــن بَلّـــة جِنَابـــه

مقتبس من المثل القائل: زاد الطين بلّه.

الشاعر مانع سعيد العتيبة

كِـــلْ عُـــود لِـــه دِخّانـــي
وكِـــلْ مِطـــرِبٍ لِـــه عـــود

مقتبس من المثل القائل: كل عود وفيه دخّان.

الشاعرة بنت الماجدي بن ظاهر

ولِـي مـا يِداري وَاغِـف العـين صَابْهـا
غِـدى با يِداوِيهـا سِـعَى في طِبُوبهـا

قتبس من المثل القائل: ساريداويها سعى في طبوبها.

الشاعر ربيع بن ياقوت

حِكْـــم الزّمَـــن يِـــرْزا بـــه
والدّنْيـــا لْمَـــن غِلِـــب

وكلمة «الدنيا لمن غلب» تعد من القول المشهور في الأدب العربي، وقد تكلم به كثير من الأدباء والشعراء والكتّاب.

الشاعر علي بن رُحمة الشامسي

مِثِـــل مَـــا قـــال رَاع الوَصْف الاوّل
كَـــلام الليـــل يَمْحِيـــه النّهَـــاري

ومثله قول الشاعر ربيّع بن ياقوت

يِخَادِعْنـــي يِقـــول أنّـــي حِبِيبِـــه
وكَـــلام الليـــل يَمْحِيـــه النّهَـــار

مقتبس من المثل القائل: كلام الليل يمحوه النهار.

الشاعر فتاة جلفار

لِي مَـــا عِـــرَف قَـــدر الصّقَـــارا
يَشوِيـــه يَاعَـــاشِـــه بِلِيـــدوع

مقتبس من المثل القائل: اللي ما يعرف الصقر يشويه.

الشاعر سالم بن عبيد بن سيف العليلي

دُوام الحَـــال سِيـــدي مِ المِحَـــال
ونْقِطَاع الـــودّ يَـــا سِيـــدي شِنِيـــع

مقتبس من القول العربي المشهور «دوام الحال من المحال».

الشاعر مبارك بن محمد بن ثامر المنصوري

ومَـــا قَـــدَّر الوَالِي علـى العَبْـد جَـاري
والصَّـــبْر مِفتَـــاح الفَـــرَج يِذْكِرُونـــه

مقتبس من المثل القائل: الصبر مفتاح الفرج.

الشاعر فتاة العرب عوشة بنت خليفة السويدي

مِوَاعِيـــدٍ لِهَـــا عَرقُـــوب ثـــاني
تِحَلّفِهِـــــن وَلا فِيهِـــــن حِمِيّـــــه

مقتبس من المثل العربي القائل: مواعيد عرقوب.

الشاعر أحمد عبيد بن عبدالهادي المنصوري

واحِفَـــظ لِسانِـــك كَـــان تَبغِي يِبِيلِـــه
لِسَانِك حِصَانِـــك لِه به العَهْـــد والقُود

مقتبس من المثل القائل: لسانك حصانك.

الشاعر كميدش بن نعمان الكعبي

بالرُّوف لاَ تَفضِـــي كِنِيـــن حْشَايِـــه
والاَ بَاسَـــوِّي فـــي سِمَـــايه ذْرُوب

مقتبس من المثل القائل: هذا يسوّى في السما دروب.

يقول شاعر مجهول

مَا جِـــد لِفَـــت نَاشِـــر مِن الشَّـــرْق
ولاَ يَـــت بِربِـــرٍ مِـــن حسِيفِيـــن

مقتبس من المثل القائل: ما تي من الشرق ناشر.

الشاعر ماجد بن علي النعيمي

يَالعِـــــرْج يَالحَيَّـــــاســـي
حِيسِـــــك دُون اعْتِـــــدال

مقتبس من المثل القائل: العِرْج حيّاس.

الشاعر العقيلي

مافَات مات وْهَرْجِـــةِ بِـــه قِصِيـــرِة
واليوم خَذْنَـــا حِذْرِنَـــا بَعْد لاَنْـــذار

مقتبس من المثل القائل: ما فات مات.

الشاعر محمد بن يعروف

لِـــي مَـــا يِعَرْفِـــك مَا يِثَمْنِـــك
لـــو كِـــنْت بِين النّـــاس بَاشِـــه

مقتبس من المثل القائل: لي ما يعرفك ما يثمنك

الشاعر محمد بن عايض الأحبابي[3]

غِدَى مِثل مَـا قَـال المِثَل بِين نَـارِوْغَـار
على طُـــول سِجْنِـــه زَاد حِزْنِه وتَعْذِيبِـــه

ويقول في موضع آخر

يَبقُـــون ف الصَّـــالِي تَحَت وَاهِـــج الشَّمْس
مِتْحَيِّريـــــنٍ بين غَـــارٍ ونَـــاري

مقتبس من المثل القائل: بين غارونار.

ويتابع أمثاله فيقول

خَـــلّ الرِّدي لوكـــان بِنْتِـــه جِمِيلِـــه
حَبّه علـــى بِذْرَه تَـــرى العِرْق دَسَّـــاس

مقتبس من المثل القائل: العرق دسّاس.

الشاعر صقر بن عاتي الفلاحي

ونْ صَكّـــــت الحَلقَـــة علـى بْطَـــان
بَيقُـــول مَالـــي عَـــازةٍ فيـــه

مقتبس من المثل القائل: صكّت الحلقة على البطان

الشاعر حمد خليفة بو شهاب

يا فَايِـــق الزّين مِـــن حَبِّـــك تِوَلَع بِـــك
وَنَـــا الْمِوَلِـــعْ بِحِبِّـــك يا ضِيَـــا عـــيني

مقتبس من المثل القائل: من حبّك تولع بك.

الشاعر سالم الدهماني

صُـــوغ بِالفِضّـــة وطَـــوّق بِالذَهَـــب
والذّهَـــب ذِخْـــر الفِتـــي ف المِصْعِبَـــات

مقتبس من المثل القائل: صوغ بالفضة وطوّق بالذهب.

الشاعر حميد بن ذيبان

صِـــدق لِـــي قَـــال اتّقّـــى تِبقـــى
والـــوَلَـــع لاَ تِقـــرَب طْرُوقـــه

مقتبس من المثل القائل: اتّقّى تبقى.

الشاعر سيف السعدي

العَقْـــل زِينِة وَنَـــا مِـــن عَقلـــي عْقالـــي
رَاســـي علـــى رَاسِي بِقِـــدْره ومِيثَاقـــه

مقتبس من المثل القائل: العقل زينة.

الشاعر حميد بن ذيبان

الحِـــرّ لِـــي ف البِيضَـــة يْصِـــرّ
يِرْتَـــاح ف المِقْنَـــاص رَاعيـــه

مقتبس من المثل القائل: الحِرّ في البيضة يصر.

ويتابع أمثاله قائلاً

الطِـــيب عَايَـــا بِالطِـــيب وْقالـــوا
هـذا المِثَـل نَـاسٍ قَبِـــلْ ذاعوا بـــه

مقتبس من المثل القائل: الطيب عايا بالطبيب

الشاعرة فتاة العرب عوشة بنت خليفة السويدي

يـــامَرحَبَـــا مَليُـــون هِيـــلٍ بِلا كِيـــل
عَـــدّ التِّراب وْعَـــدّ مَـــا بِنْبَت العُـــود

مقتبس من المثل القائل: هيل بلا كيل.

الشاعر حميد بن ذيبان[2]

مَعْـــروف لَـــنّ الـــدَّزّ مِ المَـــزّ
يـــا شُـــوق والنّامُـــوس لِـــه ذوق

مقتبس من المثل القائل: الدز من المز.

واعلم أيها القارئ لهذه الشواهد الشعرية أنني التزمت بنص المثل وورده في الشعر على هيئة كما هو نثرا، وقد دخل في عروض الشعر بوزن القصيدة وأحيانا في قافيتها، بيْد أن هناك الكثير والكثير من الأمثال التي قاربت نص المثل ولكن لم تدخل في عروض الشعر فأصبح هناك تقديم أوتأخير أو حذف أو زيادة بحيث يؤدي الغرض ذاته وهو تضمين المثل في البيت الشعري، ونضرب على هذا بعض الشواهد الشعرية حتى أؤكد على ما أقوله.

تقول الشاعرة فتاة العرب عوشة بنت خليفة السويدي

وهِـــي بِالغِيـــظ دُوم إلنَـــا كِظُـــوم
تِمَنّينَـــا يَلِـــى شَـــاب الغِرَابـــي

مقتبس من المثل القائل: يوم يشيب الغراب ويلتحي الصفصوف.

الشاعر علي بن رُحمة الشامسي

تِقُـــول الـــدَّار ماضِيكُـــم تِحَـــوَّل
ولاَ يِبـــقى لِكُـــم فِ الـــدَّار طَـــاري

مقتبس من المثل القائل: الأوّل تْحوّل.

الشاعر سلطان بن حمد بن سليمان المعروف باسم سلطان الشاعر

مـــا يَدري أنّ الكَـــذْب حَبْلِـــه قِصِيـــري
والكَـــذْب عَ الانْســـان أثْم وْخِطِيـــــري

مقتبس من المثل القائل: الكذب حبله قصير.

الشاعر سعيد بن عتيج الهاملي

والنّـــاس فيهـــا مِـــن مِحّـــب وْمِبغِـــضٍ
وكِـــلٍّ علـــى قرْصَـــه يهِيـــل مْلِيـــل

مقتبس من المثل القائل: كلٍّ يجر النار صوب قرصه.

الشاعر حمد بن عبيد بن دين الكعبي

الشّـــيب لـــو خَـــلاّنـــي
مَـــا خَلاّنـــي الكِبِـــر

ومثله قول الشاعر أحمد بن سيف بن زعل الفلاحي

لـــو خَـــلاّك الزّمَـــانـــي
بِمْحَـــق شَعْـــرك الشّـــيب

ومثله قول شاعر مجهول

لـــو خَـــلاّك الزّمَـــانـــي
الشّـــيب مَـــا خَـــلاّك

ومثله قول الشاعر راشد بن محمد بن عبلان الكتبي

لـــو كـــان صَـــرْف الوَقـــت خَـــلاّك
الكِبْـــر مَـــا ظَنّـــي يِخَلّـــيك

وجميع هذه الأبيات مقتبسة من المثل القائل: لو خلاك العمر، ما خلاك الكبر.

وهناك نوع ثالث من الأمثال وهي التي باعدت عن اللفظ والمعنى، ولكن الحافظ لأمثالنا الشعبية يعرف أن المراد هو المثل الذي يعرفه ولكم جاء مغايراً لألفاظه ومعانيه كي يتم تضمينه في القصيدة وفق الوزن والقافية، ومثال ذلك

يقول شاعر مجهول

طَـــوّل الغِيبَـــات والشّومـــي
كـــان تَبغِـــي لِك غَـــلا زِينـــا

مقتبس من المثل القائل: إن بغيت تتغلا سافر.

الشاعر سالم بن سعيد الدهماني

والكَـــذْب نَاقَـــة مَـــا تِوَرّد العَطشـــان
لاَ تُوبِـــةٍ عَنّـــه وَلاَ فِيـــه عِذَايـــر

مقتبس من المثل القائل: الكذب مطية هزلا.

الشاعرة موزة بنت سالم بن يافور الغفلي

كـانِـــك ظَبِي بَغـــدِي لِك سْيُـــوح
مـــا يِنْقِصِي وْلاَ لْـــه عِـــلاَمي

مقتبس من المثل القائل: كانك ظبي أنا سيح ■

فيلم الذكريات

عادل خزام
كاتب وشاعر من الإمارات

أنا رجلٌ تتناهبني الذكريات. يجرّني الماضي من قميصي لأنظر في مرآته، وتناديني دفاتر الطفولة كي أتعرّفُ فيها على نفسي المنسيّة ووجهي القديم. يحدثُ هذا معي كل يوم، حين أستيقظُ في الظهيرة الكسولة ولا أجدُ ساعة منبّه الصباح بجواري. وحين أخرجُ حافياً في الحديقة فأجد العشب صار صلباً كالمسامير والورود كلها من البلاستيك. هل أنا طفلٌ؟ أسأل نفسي كل يوم، ولا أحد يجيبني. هل أنت رجلٌ؟ أسأل الجدار، فيقول: نعم! أنا سور بيتك الأول وأنا سور مدرسة الضياع، وأنا أيضاً حاجز الخوف الوهمي بينك وبين الآخرين.

آهٍ يا الذكريات. أفتحُ ألبوم الصور فأراها ممحوة بفعل فاعل. أغمضُ عيني فتتسربُ الرجفة إلى رجلي وأرى في الخيال صبياً يركضُ في الغابات مذعوراً من عويل الذئاب وصرخات وأنّات المنسيّين في ليالي التمني والانتظار. وكأن من يدخل غرفة الذكريات يصابُ بلعنة أن يرى شريط حياته كاملاً في لحظة خاطفة. يبدأ فيلم الذكريات بمشهد رجل وامرأة يصعدان على حصانٍ خشبي ويعبران به نهر التماسيح. هذان هما أبي وأمي حين كانا يتدربان على انجابي.

وفي المشهد التالي تلدني أمي تحت شجرةٍ مقطوعة الأغصان فتصفّقُ لها السناجب ويهبطُ ذئبٌ من أعالي الجبال يعوي في أذني ويمضي.

ولد الشقاءُ، قال شاعر البراري
الويلُ للكلمة الصامتة، قال القلم
فليشتعل الحب، قالت النار

هكذا كبرتُ وفي ظني أن البرق عكّاز الشيطان وأن الخط المستقيم هو الأسرع في الوصول الى الهاوية. وهكذا حملتُ في أول الأمر العصا وكتبت بها على الرمل اسم حبيبتي ورسمتُ بها على الرمل قارباً لو نصعده معاً يطفو على الغيم، ولو نفتح شراعه يصيرُ الشراعُ شاشة سينما.

ثم أنا وحبيبتي نتابع فيلم وجودنا بالأبيض والأسود عندما نلتقي في نهاية الحرب طفلين من بقايا رماد، وأصواتنا صدى طلقاتٍ طائشة. وحين تسألني حبيبتي من أنت؟ أصيرُ عصفوراً وأدخلُ في قفص تحمله بيدها وهي تركضُ في شارع الأحلام الخضراء. وحين أسألها من أنتِ؟ يتعطّلُ فم الوقت، وتكحُّ الساعات الخربة، ويعثرُ مجنون الشوارع على نعليه الضائعين.

إنه زمن انقلاب المعاني على بعضها
إنه حفل تعارف الجرح على الجرح
إنه جرسُ فسحة الحواس: قال العاقل

نعم، قال العاقل هذا ولكن لم يصدقه أحد. ها هو الرجلُ الخائف يبحثُ عن زوجةٍ خائفة ومعاً يؤثثان بيتهما بالانطواء والعزلة. وها هو الرجل الذي يفتش عن طفولته في دفاتر البدايات ولكن لا يجد فيها سوى قميصه الممزق وأصابعه المقطوعة وخطوته أسيرة الفخ والقيد. ومن عادة العاقل أنه إذا اصطدم بباب لا ينطحهُ، وإذا نثرت عليه الفتيات الورود الحمراء من الشرفات، فتح مظلته السوداء ومضى في طريق اللانهاية سائراً فيها الى الأبد.

الأرضُ كلها بطول خطوة
الأفقُ كله بطولِ نَفَسْ
البحر كله، رسالة شوق

أجلسُ اليوم على دكة مكتبة مهجورة وأقرأ على ضوء شمعة مخطوطاتها. إنه الكلام مكرراً ألف مرة، إنها المعاني شاب شعرها وتراخت أطرافها الهزيلة ولم يعد يفهمها أحد. وبمعنى آخر، أنها الذكريات الميتة لا تزالُ تتنفس في البقايا وفي ألبوم صور اثنين صعدا قطار الحب، ولم يدركا حتى الآن أن عجلاته متوقفة.

الحب: قبعة المستقبل
الحب: الحبلُ المعلّق في خيمة السيرك، وعليم أن تمشيه
الحب: الكاميرا التي سقطت في الماء

كل ذاكرةٍ زمن، كل زمنٍ وجود، كل وجودٍ مكان، كل مكانٍ صفة. وصفة الذكريات أنها بذرة هذا الحاضر ونخلة المستقبل. فإن عرفنا كيف نرويها، فسنعرف كيف نرويه ■

البيئة الجبلية إرث حضاري يروي تاريخاً

صلاح أبو زيد

تُعد البيئة الجبلية إرثاً تفصيلياً يحاكي حقبة تاريخية طويلة بدءاً من تشييد المباني بطرازها المعماري الإماراتي الحقيقي منذ القدم إلى الورش التفاعلية التي اشتهر بها أبناء تلك المناطق وتفاصيل حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم والكثير غيرها التي تشكل محط فخر للإماراتيين بأمجاد الآباء الأوائل الذين صنعوا حضارة وإرثاً ثقافياً سيبقى شاهداً حياً تتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل.

عبق ونكهة الموروث الجبلي

قال سعيد عبدالله الظهوري صاحب ومؤسس قرية الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم التراثية في وادي شعم بإمارة رأس الخيمة: «إن القرية التراثية تحمل عبق ونكهة الموروث الجبلي لأهل الإمارات، حيث استوحيتُ فكرة إنشائها من أرضٍ زراعية دائرية ورثتها من الأجداد، وهو مكان كانوا يزرعون فيه القمح والبر في الجبال وتسمى باللهجة الجبلية «وعوب»، وهي عبارة عن حقول قمح، وتركت هذه الوعوب بعد الانتقال إلى الحياة العصرية وظهور النفط. وفي أحد الأيام جاءتني الفكرة في أن أحوّل هذا المكان إلى مكانٍ يضم قرية تراثية جبلية تحكي تراث أبناء الجبال.. ولأن والدي «رحمه الله» ترك لي الكثير من القطع التراثية والأواني الفخارية، فقرّرت أن أجمع هذا التراث في مكانٍ واحدٍ فبدأت من الصفر أول شيء من خلال إقامة سور للقرية ومن ثم بدأت ببناء بعض البيوت مثل (بيت القفل، وحجرة الدهريز، والصفه، والدكه، والسبله، والجنز، والينور، وبيت الرحى)، على نفقتي الخاصة، وتعتبر هذه البيوت حالياً ركناً أساسياً من أركان القرية التراثية.

القرية التراثية

وأضاف: تجسد القرية التراثية حياة أهل الإمارات وبالتحديد البيئة الجبلية، نظراً لوجود العديد من الأقسام التي تدل على حياة الآباء والأجداد كبركة الماء التي تعد العائل الوحيد لشرب الماء والغسيل والاستحمام في المناطق الجبلية، وتعمل هذه البرك في المنحدرات الجبلية من خلال حفرة مستطيلة الشكل وتبنى جميع أطرافها بالأحجار والإسمنت وعند موسم سقوط الأمطار تمتلئ هذه البرك بمياه الأمطار، وأيضاً توجد بالقرية «وعوب» لزراعة القمح وهي عيشة الأجداد سابقاً، إذ يقومون بصنع خبز التنور «السفاع» من القمح، وهذه نماذج للحياة القديمة لكي يتسنى للزائر معرفة كل تفاصيل قسوة الحياة اللي

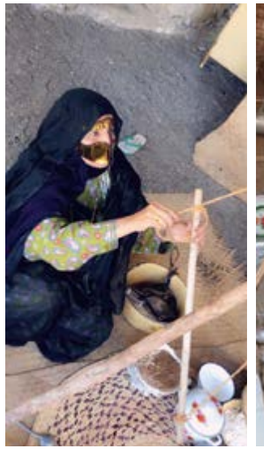

عاشها آباؤنا في الزمن القديم. وأشار الظهوري إلى أن القرية التراثية تُعد مقصداً للأهالي والطلبة وغيرهم من عُشاق البيئة الجبلية وبعض فئات المجتمع المدني، حيث تم إنشاء هذه القرية عام 1995، وفي أغسطس عام 2006 أطلقتُ على هذه القرية اسماً عزيزاً على قلوبنا جميعاً وهو صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي «رعاه الله»، وأصبحت تحمل اسم «قرية الشيخ محمد بن راشد التراثية» حباً وعرفاناً لهذا القائد العظيم وأيضاً لرد الجميل لقادتنا وشيوخنا «حفظهم الله». وأكد على حرصه الشديد لظهور القرية التراثية في أبهى صورها باعتبارها مقصداً سياحياً، آملاً في أن تصبح وجهة رائدة لعشاق البيئة الجبلية، لأن هذا التراث نتيجة جهود مضنية لآبائنا وأجدادنا حتى أصبح جزءاً لا يتجزأ من هويتنا الوطنية وتراثنا الغالي علينا، فعشقنا لتراث أجدادنا نابع من حبنا لوطننا الذي يجري في شرايينا، فنبذل الغالي والنفيس من أجل المحافظة عليه وتعليمه للأجيال القادمة.

أنشطة وعادات تراثية

وأوضح الظهوري أن هناك العديد من الأنشطة والعادات التراثية المختلفة التي تقدمها القرية، مثل استقبالها لسبعين سيدة

من كبار المواطنين من إمارة عجمان، وأيضاً 50 سيدة من كبار المواطنين من إمارة الشارقة كلاً على حدة، حيث يأتون إلى القرية ظهراً ويستمرون حتى بعد المغرب ومعهن خادمات لمساعدتهن في إعداد الأكلات التراثية. وتابع: احتفلنا بعيد الاتحاد الـ50 لدولتنا الحبيبة على طريقتي الخاصة، بالإضافة إلى استقبالي لبعض الأمهات أصحاب المهن التراثية المختلفة لنقل الصورة من داخل أركان القرية وإبراز روعة المكان الذي يضم أماكن تراثية خاصة تبهر المشاهد من خلال الصور التي تم التقاطها أو الفيديوهات، مشيراً إلى أن أفضل وقت لزيارة القرية بداية شهر أكتوبر نظراً لانخفاض درجات الحرارة واعتدال الطقس في الدولة حتى نهاية شهر أبريل من كل عام. وقدم الظهوري رسالة للقائمين على القرى التراثية وأصحاب المتاحف قائلاً: «علينا القيام بدورٍ بنَّاء لتعليم النشء كيف كانت حياة الآباء والأجداد سابقاً، من خلال إطلاعهم على مسميات بعض القطع التراثية وبماذا كانت تستخدم في السابق، بالإضافة إلى تعليمهم (السنع، والمدهب، والسنه، والسالفه، وصب القهوة).

المهن التقليدية في البيئة الجبلية

وبالحديث عن تطوّر شكل البيوت المتلاصقة في البيئة الجبلية والتي تختلف عن المنطقة الساحلية خاصة في فصل الشتاء، فبيوت البيئة الجبلية تبنى من القفل والصفة والحصى، وهي عبارة عن حصى مصفوف للتهوية، كما كانت تبنى قديماً من سعف النخيل ومن الخيم والعرشان، وعندما وصل الطابوق دخلت التصاميم المفرغة التي تتخذ على الأسطح أشكال النجمة والهلال، وذلك بعكس منطقة سدروه الموجودة في المنطقة الساحلية في إمارة رأس الخيمة، كما ذكرت مريم سعيد المزروعي عضو مجلس الإدارة ومسؤولة القرية والمتحف في جمعية شمل للفنون والتراث الشعبي والمسرح في رأس الخيمة. وأضافت: يشدني الحنين إلى منطقة سدروه التي تحتل مكانة عميقة في قلبي، حيث ولدت وترعرعت ودرست وتزوجت، وأذكر علاقتي بجيران الطفولة، فقد نشأنا جميعاً على السنع والاحترام بين أسر معروفة كانت السند لبعضها في السراء والضراء. أمهات الفريج كن أمهاتنا، ولنا إخوان وأخوات من الرضاعة، وحضن الجارة كان حضناً لصغار الفريج في غياب الوالدة، وهذه ذكريات لا تنسى.

خض اللبن

وأشارت إلى أن المهن السائدة عند البدو وأهل المناطق الجبلية والزراعية، «خض اللبن» أو«خض السقا» هي إحدى المهن القديمة التي تقوم بها الكثير من النساء في الزمن الماضي، ورغم متاعب هذه المهنة لما تحتاجه من وقتٍ طويلٍ وصبرٍ ومجهودٍ بدنيٍ، إلا أنها ما زالت مستمرة عند بعض النساء الإماراتيات اللاتي

ما زلن يحتفظن بكافة تفاصيل وهوية المهنة الشاقة الممتعة. «السقا» هي عبارة عن قربة مصنوعة من جلد الماعز أو البقر، وتأتي بأحجام عديدة، فهناك الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، وتستعمل في خض اللبن، وتتحدث المزروعي، عن صناعة «السقا» التي تمر صناعتها بثلاث مراحل. وأوضحت: بعد ذبح الشاة يتم سلخ جلدها بطريقة صحيحة مع مراعاة عدم خدش الجلد بالسكين، وبعدها يتم إضافة الملح البحري الذي يسمى بـ«صلافة ملح»، ويكون عندها الجلد ليناً، ويتم دق الجلد بالملح وفرده بهدف إزالة بقايا الشحوم، ويترك لمدة ثلاثة أيام، ويتم غسله ونأتي بعشبة «الغلقة» التي تنمو في الجبال، ويتم طحنها في «المنحاس». ويقلب جلد الدابة بحيث يكون شعر الدابة إلى الخارج، ويتم فركها بـ«الغلقة»، وبعد يومين سنرى تناثر الشعر الموجود على الجلد. ومجدداً يتم قلب الجلد، ونأتي بـ«القرط»، ويدق في المنحاس والرشاد، ويصب عليه الماء، وبعدها نضعها في «السقا» وتسمى هذه المرحلة بـ«الدبغ»، حيث يتماسك الجلد. وأضافت: بعد يومين يتم تنظيف «السقا» من «القرط»، وتأتي مرحلة «خرز الجلد» بخوص النخيل، وبعدها نأتي بالملح و«الياس»، وهو نبات عطري ويتم فركه بـ«السقا»، حتى تخرج

رائحة الدهون و«القرط»، وبعدها يتم تعليقه ويكون جاهزاً لخض اللبن. وتنتقل المزروعي للحديث عن الطريقة التقليدية في خض اللبن بالسقا، قائلة: «بعد أن تحلب البقرة أو الماعز، نصفي الحليب في «الميده»، ونضعها في وعاء «مله» ونروبه عن طريق تغطية الحليب بقطعة من القماش ونرفعه على «ميشيه»، المكونة من أربعة أعمدة خشبية، وتعلق في سقف النخيل، وفي صباح اليوم الثاني يتم وضع «الروب» في السقا، ويعلق على ثلاث خشبات على شكل مثلث تسمى «الشيب». أما ماسك «السقا» فيسمى «المشد». وأشارت إلى أن مهنة خض اللبن تحتاج إلى الصبر وتعتمد على قوة المرأة البدنية في الخض، وتقول: «تضع المرأة عينها على فوهة السقا ونسميه «بوز السقا» وتتأكد من تكون الزبدة، وإذا سمعت خرخشة في السقا فهذا يدل على أن اللبن جاهز، وبعدها يصب اللبن في «المله» أو «الجدر». وتصفى الزبدة وتضع في «ماعون» آخر، ويستخدم اللبن للأكل والجزء الآخر للطبخ، ويصنع منه «جامي»، الذي يطبخ على الحطب، ويتناول مع التمر في فصل الشتاء، وفي موسم القيض يتناول مع الرطب». وبعد أن يتم إفراغ السقا من اللبن، يتم نفخه ويضع فيه القليل من الملح من أجل تعقيمه، وتضيف المزروعي: «في السابق كان الجامي هو الطعام المفضل للأهالي في فصل الشتاء،

أما اللبن فكان يقتصر تناوله في فصل الصيف، وكان الأجداد يقولون (اللبن سقا عدوك وفصل الصيف سقا صديقك)، وللسمن أو الزبدة فوائد كثيرة، حيث كانت تستخدم في الماضي لعلاج الفطريات التي كانت تصيب فم الأطفال، وتستخدم الزبدة في صناعة كحل «الصراي»، الذي كانت تصنعه الأمهات للأطفال، حيث تبرد على العين ويكون له ملمس دسم». وأوضحت المزروعي أن مهنة خض اللبن تقوم بها المرأة بمفردها في المنزل ولا تعتبر من المهن الجماعية، وتقول إن للجار نصيباً من هذه المنتجات الحيوانية، التي تقدم له بعد خضها سواء أكانت لبناً أو زبدة أو الجامي، قائلة إن مهنة خض اللبن كانت تمارس عند أهل البر والبحر، ولكنها كانت سائدة أكثر عند البدو وفي المناطق الجبلية والزراعية التي تشتهر بتربية الحيوانات. وما زالت هذه المهنة مستمرة في وقتنا الحالي، ولكن بطريقة متقدمة، حيث توفرت الخضاضات والمكائن الكهربائية، وتم إدخال «السقا» المعدني ما سهل من واجبات المرأة، أما عمل «الجامي» والسمن ما زال يصنع بنفس الطريقة القديمة». وتتحدث مريم المزروعي عن الأهازيج التي كانت ترددها النساء في أثناء قيامهن بمهنة «خض اللبن» وتقول: «لأهل الحضر وأهل البيئة الجبلية والزراعية والبدو أهازيج معينة عند خض اللبن، فكانت المرأة في السابق تضع طفلها في حضنها، حيث تعلمت مهنة خض اللبن من والدتها، ومارست هذه المهنة منذ حوالي 8 سنوات، وعملت على حلب البقر لأول مرة عندما كانت في سن التاسعة، ولها قصة مع خض اللبن ستصدر عنها كتاباً سيصدر قريباً. وقالت: يعتبر اللبن الرايب أحد أهم أطباق المائدة الإماراتية، ويتناول مع التمر والقرص المدقوق «نوع من الخبز يطبخ على الجمر»، أما الزبدة فتذوب على النار ويصنع منها السمن العربي، الذي يستخدم في الهريس وغيرها من الأطباق الشعبية الإماراتية، ويستخدم «الجامي» في عمل «اليقط»، ويعتبر من الأطعمة المفضلة، ويتم وضعه في الماء ويؤكل مع التمر».

الحرف اليدوية

تتميز البيئة الجبلية بالصلابة والشدة في كل نواحي الحياة من طريقة عيش وبناء المساكن.. وعن استمرار هذه المهن والحرف اليدوية التي توارثها الآباء عن الأجداد وتناقلتها من جيلٍ إلى جيل، قال راشد الظهوري مسؤول البيئة الجبلية: «إن هذه الحرف تُعد مصدر رزقٍ لسد احتياجاتهم اليومية، لأن ما ينتجونه كانوا يسدون به حاجتهم وما يفيض عن الحاجة يقومون ببيعه والكسب من ورائه، فكانوا يستفيدون من الشَعْرِ لصناعة المغطى واللحاف والجلود لصناعة القرب والسعن والسلف منها للماء ومنها للعسل والسمن ومنها للملابس، وأصبحت هذه الحرف في هذا الوقت كهواية وفن.

الطبل

وأكد أن كل بيئة في الإمارات تمتاز بفنونٍ وأهازيج تميزها عن غيرها من البيئات ويلزم أداء هذه الأهازيج والفنون أدوات ومنها التي تستعمل في الجبال «الطبل» ويستعمل لأداء فن الرواح وفن الرزيف الوهابي.. فالطبل عبارة عن جذع شجرة مجوف من الداخل ويوضع له بالجوانب قطعة من الجلد، حيث يُصنع الطبل من جذوع شجر السدر والقرط والشريش وتختلف في الأحجام. وأشار الظهوري إلى أن جلد الغنم يستخدم في كفتي الطبل، وذلك ليعطي صوتاً حاداً ويثبت الجلد بطوقٍ مصنوعٍ من أغصان شجر السدر الغض ليعطي مرونة عندما يكون غضاً أو طرياً ويعطي صلابة عندما يجف ويثبت ببعض على كفتي الطبل بحبلٍ مصنوعٍ من شعر الغنم يسمى المريخة.

الطب الشعبي

وحول ما تلعبه البيئة الجبلية من دورٍ مهمٍ في الطب الشعبي بدولة الإمارات مثل مهنة التجبير، أشار الظهوري إلى أنه أينما وجد المجتمع والناس وجدت حاجتهم إلى التطبب والتداوي سواء كان هذا الطب باطني أم كسور أو غيره كالجروح واللدغ من الزواحف والحجامة والكي وغيرها. أم الجبارة أو التجبير فتستخدم في علاج الكسور وهي نوعان، يستخدم في الأولى قطع

خشب من سيقان النخل ويستخدم فيها قطع من القماش، حيث يوضع خليط من ورق السدر مع الملح ثم تلف بقطعة من القماش وتثبت عليها قطع الخشب من سعف النخيل مربوطة ببعضها وتترك لمدة أسبوعين ويشرف عليها المجبر. أما النوع الثاني من الجبارة فيستخدم بها خليط زلال البيض مع العنزروت وهي مادة صمغية تأخذ من نبات متوافر في الجبال وتوضع على صوف الخراف فتصبح شبيهة بالجبس في الطب الحديث، وتستخدم هذه الطريقة في علاج كسور الحوض وفي الأماكن التي لا تركيب عليها جبيرة الخشب. وتابع: تأتي الإمارات على رأس الدول التي تهتم بالتراث وتحرص على تعريف الزوار بالعادات والتقاليد الجبلية والحرف والفنون والأهازيج الشعبية التي تمتاز بها.. فالاهتمام موجود من قبل الدولة للمحافظة على الموروث الشعبي من الاندثار.

عبقرية الآباء في بناء البيوت

وقال الظهوري: «على الرغم من التطور الهائل في البنيان والإنسان، إلا أن للحياة الجبلية في الإمارات رونقها الخاص.. فعبقرية الآباء والأجداد في بناء البيوت في الجبال فريدة من نوعها وخاصة في موادها التي تبنى بها واحتياجاتهم لها واختيار الأماكن التي يشيدون لها هذا البناء.. فمثلاً بيت القفل يعتبر هندسة فريدة من نوعها، حيث يبنى هذا البيت في بطن جبل ولا يبنى على سفح مرتفع ومفتوح». وأوضح: يُبنى هذا البيت مقابل شروق الشمس فعندما تشرق الشمس يدخل ضوؤها من الباب ليدفئ البيت من الداخل، وينزل بيت القفل حوالي مترين تحت سطح الأرض ويرتفع فوق سطح الأرض حوالي متر ■

المنطقة الواقعة بين (الجسرين - المقطع) بأبوظبي

السر التاريخي وراء تسمية «ربدان»

حسن صالح محمد

لماذا أطلق صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة اسم «ربدان» على هذه المنطقة بالذات؟ لا يعرف الكثير من الناس السر وراء تلك التسمية؛ إلا أنهم قرأوا كما قرأنا خبراً مفاده: تنفيذاً لأوامر وتوجيهات سموه، ومتابعة سمو الشيخ هزاع بن زايد آل نهيان نائب رئيس المجلس التنفيذي لإمارة أبوظبي، أعلنت دائرة البلديات والنقل ممثلة ببلدية مدينة أبوظبي. عن استبدال اسم منطقة (بين الجسرين - المقطع) التي تقع في أبوظبي باسم «ربدان». و(ربدان) اسم خيل يمتلك من سلالتها صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة «حفظه الله»، كما كان المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مؤسس الدولة، طيب الله ثراه، يمتلك من سلالة (ربدان) ويوليها رعاية خاصة، ويحث على العناية بهذه الخيول الأصيلة، وإكثارها لتمتد إلى الأجيال القادمة.

وهي سلالة من سلالات الخيول الأصيلة التي تمتلكها أسرة آل نهيان الكرام منذ مئات السنين، ويعتبر «ربدان» سلالة خيل أصيلة في المنطقة، ويعد الشيخ زايد الأول وذريته من آل نهيان أشهر ملاكها. وقد ذكر الرحالة الألماني «بورخاردت» نقلاً عن الشيخ زايد الأول عام 1904م أن فرس ربدان من سلالة الخيل الصقلاوية الشهيرة، كما تعد «ربدان» رمزاً تراثياً أصيلاً ومهماً. ومن أشهر سلالة (ربدان) خيل الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان حاكم أبوظبي إبان الفترة الممتدة ما بين (1855 - 1909)، فأصبح لها نسل وسلالة معروفة إلى يومنا.ويعكس الاسم الجديد اهتمام الإمارات بالخيول الأصيلة كرمز عربي عريق، يحمل ويجسد الموروث الثقافي والاجتماعي والتراثي لمجتمع الإمارات. وإلى هنا قد اختُتِمَ الخبر الذي أوردته وكالة أنباء الإمارات وكافة وسائل الإعلام ومنها الصحف بالطبع[1]. ولكن ما السر التاريخي الذي يعرفه المطلعون على الأحداث التاريخية، ويغيب عن بعضهم. فإذا عُرِفَ السبب تعاظم الزهو والفخر بما شهدته تلك المنطقة التي كانت تمثل البوابة الرئيسة لأبوظبي، فهي مدخل جزيرة أبوظبي حيث يقف برج المقطع حارساً عليها وكان يمثل بنياناً مرتفعاً يرقب حركة القادم سواء الجماعات، أو الأفراد، وكان القابضون على البرج أي حراسه المكلفون بتأمين الجزيرة لا يتركون شاردة، أو واردة تقترب من البرج إلا وتابعوها ووجهوها أو منعوها، فإذا كانت قوى معتدية على الفور يبلغون شيخ بني ياس، وهو حاكم أبوظبي، الذي سرعان ما يتوجه على رأس قواته لصد ومنع المعتدي مهما بلغت قوته، ذوداً عن أبوظبي وحمايتها وتأمين سلامة أهلها. أبوظبي دجنت الخيل في قرابة 2400 ق.م: تتباين المعلومات حول تدجين الخيل، ولكن بحسب علماء الآثار والحفريات التي حصلوا عليها سنسوق دليلاً على ذلك. فبالرغم أن المعروف بأن الانسان روّض الخيل منذ أواسط الألف الثالثة قبل الميلاد[2]، لم يكن هناك من دليل على ذلك، ونقصد الدليل المادي. حتى أظهرت المكتشفات الاركولوجيا أي الآثارية أن تدجين الخيل كان قد حدث في قرابة منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. وبحسب ما أورده عالم الآثار المعروف دانيال ت. بوتس بأن أهل الإمارات خلال ذلك العصر، وهو عصر أم النار، قد قاموا بتربية الخيل،أي منذ قرابة الـ 5000 عالم حتى اليوم. ونحن إذ نستند على 2400 ق.م فيكون ذلك تقريباً بعد منتصف الألفية الثالثة بقليل حيث دجنوا الخيول. ومما يذكره التاريخ أن الأقوام الذين عُرِفوا بالهكسوس، عندما جاؤوا مصرَ، في 1640 - 1540 ق.م، ألفوا قوات للمشاة، و كانت جيوشهم تركب العربات التي تجرها الخيول. كذلك فإن العرب عرفوا الفروسية فكان الفارس مكرمة من مكارم قومه، وكانوا يدربون أبناءهم منذ الصغر على ركوب الخيل. و أفضل مديحهم للرجل

وصفهم له بالفروسية. كما ارتبطت الفروسية بالحرب منذ أن وعي الإنسان دور الخيل فيها. وأيام العرب خير دليل على ذلك. وكان الفارس مكرمة من مكارم قومه، ومفخرة من مفاخرهم، يعتزون به، ويشيدون ببطولته، والفروسية عنصر مهم من عناصر حياة العربي، بل تمثل العنصر الحيوي فيها، فتكون بذلك ظاهرة طبيعية في حياة العربي ينشأ عليها ويعايشها طوال حياته. فالفارس الكامل في نظر العرب، هو من يحمي الضعيف من القوي، وينصر المظلوم على الظالم، ويتطوّع لمحاربة الشر. ومن تقاليد الفروسية معاملة الأسرى بالحسنى، وهذا يصور مدى الشهامة والسمو الإنساني في معاملة شخص يقع تحت رحمة شخص آخر أقوى منه، قادر عليه ولكنه يرفق به، ويحسن إليه. وكانت للعرب فنوناً في الفروسية إذ كانت تدرب أبناءها منذ الصغر على ركوب الخيل وحمل السلاح. وكانت الفروسية لا تتأتى إلا بالتجربة الحربية الطويلة، والممارسة الفعلية لقيادة المعارك. وكانت أغلب القبائل العربية تستعمل أسلوب الكرّ والفرّ، طريقة للقتال، وهذا ما وصفه امرؤ القيس بقوله:

مكرٍّ مفرٍّ مُقبلٍ مدبرٍ معًا كجُلمود صخرٍ حطّه السّيل من عَلِ.

الحقيقة أن العلاقة ظلت بين إنسان الإمارات والخيل قوية ومبنية على الاهتمام، فأهل الإمارات يعتنون بالخيل ورعايته،وقد مرت على أبوظبي الكثير من الوقائع التي شهدت بطولات وظهور دور الفرسان بل وكذلك الهجانة. وحرص حكامها على الاعتناء بالخيل والإبل على سواء وتربية واقتناء السلالات المتميزة منهما وهي و عرفت كيف تستخدمهما كقوة ضاربة في حفظ الأمن فشكّلت بذلك أهم عناصر قوتها وعدتها الأمنية والدفاعية لحماية مجتمعها من قبل أن تعرف تشكيل قوات شرطية وأمنية نظامية. وهذا ما يفسر توظيف الخيل والإبل ضمن فرعين هما الفرسان والهجانة ضمن إدارة دورياتها الخاصة بقطاع الأمن الجنائي في شرطة أبوظبي. ومما يُذكر هنا، بأن برج المقطع، الذي يقف شامخاً وسط مخاضة المقطع عند مدخل جزيرة أبوظبي، كان شاهداً على واقعة دارت عام 1856م عندما جاء بعض المعتدين إلى العاصمة أبوظبي يريدون اقتحامها والسيطرة عليها عنوة فاحتلوا البرج آملين دخول الجزيرة في غياب حاكمها الشيخ زايد الأول (1855.1909م)،الذي كان وقتها بمنطقة البريمي، فما أن وصله هذا الخبر السيىء حتى انتابه الغضب وعقد العزم على مواجهة هذه الأزمة الطارئة بنفسه فقد كان فارساً لا يشق له غبار ، وقد عُرِفت عنه صفات كثيرة منها الكرم؛

إلا أنه عُرِفَ كذلك بالقوة والفروسية والمواجهة مع الأعداء في ساحة الوغى وجهاً لوجه. فبمجرد سماعه لهذا الخبر السيء حتى نهض سريعاً وبيده سلاحه الذي لا يخيب ولا يُخطئ، وخلفه قواته على صهوات جيادهم ونوقهم فتقدمهم هو بعد أن أمتطى فرسه المعروف والمشهور ربدان. وكان كم يتمنى أن تنشق الأرض ليكون عند برج المقطع ،فراح يسابق الزمن وربدان يقطع المسافة البالغة قرابة 140 كيلومتراً في زمنٍ قياسي حتى أذهل ذلك العدو عندما شاهد من أعلى البرج الشيخ زايد على صهوة حصانه ربدان*، وخلفه قواته من فرسان بني ياس وكأنهم أتوا ببساط الريح، وعلى الفور اقتحم البرج ببطولته المعهودة ونازل المعتدون بجسارة وقوة هو وفرسانه الذين كانوا يقتدون به وقد عقد العزم هو ورجاله على دحر المعتدين الذين حاولوا دخول أبوظبي عبر خور المقطع، ولما فشلوا تحصنوا بالبرج فدارت معركة،التي نذكرها ويالیتهم ما جاؤوا ليلاقوا حتفهم على يد فارس بني ياس وشيخها الكبير،وكان ذلك في عام 1856م .وبالطبع كانت النتيجة متوقعة حيث انتهت بهزيمة المعتدين وانتصرت أبوظبي وردت كيد الغزاة. فإن كان لبرج المقطع رجاله الصناديد، فقد كان البرج أيضاً حائلاً من دون توغل أي قوات معتدية تحلم بالإنقضاض على جزيرة أبوظبي، وهو ما يدلنا على سعة أفق وبعد نظر الشيخ شخبوط بن ذياب (1793-1816م)، الذي بناه في العام 1793 تقريباً مع بناء برج الحصن، وكان قد سبقهما برج السعديات. ونعود فنقول، بالطبع فقد أعاد الشيخ زايد الأول،صيانة البرج بعد تلك الواقعة؛ كما أن تلك الأحداث أظهرت أهمية هذا البرج الذي ظل حارساً أميناً وشاهداً على تاريخ أبوظبي الحديث، فقد حال من دون تقدم القوات المعتدية وعرقل مسيرتهم بسبب تواجد حراسة أمنية كانت تبلغ الحاكم فوراً بكل جديد. وكانت أبوظبي تضع خلال حربها مع القوات الغازية من الجهة الغربية،حراساً من رجال القبائل في عدد من أبراج المراقبة المشرفة على الطرق القريبة. وكان نحو خمسة عشر رجلاً يتخذون من المقطع مركزاً لهم، وهو مخاض رملي ضحل يسهل خوضه لمياه البحر ويقع بين جزيرة أبوظبي والأراضي البرية الرئيسة كما كان هناك حراس على بوابة قصر الحصن[3]. فالنصر الذي تحقق ويُنسب فيه الفضل حقيقة للشيخ زايد وفرسانه،إلا أن اعتزازاً بالخيل والفرس ربدان فقد

أطلق على المنطقة مابين المقطع وبين الجسرين ربدان تكريماً لما للخيل من قيمة وبالذات ربدان الباقي في ذاكرة تاريخ شيوخ أبوظبي، الذي يكرمون الخيل بهذه التسمية وهو قمة العرفان والتكريم. على كلٍ فقبائل بني ياس العربية عُرِفَ عنهم العناية بشؤون الخيل، وارتباط عِتَاقِها ما لغيرهم من قبائل الجزيرة. وما شيوخ آل نهيان إلا من تلك القبائل العربية الأصيلة التي كانت الفروسية بعضَ خصالهم، والخيل عُدَّتُهم في كلّ حالٍ، فهي تجري بهم فرساناً؛ فيُسمَعُ صوتُ أنفاسها، وينطلق الشرر من حوافرها التي تقدح كالزناد، وتثير الغبار في وجه العدو، وهذا يجسِّد ما قاله الشيخ سلطان بن زايد بن خليفة، في إحدى قصائده[4].

يا مـــا عطينـــا غاليـــات أثمـــان
عجـــلات فـــي رد الســـنـــد
لـــي قينـــها يرقـــع على الصمـــان
يبطـــي عجاجـــه مـــا ركـــد

الخيل الرُبدُ لغة وتسمية: الخيلُ الرُبدُ من أصايل الخيل المشهورة عند العرب، والرُبدُ جمع (رَبدَاء) والذكر (أربد) مأخوذة من (الرُبدَة) ألوان الغبرة، وقيل لون إلى الغبرة أي مائل إلى الغبرة، وقيل الربدة والربد في النعام سواد مختلط، والرُبدَاءُ من أوصاف النعامة، يقال: نعام رَبدَاء، أي (اختلاط لون السواد مع الرماد). وسُمِّيت الخيل بهذا الاسم لِلحَاقِها نَعَامَةً، ويقال: إنَّ صاحبها الأول أدرك عليها نَعَامَةً. ولكون الرُبدَة من الأوصاف كثرت أنواع الخيل الموصوفة بهذا اللون. ومن الصفات التي تميّز الخيل الرُبُد سرعتها الفائقة، وحوافرها الصغيرة، وقوائمها القوية والخفيفة التي تشبه النعام، إضافة إلى أنَّ خفة حركتها تزيد من مهارة من يمتطيها. فالخيل الرُبدُ احتلت عند الشيخ زايد بن خليفة مكانة عزيزة على نفسه،كما احتلت الخيول لدى شيوخ أبوظبي قديماً وحديثاً مكانة بارزة، فقد كان معظمهم يرغبون في امتلاكها؛ لأنَّ النفوس تنشرح لجَمالها، وزينةٌ مُحببةٌ تهواها القلوب؛ فتطرب الأرواح لزهوها وصهيلها. وكانوا يعدون الجواد الأصيل دائماً هدية قيمة للتبادل فيما بينهم وبين حكّام وأعيان زمانهم، ولهذا فإننا نجد من خلال تحليل العديد من المراجع التاريخية وكتب الرحالة والمراسلات الرسمية وغير الرسمية المتبادلة بين حكّام أبوظبي ومعاصريهم من الحكّام والأعيان، الحرص الشديد الذي كان يُبديه شيوخ أبوظبي، وبصفة خاصة الشيخ زايد بن خليفة على

تربية الخيول العربية الأصيلة، وإقامة المرابط الخاصة بها في مختلف أنحاء إمارة أبوظبي، والإنفاق الجزيل عليها، حيث اهتمَّ بأصولها، وأكرمها، واستخدمها في مصالحه المختلفة. فقد أورد لوريمر[5] ففي كتابه دليل الخليج وخاصة في الفصل الذي تحدّث فيه عن إمارة أبوظبي في عهد الشيخ زايد بن خليفة أن الخيول تشاهد عند الشيوخ فقط... والمعروف أنَّ في قرى الواحة (البريمي) على وجه الإجمال نحو 50 حصاناً ... وإلى جانب ذلك يوجد عدد من الخيل يقال إنه يبلغ مئة فرس كلها لشيخ أبوظبي، ويذكر في مكان آخر من كتابه حول خيل الشيخ زايد بن خليفة «... والعلف الذي تقدمه بعض القبائل لمئة من الخيول يحتفظ بها الشيخ في واحة البريمي. بل ذكر أنه كان لدى الأشراف مربط معروف يدعى (ربدان الخُشيبي). وقد جاء أنَّ للخيل الحجازية، أي خيل الأشراف، صفات مميزة منها أن أحداقُها حسنةٌ سودٌ رقيقة الجحافل، طويلة الآذان، صلبة الحوافر، أرساغها جيدة .ويعتقد أنَّ الفرس التي أهداها الشريف (عون الرفيق بن محمد بن عون 1904م) إلى الشيخ زايد بن خليفة، ربما تكون من سلالة الصقلاويات التي هي نوع من عِتَاق الخيل (الأصايل) القديمة من كُحيلة العجوز، وهي التي ينسبها العرب إلى خيل الخمس التي تمَّ تأنيسها. وأمّا أصل التسمية، ففي كتب اللغة: الصَّقِلُ من الخيل القليل اللحم، وصِقَال الفرس صَنعَتُهُ وصيانتُهُ، يقال جعل فلانٌ فَرسَهُ في الصِّقَال، أي القيام عليه بالجلال والعلف. ويقال أيضاً سُميت (صقلاوية) لصفاء شعرها. وقد تكون سُميت بذلك، لكونها تحمي ظهورها من ركوب من لم تأنس به بِرمجِهِ برجلها، إذ العامة في نجد يقولون: صَقَلَتهُ الفرس، إذا ضربته برجلها، وفرس

صقول إذا كان يرمح برجله من يقرب منه، ممّن لا يعرفه. وممّا يدلُّ على المكانة الرفيعة للخيل الصقلاوية ما ذكرته (الليدي آن بلنت) من أنها شاهدت في إصطبل الأمير (محمد بن رشيد) فرساً صقلاوية من خيل نجد، وقالت في وصفها: «غبراء في غاية البساطة، كما تبدو لأول وهلة واهنة الأطراف، ذات رأس يثير الإعجاب بأي حال، إلا أنها ذات كتفين رفيعين، وهذه الصقلاوية ذات سمعة كبيرة هنا، وتولى اهتماماً خاصاً لأنها آخر من بقي من فصيلتها، والخلف الوحيد للفرس الشهيرة التي اشتراها عباس باشا الذي أرسل عربة تجرها الثيران من مصر إلى نجد لأخذها، لأنها كانت عجوزاً وغير قادرة على السفر سيراً، وأنَّ مهرة ابن رشيد هذه هي الممثلة الوحيدة للسلالة الباقية في جزيرة العرب». فهذه الصقلاوية الأصيلة هي الأم العليا للأصل الصقلاوي بمصر. ومن بناتها وأحفادها وحفيداتها ولدت الأفراس الصقلاوية التي صارت مفخرة مرابط أمراء الأسرة الخديوية. وما كان من ملك أو أمير يزور مصر إلا ويزور مرابط الأمراء لمشاهدة الصقلاويات الجميلات. وجاء في الرسائل التي تمَّ تحقيقها والموسومة بـ"رسائل من عصر زايد بن خليفة[6]، اهتمام وعناية الشيخ زايد بن خليفة بالخيل وترسيخ قيم الفروسية؛ لأنها من المآثر العربية التي تسري في النفوس الأبيّة عروبةً نقيَّةً في عزة وأنفة. وعليه فقد ورد في الرسالة الموجهة من زايد بن خليفة إلى خليفة بن زايد في واحة العين والمؤرخة في 25 سبتمبر سنة 1901م: «... وصلنا راجعين الوطن بحال الصحة والسلامة ثم الواصلة إليكم ثلاثين ريالاً أخرى للخيل الذي في الجاهلي... وجاء في رسالة أخرى موجهة من الشيخ زايد بن خليفة إلى الشيخ (أحمد بن هلال الظاهري)

والمؤرخة في 5 أبريل سنة 1901م: «... عرفة من طرف الفرس الكحيلة إنها وصلت وأنجبت مهرة مباركة إن شاء الله. ونستدلُّ من خلال هذا النص الوارد في الرسالة على أنَّ الشيخ زايد بن خليفة كان شديد الحرص على الاحتفاظ بالخيل في قلعة الجاهلي والعناية بها، لتكون على أهبة الاستعداد لمواجهة أي طارئ أو هجوم قد تتعرَّض له الواحة. ويبدو كذلك أنه قد خصَّص لخيله مرابط خاصة وعطاءً مجزياً للعناية بالخيل التي تقيم في قلعة الجاهلي، وكذلك خصَّص أناساً من العرب والعجم للعناية بها وخدمتها، لإنتاج سلالات جديدة من الأصايل التي كان يمتلكها. وأنه يعتني بها عناية فائقة ويهتم بأصول الخيل وأنواعها، ومنها نوع الفرس الواردة في هذا النص وهي من نوع الكحيلات، ويبدو أنَّ تقديم حليب النوق للمهر الصغير دليل على الاهتمام الواضح بإطعام الخيل لتبقى بصحة وعافية. ومن أهم الوثائق التاريخية التي تحدثت صراحة عن سلالة الأربد الخاصة بالشيخ زايد بن خليفة، تلك الرسالة الموجهة من (سعيد بن محمد بن عامر المحرمي الحارثي) إلى (الشيخ أحمد بن هلال الظاهري) والمؤرخة في 20 أبريل سنة 1905م، والتي جاء فيها:

ونخبرك أننا قد سيرنا الفلوة بنت الأربد لحضرة جناب زايد بن خليفة بعدما أشار إلينا يطلب أمهّا، وأمها غير لائق القود بها حالاً؛ لأنها أولاً كانت باطي مدني وقد أفلت ليلة عاشر بحصان ولذلك لم تستطع القود؛ لأنه لا شك القود لها مضر، وأحببنا تصدير ابنتها لحُسن ظننا فيها؛ لأنها ربداء نص من أمها وأبيها وأما هي بعدها صغيرة سن تكمل السنتين 29 شهر الحالي، وحببنا تقديمها لئلا نتمادى بإشارة شيخنا الوالد زايد، وسيّرناها له على بركة الله تعالى فعساها تكن رمكة مبروكة، وأرسلناها على أيدي رسلنا (سالم بن سعيد) راعي روعه الحارثي، و(سبيع بن هاشل الهشيلي الوهيبي)، وأمها إن شاء الله سوف تصله بعد حين إذ حيث أنه لا فرق بيننا وإياه في المال والحال. عن أصل التسمية: يتحدث هذا النص عن الفرس والحصان الأربد الذي أوكل الشيخ زايد بن خليفة مهمة القيام والعناية بهما إلى (سعيد بن محمد بن عامر المحرمي الحارثي) في صحار من سلطنة عُمَان، وتفيدنا هذه الرسالة أنَّ سعيد الحارثي قد أرسل مهرة ربداء عمرها أقل من سنتين إلى الشيخ زايد بن خليفة وهي تحمل أوصافاً مناصفة من أمها وأبيها الحصان الأربد. ونستدل من هذا النص أيضاً على أنَّ سلالة الحصان الأربد متوافرة لدى الشيخ زايد بن خليفة مع الحسب والنسب، وعمل جاهداً للاحتفاظ بسلالة الخيل الأربد العربية الأصيلة، كما استخدم خيل الأربد لتحسين سلالات الخيل الأخرى. وفي ذلك دلالة قاطعة في إثبات ما قاله الشيخ (محمد بن خليفة ـ صاحب البحرين) على أنَّ الأربد من سلالة الخيول التي وصلت إلى سعيد بن سلطان صاحب عُمَان، والذي تربطه بشيوخ آل نهيان علاقات وطيدة، بحكم الجغرافيا والتاريخ المشترك منذ قيام حكم آل بوسعيد في عُمَان عام 1744م. لقد كان الشيخ زايد حتى قبل وفاته في العام 1909 يدرب أبناءه على الفروسية ،فجعلهم فرساناً يُشهد لهم القاصي والداني، وكانوا خبراء في أنساب الخيل وصفاتها وسلالاتها. وهذا ما أكّده حديث (عبدالرزاق بن سليمان آل خليفة)، عندما سئل عن الحصان الذي ذُكِرَ أنه أُرسل إلى (عباس باشا) في مصر من السيد (سعيد بن سلطان)، سلطان مسقط، من أيّ الرُّبدِ هو فأفاد عبدالرزاق أنه رَبدَان أصفر، ابن فرس الدويش، وهو درج من محمد بن خليفة عطاءً، إلى اليد سعيد، سلطان مسقط. وفي موقع آخر يؤكد عبدالرزاق في حديثه عن سلالة خيل الربد، أنَّ ربدان هو حصان سلطان مسقط. ومن النصوص التاريخية المهمّة التي تحدثت عن الخيول الأصيلة التي كانت تعدُّ هدايا قيمة للتبادل فيما بين الشيخ زايد بن خليفة وبين حكام وأعيان زمانه، منها الرسالة الموجهة من (يوسف بن سعيد الهاجري) إلى الشيخ (أحمد بن هلال الظاهري) والمؤرخة في 12 أغسطس سنة 1902م: «... ونعرفك شيخنا المطاع زايد بن خليفة عَرّف للوالي في الحصان الذي مَرسول له من (علي بن أحمد) من البحرين. والحقيقة الوالي قال دلّو زايد معرف في الولد مظفر لا يعز عليه والحصان واصل عند الطارش. وهنا إشارة واضحة إلى أنَّ الشيخ زايد بن خليفة قد حصل على هدية قيمة من الخيل تمثّلت في الحصان الذي أُرسل إليه من علي بن أحمد من البحرين عام 1905م. وهنا نوضِّح أنَّ الشيخ زايد بن خليفة كان يُهدى ويهدي من الخيول الأصيلة التي كانت في مرابطه، فورد في كتاب (رسائل السركال)؛ الرسالة المؤرخة في 2 أكتوبر 1887م، جاء فيها أنَّ: «... الحاج أحمد خان (المبعوث الفارسي الذي وصل أبوظبي في النصف الثاني من عام 1887م) حصل من حاكم أبوظبي على فرس وحصان، وبعد وصوله إلى لنجة أرسل خمسين جونيه شعير إلى حاكم أبوظبي، وقد أرسل إلى ولد الشيخ زايد (خليفة بن زايد) فلواً عمره سنة ونصف». وفي هذا النص إشارة واضحة إلى أنَّ الشيخ زايد بن خليفة كان يمتلك عدداً كبيراً من الخيول متعددة الأنساب والأصول، وأنه كان حريصاً على تقديمها كهدايا قيمة لضيوفه لتوثيق عُرى التواصل معهم، كما يستنتج من هذه الوثيقة حرصه أيضاً على استمرار تناسل السلالات ذات الأصول العريقة من هذه الخيول. ربدان في القصائد الشعرية: إضافة إلى ما سبق كان لربدان الحضور الدائم المميز في النصوص الشعرية

مما يعطي دلالة قاطعة على مكانته الرفيعة لدى الشيخ زايد بن خليفة وأبنائه، فهناك قصيدة للشاعر علي بن مصبح بو نعاس الرميثي يمتدح فيها جناب الشيخ زايد بن خليفة؛ لأنه أهداه حصاناً من هذه السلالة العريقة فيقول:

هـــذي عطيتنـــــا من ابـــن نهيـان
جـــزل العطايـــا لـــي شبـــوره طويلـــه
يامـــا عطـــا لمصبـــح نصـــب الأذان
يـــا زيـــن مصراعـــه وومية شليلـــة

يتحدَّث الشاعر في هذين البيتين عن الحصان الذي أهدي إليه من الشيخ زايد بن خليفة الذي عرف بكرمه وسخائه وعطاءاته الكثيرة، ثمَّ يتناول صفات هذا الحصان ومنها القوة وسرعة الحركة، ويستطرد في تناول هذه الصفات قائلاً:

يا زيـــن مصراعـــه يلـــي لبس الأعنـــان
شـــروات ظبي فاســـخ مـــن مجيلـــه
منســـوب مـــا بين الكحيلـــة وربـــدان
ياخـــد مـــن العـــوده بمـــد ومثيلـــه
ان أتعبوهـــن واضربوهـــن بالارســـال
عطيـــة شيـــوخ والعطايـــا جزيلـــة

أي ما أجمل حركته عندما يوضع عليه اللجام، فهو كالظبي الذي قفز فجأة من قيلولته، وليس غريباً عليه ذلك فهو من سلالة أصيلة؛ فأبوه ربدان* وأمه الكحيلة ومنهما يأخذ صفاته، وهذه السلالة الأصيلة إذا ما شاركت في السباق أو الغزو شرفت أصحابها؛ لأنها من عطايا الشيوخ الكثيرة ■

المصادر:

1. إطلاق اسم «ربدان» على منطقة «بين الجسرين - المقطع»: صحيفة الخليج، 8/7/2020.
2. دانيال ت. بوتس: الخليج العربي في العصور القديمة . الجزء الأول (من عصور ماقبل التاريخ إلى سقوط الإمبراطورية الأخمينية) ترجمة: ابراهيم خوري، مراجعة أحمد بعدالرحمن السقاف. المجمع الثقافي بأبوظبي 2003 ص350.
3. هيرد - باي، فراوكه: من الإمارات المتصالحة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، ص104، ص105 .
4. سعيد محمد بن كراز المهيري: ربدان حصان الشيخ زايد بن خليفة الأصل والنسب دراسة توثيقية . مركز جمال بن حويرب للدراسات على موقع الانترنت*.
5. لوريمر أدرج الحديث عن أبوظبي تحت حرف «الدّال» (D) فكتبها بصيغة: Dhabi Abu. أنظر كذلك؛ تأليف:ج. ج. لوريمر:دولة الإمارات العربية المتحدة في دليل الخليج، بيروت : بيسان للنشر والتوزيع، 2014.
6 . رسائل من عصر زايد بن خليفة: إعداد وتحقيق: سعيد محمد بن كراز المهيري، أبوظبي: المركز الوطني للوثائق والبحوث، وزارة شؤون الرئاسة،2009 .

مقاربة في الحركة المسرحية الإماراتية منظور تاريخي

د. صديق جوهر

تزايد - في الآونة الأخيرة - الاهتمام بمجال دراسات المسرح الإماراتي في السعي لربطها بمسارات أخرى عابرة للثقافات على المستويات الإقليمية والوطنية والدولية على ضوء ما تشهده البلاد من فعاليات مسرحية على مدار العام. بدأت الحركة المسرحية الإماراتية في الخمسينيات في المسارح المدرسية المحلية على شكل مسرحيات للهواة ثم وصلت إلى مرحلة النضج الكامل في بداية القرن الماضي في الشارقة ودبي وعجمان وأبوظبي ورأس الخيمة والفجيرة حيث تحولت إلى مسرح تجاري معاصر خاصة بعد أن أصبحت الإمارات مركزاً فنياً تقام فيه العديد من المهرجانات المسرحية. من الأهمية إعادة تأريخ التراث الثقافي المسرحي الإماراتي الذي لعب دورًا محوريًا في تشكيل الوعي الجماعي والذاكرة الوطنية للأمة حيث أسهم المسرح الإماراتي في تعزيز الوعي بمختلف القضايا المحلية والإقليمية والدولية ولم يكن مجرد وسيلة ترفيه أو وسيلة لنشر الفولكلور الشعبي، بل كان أيضًا جهازًا ثقافيًا مهمًا لعب أدوارًا مهمة في الترويج للقضايا الاجتماعية والسياسية الإقليمية والوطنية خلال العصور المختلفة.

مدخل تاريخي

منذ وقت طويل نشأت علاقة قوية في الإمارات العربية المتحدة بين تطور النظام التعليمي في الدولة وظهور الحركة المسرحية الإماراتية المحلية. تاريخياً ولد المسرح الإماراتي في المدارس المحلية مثل المسارح الخليجية الأخرى.

في الواقع تدعم المدارس الحكومية والخاصة والمدارس الملحقة بالكنائس في جميع أنحاء العالم مجموعة متنوعة من الأنشطة الثقافية التي تشارك في عملية بناء الأمم والشعوب بما في ذلك الفعاليات المسرحية. لكن في عصر ما قبل النفط كان النظام التعليمي في المنطقة التي تشمل الإمارات العربية المتحدة اليوم يتألف فقط من الكتاتيب أو مدارس تحفيظ القرآن. خلال الحقبة الاستعمارية كانت الإمارات العربية المتحدة جزءاً من الإمارات المتصالحة وهي منطقة كانت إلى حد ما معزولة اقتصادياً وثقافياً مثل بقية البلدان المجاورة الأخرى في ذلك الوقت وكانت تعتبر واحدة من أقل المناطق نمواً في العالم. في الوقت الحاضر تقف دولة الإمارات العربية المتحدة جنباً إلى جنب مع أكثر اقتصادات العالم تطوراً وتنافس الدول العظمى اقتصادياً. ومع ذلك فإن دولة الإمارات العربية المتحدة على عكس أغنى دول العالم الأخرى لم تشهد مراحل تطور

متتالية تدريجية. بعبارة أخرى لم يشهد الاقتصاد الإماراتي قط عملية طويلة الأمد لتراكم رأس المال كجزء لا يتجزأ من التقدم الاقتصادي كما حدث في الدول الأخرى. نظراً للموارد الطبيعية للبلاد وخاصة احتياطياتها النفطية فقد تطورت دولة الإمارات العربية المتحدة من خلال طفرات قوية وقفزات عملاقة لتصبح واحدة من أكبر المراكز الاقتصادية في العالم في فترة زمنية مذهلة. في الماضي، كانت المنطقة التي تضم الإمارات العربية المتحدة اليوم تعتمد على الخليج العربي كمصدر وحيد للدخل. في منطقة تتميز بالمناخ القاسي ومحدودية الموارد والإمكانات الزراعية كان الخليج عملياً مركز الأنشطة الاقتصادية وخاصة صيد الأسماك والغوص على اللؤلؤ. ومع ذلك لم يكن صيد الأسماك وجمع اللؤلؤ بالنسبة لمواطني الإمارات مصدر ثراء بل كان مجرد وسيلة للبقاء على قيد الحياة. بالإضافة إلى ذلك فقد هذا الاقتصاد الهش معظم أهميته عندما انهار سوق اللؤلؤ في الأربعينيات بعد تطوير طريقة زراعة اللؤلؤ الصناعي في أجزاء مختلفة من العالم.

مدارس الإمارات والدراما المسرحية

لفترات طويلة خاصة في الحقبة التي سبقت اكتشاف واستغلال حقول النفط كان التعليم في منطقة الإمارات المتصالحة على شكل نظام تقليدي عتيق يعتمد على الكتاتيب وجهود أهل الخير من سكان البلاد. وعلى الرغم من أن القوى الاستعمارية التي احتلت المنطقة لاحقاً قد أعاقت جميع جهود النهضة التعليمية فقد بدأ ظهور عدد قليل من المراكز التعليمية الخاصة التي تتكون أساساً من المدارس الابتدائية بمبادرة من التجار الأثرياء في بداية القرن العشرين. كانت مناهج هذه المدارس تتكون من مقررات دراسية تقليدية تشمل تعليم القراءة والكتابة باللغة العربية والرياضيات والتاريخ وكذلك الدراسات الإسلامية.

في عام 1907 نشأت عائلة آل محمود الثرية في الشارقة أول مدرسة في منطقة الإمارات العربية المتحدة وقد أطلق عليها (المدرسة التيمية المحمودية).

في هذه المدرسة لم يدفع الطلاب رسوماً وتم إعطاؤهم كتباً ودفاتر مجانية مجانية بالإضافة إلى الزي المدرسي. بالإضافة إلى جهود آل محمود شارك رواد تربويون مشهورون مثل أحمد بن دلموك ومحمد الزينال في المبادرات التربوية التي تهدف إلى تحديث النظام التعليمي في دولة الإمارات العربية المتحدة. على غرار المدرسة المحمودية، تم إنشاء مؤسسات مماثلة تدريجياً في مدن أخرى فقد تم إنشاء (المدرسة الأحمدية) في دبي في عام (1912) وفي أبوظبي تم إنشاء (مدرسة عبد الله العتيبة) في عام (1930). في عام 1953 وبدعم مالي من سلطات الشارقة تم تأسيس أول مدرسة ابتدائية تسمى مدرسة الإصلاح القاسمية. كانت أول مدرسة في منطقة الإمارات العربية المتحدة آنذاك تقدم مناهج متكاملة. مع الظهور التدريجي للمؤسسات التعليمية الجديدة شهدت الإمارات العربية المتحدة تدفق المعلمين المحترفين من مصر وسوريا والأردن ولبنان للعمل في الإمارات.

المسرح المدرسي في منطقة الخليج

كما هو الحال في الدول العربية الأخرى في منطقة الخليج العربي مثل الكويت والبحرين كان معلمو المدارس هم أول رواد للمسرح الإماراتي. خليجياً أقيم العرض المسرحي الأول ضمن النشاط الثقافي المدرسي في البحرين في (مدرسة الهداية الخليفية) بالمحرق في عام 1925، بينما بدأت الحركة المسرحية في الكويت في مدرسة تسمى (المدرسة المباركية) في نهاية القرن الماضي. في الثلاثينيات من القرن المنصرم كان المسرح من بين أشكال الفنون الجدية في المنطقة ولم يكن معظم المدرسين الهواة الذين روجوا للحركة المسرحية في دول الخليج في ذلك الوقت من المخرجين أو الممثلين المحترفين. كان هؤلاء المعلمون الهواة يحاولون ترسيخ بعض الظواهر الفنية المسرحية في بلدانهم بالشكل الذي فهموه آنذاك. تعامل العديد منهم مع العروض المسرحية باعتبارها مجرد وسيلة تعليمية لجعل الدروس الأكاديمية أكثر جاذبية لطلابهم. كانت الحركة المسرحية في منطقة الخليج نوعاً من المسرح المدرسي الذي تم استخدامه لأغراض تربوية. ومع ذلك كان هناك عدد قليل من المعلمين الذين لديهم تطلعات فنية واسعة وأرادوا إنشاء حركة مسرحية رائدة تضم شباب المواطنين المحليين في دول الخليج.

جذور الحركة المسرحية في الإمارات

ظل الجدل مستمراً لفترات طويلة حول تحديد المكان الذي أقيم فيه العرض المسرحي الإماراتي الأول. زعم بعضهم ومن بينهم الفنان عبد الله صالح أن أول مشاهد تمثيلية مسرحية ذات قيمة تربوية قد قدمها بورحيمة في المدرسة القاسمية في عام 1950. ونقلاً عن أحد رواد المسرح - عبيد بن صندل - ذكر أن أول مسرحية إماراتية عرضت في الشارقة عام 1958 كانت بعنوان (عش طويلاً واستمتع). كما أشار عبد الإله عبد القادر «إلى الطقوس المسرحية» التي كان يمارسها البحارة والغواصون الإماراتيون في مواسم صيد اللؤلؤ والأعياد والأفراح كما هي حال ألعاب الدمى (الخيال والظل) والحكايا الشعبية الموروثة والحكواتي وطقوس الرقص الصوفي واعتبرها مقدمة لظهور الحركة المسرحية لاحقاً. في دراسة بعنوان (المسرح في الإمارات - 2004) زعم عبد القادر أن ثمة من يؤكدون أن مسرحية سلطان

المدرسة الأحمدية - دبي

المدرسة المباركية

عبيد بن صندل

يوسف عدابي

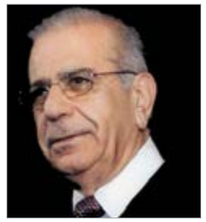

عبد الإله عبد القادر

عبد الله صالح

بن محمد القاسمي (نهاية صهيون - 1958 - 1959) كانت أول مسرحية إماراتية تُعرض على الملأ. وبالمثل في دراسة يوسف عدابي (النص المسرحي في الإمارات - 2003) أشار المؤلف إلى مسرحية تم عرضها عام 1957 في المدرسة القاسمية كأول نص مسرحي يُعرض في تاريخ الإمارات العربية المتحدة. بالإشارة إلى العروض المسرحية المحلية فقد سارت مدارس أخرى في الإمارات العربية المتحدة على نفس النهج الذي بدأته مدرسة الشارقة القاسمية. في إطار الإمكانات المتاحة المتواضعة كان الطلاب تحت إشراف المعلمين يعدون عروضاً مسرحية بسيطة تمت كتابتها في كثير من الحالات بمشاركة الطلاب والمعلمين. وعلى نفقتهم الخاصة كان المعلمون والطلاب يشترون المواد اللازمة لتقديم هذه المسرحيات التي كتبوها بأنفسهم. تحت إشراف معلمين مثل محمد عبد الله الفارس ومحمد دياب الموسى من مدرسة الشارقة كان الطلاب يكتشفون أسرار الفن المسرحي الجديد رويداً رويداً ويعبرون من خلاله عن مشاعرهم تجاه العالم المحيط بهم. من خلال المسرح المدرسي تم التطرق إلى أهم القضايا المتعلقة بالحياة الاجتماعية والسياسة في البلاد آنذاك. للأسف لا يمكن تقييم موضوعات ومحتويات هذه المسرحيات إلا من خلال آراء المتفرجين أو المشاركين نظراً لضياع النصوص التي كتبت في تلك الفترة. علاوة على ذلك لا يمكن تسمية هذه النصوص بالفن الدرامي المسرحي بالمعنى الدقيق للكلمة. كانت مجرد محاولات مسرحية أولية باللهجة المحلية يعززها استخدام الآلات الموسيقية الشعبية المتاحة في تلك الآونة. لذلك من الصعب على النقاد تقييم هذه الأعمال من وجهة نظر فنية.

تطور الحركة المسرحية

قدم المسرح المدرسي في دولة الإمارات العربية المتحدة حافزاً لأولئك الذين كانوا مهتمين بهذا الشكل من التعبير الفني حتى يتابعون التطورات بمزيد من البحث والاستقصاء. ومن المؤكد أن نفس الجيل المتحمس من الممثلين والمخرجين والكتاب المسرحيين الهواة الذين روجوا للمسرح المدرسي المحلي هم من دفعوه خطوة إلى الأمام. بحلول نهاية الخمسينيات من القرن الماضي اتخذت الحركة المسرحية في الإمارات منعطفاً جديداً حيث تم إيلاء المزيد من الاهتمام لنوادي الشباب كمراكز للترويج للأنشطة المسرحية المحلية. على ما يبدو كان الشعور بالمسؤولية المشتركة عن المشروعات المسرحية المنفذة سمة مميزة لحركة مسرح الشباب الإماراتي. غالباً ما تم

عرض المسرحيات أو بالأحرى العروض القصيرة (الإسكتشات) التمثيلية والمقطوعات الموسيقية المصاحبة للعروض بشكل جماعي مشترك. تم وضع موضوعات المسرحيات خلال اجتماعات المجموعة المسرحية الشبابية ثم تم تأليف الحوارات وتخصيص الأدوار وبهذه الطريقة البسيطة تمكن الهواة من إقامة مجموعة كبيرة من العروض. كانت مسؤولية الممثلين هي إعداد المسرح والديكورات والأزياء والخلفية الموسيقية. غالباً كانوا مضطرين للقيام بذلك ودفع التكاليف على نفقتهم الخاصة من خلال الإمكانيات المالية المتواضعة. كان مسرح الشباب يقيم جميع العروض تقريباً خلال العطلات أو الأمسيات الفنية. ربما كان أكبر عائق اشتكى منه كتّاب المسرح الإماراتيون الهواة هو عدم وجود تقليد مسرحي محلي يمكن الاعتماد عليه. لم يكن من الضروري فقط تعلم حرفة الكتابة المسرحية ولكن كان من الضروري أيضاً اكتساب الاحتراف في فن الإخراج والتمثيل وكذلك تدريب الذوق العام على الاستمتاع بالأداء المسرحي والتفاعل معه. علاوة على ذلك لم يكن من السهل الاعتماد على النماذج الغربية المسرحية أو حتى بعض الأنماط المسرحية العربية ومحاولة جعلها جزءاً من السياقات الثقافية الإماراتية بطريقة مقبولة للجمهور لا سيما بسبب الاختلافات الأساسية بين المسارح الغربية والإماراتية فيما يخص رؤية الأنماط الحياتية و الثقافات الكونية ونظرة الطرفين المتباينة بخصوص التجربة الاجتماعية والسياسية. في مثل هذا السياق ليس من المستغرب أن تكون مهمة إنشاء تراث أدبي للدراما العربية الإماراتية الحديثة طويلة وشاقة.

المنافسة مع الوسائط الأخرى

من الواضح أن التقليد المسرحي الشعبي في كثير من دول مجلس التعاون الخليجي قد بدأ بالازدهار في الآونة الأخيرة. تاريخياً لم يكن الاهتمام بالمسرح تقليداً راسخاً في دول مجلس التعاون الخليجي. قد يرى بعض النقاد المسرحيين أن أكثر الأمثلة نجاحاً في الدراما الخليجية الحديثة - سواء أكانت نصية أم أدائية - كانت تلك التي اكتشفت أرضية مشتركة إبداعية بين الأنماط الأدبية والشعبية. واجه الكتاب الإماراتيون المحليون عدة عقبات في رحلتهم للوصول إلى ذروة الإنتاج المسرحي. الأول هو الانتشار السريع لوسائل ووسائط الاتصال الأخرى خاصة السينما والتلفزيون. في بلاد الغرب وعلى عكس الوضع في الإمارات العربية المتحدة احتلت هاتان الوسيلتان مكانتهما جنباً إلى جنب مع التقاليد المسرحية الراسخة. على ذات الصعيد يمكن القول بأن العاملين الأكثر شهرة في المسرح سواء أكانوا فنانين أم منتجين سوف يتنقلون بين الوسائط الفنية المختلفة سواء السينما أو التلفاز عندما تضيق الأحوال بالمسرح أما مجتمعات فناني الأداء المسرحي والتقنيون المسرحيون فليس لهم مكان يرتزقون منه سوى المسرح. بالنسبة لتقاليد الدراما الإماراتية/ العربية الناشئة والأقل رسوخاً كان لظهور مثل هذه الوسائط البديلة (السينما والتلفاز) تأثير كبير على انتشار المسارح لأسباب تتعلق بالإقبال الجماهيري والدخل الأكبر الذي يمكن أن يقدمه التلفزيون والسينما للمنتجين والممثلين. علاوة على منافسة السينما والتلفاز فإن المسرح يخضع لرقابة مباشرة من الأجهزة ذات الصلة بسبب تأثير الدراما المسرحية المحتمل على الجماهير وأثرها المباشر على القضايا السياسية والاجتماعية الحساسة.
في حقبة ماضية عندما كان عدد قليل من الناس يستطيعون شراء راديو أو تلفزيون فيما بعد لعبت المسارح المدرسية ونوادي المسرح في الإمارات العربية المتحدة دوراً فعالاً في الحياة الاجتماعية. بالإضافة للعروض المسرحية كانت المسارح تستخدم كأماكن لتبادل الآراء وعقد الاجتماعات وتوفير الترفيه المجتمعي المحترم. علاوة على ذلك أصبحت المسارح العاملة في النوادي الاجتماعية الإماراتية أماكن يمكن للمرء أن يناقش من خلالها قضايا متعددة ذات أهمية للمجتمع الإماراتي. من

مراكز الشباب المعروفة في دولة الإمارات العربية المتحدة النادي العماني الواقع في الشارقة والذي استضاف عام 1958 أول عرض لمسرحية بعنوان (عش طويلاً). المسرحية من تأليف وتقديم مجموعة محلية من الهواة من بينهم محمد راشد الجروان وسلطان القاسمي. يستطلع الموضوع الرئيس للمسرحية بعض القضايا الاجتماعية المحلية . لسوء الحظ فإن نص المسرحية - مثل النصوص الدرامية الأخرى في الإمارات العربية المتحدة إبان الخمسينيات والستينيات قد فقد ولم يعثر عليه.

خاتمة : بداية النهضة المسرحية الإماراتية

في عام 1959 عرضت مسرحية سلطان بن محمد القاسمي (نهاية صهيون 1958 - 1959) في نادي الشارقة المسرحي (نادي الشعب). عُرفت المسرحية لاحقاً بعنوان مُعدّل قليلاً (وكلاء صهيون). قد يؤدي وجود العنوانين المتعلقين بالعمل نفسه في بعض الأحيان إلى إرباك المهتمين بتاريخ المسرح، لهذه الأسباب في فبراير 2002 أثناء الدورة الثانية عشرة لمهرجان (أيام الشارقة المسرحية) أزال المؤلف هذا اللغط باستعادة الصياغة الأصلية للعنوان. وقد نجا السيناريو من الضياع وتم الاحتفاظ بالمسرحية كمخطوطة شكلت نقطة تحول في تاريخ المشهد المسرحي المحلي والكتابة الدرامية في الإمارات. عرضت (نهاية صهيون) بين عامي 1958 و 1959 وتعتبر أول دراما إماراتية أصلية مكتوبة بشكل مستقل وتتميز بأجندة سياسية عبارة عن انتقاد شرس لسيطرة السلطات البريطانية على منطقة الإمارات العربية المتحدة آنذاك. لقد أثارت المسرحية موجة من الاحتجاجات ضد البريطانيين وغادر الجمهور المكان وهم يصفقون ويصرخون ونتيجة لهذه التصرفات دعا المعتمد السياسي البريطاني في المنطقة إلى إلغاء العرض. في العام نفسه - 1959 - أقيمت في مركز شباب دبي مسرحية بعنوان (الإسلام والتعاون) كتبها وأخرجها جمعة غريب، وقد أثارت التوجهات السياسية للمسرحية موجة جديدة من الاحتجاجات ضد قوات الاحتلال البريطاني. ضمت الفرقة المسرحية التي تم تشكيلها في مركز الشباب في دبي شخصيات مثل جمعة غريب وإبراهيم جمعة. في الفترة من نهاية الخمسينيات إلى بداية الثمانينيات نظم هؤلاء المتحمسون للمسرح من الشباب العديد من العروض المسرحية ، كان أشهرها من كتابةً وإخراج جمعة غريب: (لعبة الطلاق) و(غلاء المهور دهور الأمور 1970). بغض النظر عن فرقة دبي المسرحية المذكورة أعلاه كان هناك أيضاً مسرح في نادي الشعب العربي - (نادي الشباب العربي في الشارقة). أسس المجموعة عبد الله عمران تريم وأحمد النعمان. كلاهما كان يكتب سيناريوهات ويوجه ويختار الممثلين. ومن أهم المسرحيات التي قدمتها مجموعة الشارقة: (تعدد الزوجات) و(الغواص والقبطان). وفي أعقاب إنشاء نوادي المسرح في الشارقة ودبي تم إنشاء نوادي أخرى. في رأس الخيمة في النادي العماني - نادي عمان - أقيمت عروض ساخرة قصيرة ومن أهمها: (الرغبة 1971). وفي في عجمان في (نادي النصر) تم تشكيل فرقة مسرحية أخرى. وكان من بين أعضائها ومؤسسيها عيد الفرج. في بداية الستينيات أعدت المجموعة مسرحية بعنوان (الحلاق والبدو). في هذه الأثناء في أبو ظبي تم تأسيس فرقة مسرحية أخرى في (نادي الشرطة) وكانت الفرقة في الغالب تؤدي عروض قصيرة (اسكتشات) ساخرة باللهجة المحلية. كانت هناك فرقة مسرحية أخرى بالنادي الأهلي الرياضي في أبوظبي، أسسها محمد الجناحي عام 1967 وقدمت أيضاً عروض قصيرة (اسكتشات) ساخرة وكوميدية ■

* أكاديمي وناقد مصري مقيم في الإمارات

في (بيت جلال)

لولوة المنصوري
كاتبة من الإمارات

ليس هنالك أصل، والأصل نسخة موصولة بأصول متفرقة، لم يأتِ شيءٌ من المحو، حتى المحو كان يوماً امتلاءً.
فضاء غزير بين يديه، بُعد غير مرئي، بُعد رابع زمني يمتزج بأبعاد الكون الثلاثة (الطول - العرض- العمق)، ويتجلى الكون الرابع في الزمن، في إيقاع حركي متتالٍ، وتناغم شفيف بين الكتلة والفراغ، تناغم منبعث من وحي الفكرة وتداعيها في أفق عبثي عفوي، يوظفه الإحساس العميق بالزمن ووظيفته الحيوية في الصخور والأسلاك والفراغ الممتلئ بالخيال.
إن الفراغ نوع من أنواع الأشكال، شكل أثيريّ امتداديّ روحي قابل للانسجام مع الكائن، لا تطغى الكتلة على حيز الفراغ، ولا يضعف الفراغ من قوة الكتلة، يقول جاك برنهام: «إن الفراغ عنصر فعال وإيجابيّ في قدرته على ربط الحجوم ببعضها بعضاً، كما لو كان قوة رابطة أو حلقة وصل.. فالفراغ ليس مجرد جزء من الفراغ الكونيّ يحيط بالشكل فقط، بل إنه مادة في ذاته».
وهذا ما عمد إليه النحّات المصريّ جلال جمعة عبر الفن، (تأكيد الفراغ) بحيث يأخذ كياناً جذاباً من خامات حجرية معدنية تناسب التكوين التعالقي الجمالي المتبادل مع الكتلة النحتية.

في (بيت جلال)

كأنك تدخل كهفاً من العصر الحجري، تغزو على جدرانه وممراته وسقفه رسومات الإنسان الأول ومحاكاته لمشاهد الصيد والحيوان والطقوس الاحتفالية، إلا أنها ووفق مفهوم إنتاج الفن الإنساني منذ تلك العصور، تطورت وبدت تُنحت الأشكال تكعيبياً بالأسلاك، كإيحاء حروانسيابيّ بقوة التعبير وعمق الحواس.
حقيقة.. إن الدخول إلى بيت جلال (نحّات الأسلاك) الكائن في القاهرة والمقابل لقصر عابدين، أشبه بالدخول إلى خلوة كهفية تسافر فيها إلى العصر الحجري ثم المعدنيّ النحاسيّ، تعود فيها إلى عمق تلك الحيرة الأبدية للإنسان بين الصورة الخارجية الشكلية وبين التجريد الداخلي المتأصل في الطبيعة.
يبدو البيت في حالة حركة امتلاء الكائن بجوهر الوجود، إلهام يتنفس من موسيقى المعادن والصخور بكل انسيابية وبساطة عميقة كفعل أصحاب فن الكهوف السحيقة، فن يستبعد كل التفاصيل التي لا داعي لها، ذلك أن أبسط نحت لصخرة أو عبث رشيق بسلك يكشف عن فطنة ذواتنا القصية البعيدة، ونلمس بانبهار روحي حياة الحجر والمعدن والماء. هكذا تبدو منحوتات جلال السلكية، أشبه بإيقاع حاسم غائر من الحصى والأسلاك وحركة اليد التي تُحفز الوعي بالفراغ كمعادل لمحو الذات، وتُمكّن من خرق أحجية الوهم. فتبدو الأشكال في مسار حُلمي، تبوح بكثافة الحُلم والمنام الفطريّ الغنيّ بالأعماق الشبحيّة وإيقاع العالم الغامض والمُحدد في الوقت ذاته بتصاميم الواقع الحاد. وجوه منتقاة من الواقع بعناية وتركيز، ومن دون اكتمال قصدي يومئ الفنان لها بتلميح بصريّ محفز للذاكرة، فأول سؤال يطرحه

جلال عليك وأنت تقلّب المنحوتة السلكية بين أصابعك: أتعرف من يكون هذا الذي بين يديك؟ ثم يأتي نصيبك من حظ الذاكرة. ثم إن هناك نحتاً يتحدّب أو يتقعّر لحيوانات أسطورية ترمز بقرونها وضروعها للخصوبة والنماء والقوة والتناسل والحياة البدائية الأولى، المعززة بالخيال الجامح الحُر والأفكار الانسيابية المطردة بصحوة خارقة للطبيعة.
بيت جلال يدعو لمراقبة الأسلاك في كل زاوية وركن، بل المشاركة فيها، إذ يبدو النحات جلال وهو في حال خلوته مع الأسلاك في حالة اتصال بالكون، تتماهى خطوط يديه مع الكون بطريقة سحرية جليّة، في تقلب سلس للسلك، بين الملامسة بحنوّ شاعريّ، وبين المسار السانح للقياس، أي بين القوة والمرونة، وبين التركيز وإرخاء القبضة في الوقت ذاته، لا ينشغل جلال إلا بالطاقة، فيما يتحرر الشكل من كتلته ليلامس الفراغ بكل ارتواء وجاذبية، وعلى الرغم من عدم اكتمال الشكل، فإنه يحيل إلى بروز القيمة الروحية لأشياء الوجود، فالأصالة في الأشياء أنها لا تكتمل، وإن اكتملت ماتت.
بين القوة والمرونة، لا ينشغل الفنان إلا بالطاقة! هكذا تبدو ممارسة الفنان أشبه بجلسة بوذيّ في صلاته، أشبه برحلة في فلسفة الزنّ الحكيمة، لعله فن طاقيّ مصمم للتفكّر التأملي بين مشهد الفراغ والامتلاء المهيب.
يُدرك جلال جمعة أنه وُجد على ظهر الأرض ليتأمل، يجمع الأحجار والأسلاك والعدم، ويبدو الفراغ عنصراً يمثل صدر الأشكال المجتمعة بين يديه، الفراغ الذي جابته تيارات الكون كما يقول «جانيت أوستيي» في الفن البوذي الياباني، واصفاً المحو صورة من صور الجمال، إنها ممارسة فعل من دون انقطاع، حيث تنشأ وتموت كل الممكنات، وحيث يمتزج الزمان بالمكان، والفراغ بالكتلة إنها حقيقة الفن البصري الشعريّ المنسجم بالدهشة الروحية ■

مقدماته وتأثيره على الاتحاد

الاتحاد الثنائي بين أبوظبي ودبي

د. خالد بن محمد مبارك القاسمي

كان الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيب الله ثراه -، وقبل إعلان بريطانيا عن نيتها في الانسحاب من إمارات الخليج يحلم بقيام اتحاد يضم كل إمارات الخليج، بل كان يرى هذا الاتحاد إنما هو قائم في الحقيقة، وكل ما يحتاجه هو الكشف عنه وليس اختراعه، وذلك على الرغم من الصعوبات والعراقيل التي قد يواجهها، والتي كان يعلمها الشيخ زايد جيداً.

ولعل أحد أبرز هذه العراقيل يتمثل في الخلافات والنزاعات بين الشيوخ، والتي لعبت بريطانيا دوراً كبيراً في إشعالها واستمرارها من أجل تقوية سلطتها وتعزيزها؛ حيث عملت على تشجيع النعرات القبلية والوقيعة بين الحكام وإثارة الجفوة، وذلك حتى تخلق لنفسها مسوّغاً شرعياً لتدخلها بموجب معاهدات الحماية بحجة تقديم المساعدة لشيخ ضد شيخ آخر أو لإمارة ضد إمارة أخرى[1]؛ مما نتج عنه عدم استعداد أي من شيوخ الإمارات، لاسيما الإمارات الصغيرة، التنازل عن أي جزء من سلطته لصالح الغير، حتى لو كان هذا الغير هو دولة الاتحاد. كذلك كانت الإمارات الصغيرة تخشى من سيطرة الإمارات الكبيرة عليها نظراً لتمتع الأخيرة بمساحة أكبر وسكان أكثر وثروة أغزر. مما يوفر لها كافة معطيات السيطرة والهيمنة.

كما أن بعض القوى الإقليمية كانت تقاوم قيام هذه الوحدة، وذلك لأن سيطرتها على الإمارات الصغيرة، الغنية بالثروة والمتمتعة بالموقع الجغرافي الاستراتيجي، سيكون أسهل عما إذا اندمجت هذه الإمارات في أي اتحاد أياً كان نوعه.

ولكن على الرغم من وجود كل هذه الصعوبات، وغيرها، كان الشيخ زايد مؤمناً.. بحدسه القلبي.. ووعيه بتاريخ منطقته، أن الاتحاد قائم أياً كان حجم الصعوبات والعراقيل التي ستقف في طريقه. لكل ذلك لم يكن تركيز الشيخ زايد على تنمية إمارته، أبوظبي، فحسب، بل وصل بشعاع التحضر والتنمية إلى مختلف الإمارات، وذلك لأنه لم يكن قارئاً جيداً لتاريخ المنطقة التي يعيش فيها فحسب، بل كان على وعي كامل به، فقد عاش معظم لحظات هذا التاريخ، وما لم يعاصره علم به من آبائه وأجداده، فكان على يقين بأن شعب الإمارات شعب واحد.. أصله واحد.. تاريخه واحد.. أما الانقسام والتشرذم فكان، وكما أسلفنا، بسبب سياسات القوى الاستعمارية والإمبريالية التي عبثت بالمنطقة ودعمت ذلك الانقسام والتشرذم، وأن هذا الشعب ستعود إليه وحدته، حتماً، بالجهد والإقناع والعلاقات الطيبة، لأن الشيء لابد وأن يعود لأصله. وفي ذلك يقول الشيخ زايد:

«الاتحاد أمنيتي وأسمى أهدافي لشعب الإمارات العربية.. فأبناء هذه المنطقة جميعاً شعب واحد.. إن أبناء هذه المنطقة جميعاً أخوة.. من أصل واحد.. لغتهم واحدة.. ودينهم واحد.. وحتى الأرض

التي عاشوا عليها منذ آلاف السنين كانت دائماً واحدة.. ولقد جمعهم التاريخ دائماً أيضاً في صف واحد أمام الغزاة والطامعين وفي مواجهة المحن. وأنا في الحقيقة لا أقول شيئاً جديداً فهذه الوحدة قائمة وموجودة منذ القدم ويشعر بها أبناء الإمارات في أعماق قلوبهم، إنني أنادي فقط بأن توضع هذه الوحدة في إطارها الطبيعي وتأخذ شكلها الرسمي النابع من جوهرها الحقيقي»[2].

كان الشيخ زايد يدرك أن الفرقة والتشرذم لا ينتج عنهما إلا الضعف والوهن، لاسيما وأن العصر أضحى عصر الاتحادات والكيانات الكبيرة. لذا بدأ الشيخ زايد يشق أول خطوة في طريق الوحدة وذلك بعد شهر واحد تقريباً من إعلان بريطانيا عزمها على الانسحاب من الخليج العربي. وفي 22 يناير 1968م زار الشيخ راشد بن سعيد، حاكم دبي، الشيخ زايد بن سلطان، حاكم أبو ظبي في إمارته، وأصدرا بياناً عقب اجتماعهما ذكرا فيه أنهما ناقشا «في صراحة وإخلاص كل ما يتعلق بمصالح بلديهما المشتركة، ومصيرهما الواحد، وقد شمل البحث حاضر ذلك ومستقبله، واستعرض الحاكمان كل الوسائل الكفيلة بدعم تعاونهما وتكاتفهما في الداخل والخارج..» وفي 18 فبراير سنة 1968م عقد الشيخ زايد مع رفيقه على طريق الوحدة الشيخ «راشد» اجتماعاً في منطقة «السميح»، الواقعة بين أبو ظبي ودبي، وقد جمعهما هدف واحد هو الاتحاد؛ فقاما بتسوية مسألة الحدود بينهما، حيث تمت تسويتها بسهولة ويسر، وذلك لرغبتهما الأكيدة في إزالة المشاكل التي تخلفت عن عهد الاستعمار، وقررا ثانياً أن يتخذا الخطوة الأولى ليشجعا باقي شيوخ الإمارات على تبني نفس الوجهة من النظر فتضمن اتفاقهما أربعة بنود:

1 - تكوين اتحاد يضم كلاً من أبوظبي ودبي له علم واحد وتناط به المسائل التالية:

أ - الشؤون الخارجية.

ب - الدفاع والأمن الداخلي في حالة الضرورة.

ج - الخدمات كالصحة والتعليم.

د - الجنسية والهجرة.

2 - يناط بالاتحاد السلطة التشريعية في الشؤون الموكلة للاتحاد وفي المسائل المشتركة التي يتفق عليها.

3 - الشؤون التي لا تدخل في اختصاص الاتحاد بموجب هذا الاتفاق تكون من اختصاص حكومة كل إمارة.

4 - اتفق الحاكمان على دعوة الإمارات إخوانهم أصحاب السمو حكام الإمارات المتصالحة الأخرى لمناقشة هذا الاتفاق والاشتراك فيه ومن ثم دعوة صاحبي العظمة حاكمي قطر والبحرين للتداول حول مستقبل المنطقة والاتفاق معهما على عمل موحد لتأمين ذلك[4].

ويلاحظ على هذا الاتفاق أنه لم توجد أي أعمال تحضيرية مهدت لقيامه، كما لم تبين الاتفاقية نظام الحكم أو النظام الذي سيسود بين الإمارتين، كما أنها حددت اختصاص الحكومة الفيدرالية على سبيل الحصر، وبالإجمال فإن هذا الاتحاد كان أقرب إلى الاتحاد الكونفدرالي. لكن مع ذلك تبقى هذه الاتفاقية هي الخطوة المحركة لما جاء بعد ذلك من خطوات على طريق الاتحاد [5]. ولم يكن الهدف، الذي سعى إليه كل من المغفور له الشيخ زايد بن سلطان وشقيقه المغفور له الشيخ راشد بن سعيد، من إقامة هذا الاتحاد هو الاكتفاء به، حيث إنهما اتفقا

على دعوة سائر الإمارات للانضمام إليه، ولكن الهدف كان يتمثل في أن يكون هذا الاتحاد هو الأساس لقيام اتحاد شامل تقوم عليه الإمارات الأخرى، كما أنه عندما يتحقق الاتحاد بين إمارة أبوظبي، ذات الثروة البترولية، وإمارة دبي، ذات الخبرة التجارية يكون هذا عامل جذب لباقي الإمارات الأقل ثراءً ومساحة وسكاناً إلى الاتحاد. كما أراد الشيخ زايد أن تكون اللبنة الأولى في هذا الاتحاد إمارتين تنتميان إلى تجمع قبلي واحد، هو تجمع بني ياس، مما يسهل فيما بعد تجمع القواسم الذين تقاسموا مع بني ياس حلو أحداث المنطقة ومرها[6]. وقد أكد الشيخ زايد على أهمية هذا الاتفاق وقال: «إن توقيع اتفاقية اتحاد بين إمارتي أبوظبي ودبي يفتح الطريق أمام جميع الإمارات الأخرى ومنها قطر والبحرين لدراسة الأمر ومناقشته والاشتراك فيه، على أساس أنه عمل يهدف أولاً إلى تأمين مستقبل المنطقة»[7]. وقد كشف صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم أن الاجتماع الذي بين الشيخ زايد والشيخ راشد (رحمهما الله) لم يتم في منطقة «السميح»، وإنما تم في منطقة «عرقوب السديرة» الكائنة بين أبوظبي ودبي، وأن سموه قد اختار مكان ذلك الاجتماع التاريخي بنفسه، حيث نصب لهما خيمة كان موقعها مواجهاً لنسيم الصحراء، ويذكر سموه ما دار في هذه الخيمة، فيقول: «في الخيمة الشمالية حدث شيء لا يحدث في بلاد العرب ولن يحدث لعقود طويلة، حيث تنازعا (يعني الشيخ زايد والشيخ راشد) الرئاسة في تلك الخيمة. طلب الشيخ زايد أن يكون راشد رئيساً للاتحاد الجديد، وراشد يبتسم ويحرّك سبحته بيده ويقول أنت الرئيس! في الخيمة الشمالية دار النقاش حول هذا الموضوع، وشد وجذب، حتى وافق زايد أن يكون رئيساً، ومد راشد يده له متفقاً وموافقاً ومباركاً»[8]. وفي هذا المشهد، الذي من الصعوبة بمكان أن نشهد مثله، تجلت أسمى مشاعر إنكار الذات، وذلك لأن تركيز الشيخين كان منصباً على مستقبل ومصلحة شعوب الإمارات ليس إلا، وبسبب تلك المنهجية في التفكير وصلت الإمارات إلى ما وصلت إليه الآن من رُقي ورخاء وتقدم. وفي 25 فبراير 1968م، كانت استجابة جميع إمارات ساحل عمان فانعقد في دبي مؤتمر ضم الإمارات التسع: أبوظبي، ودبي، وأم القيوين، ورأس الخيمة، والفجيرة، والشارقة، وعجمان، وقطر، والبحرين. لتبدأ مباحثات الاتحاد التساعي ■

الهوامش:

1. د. جمال زكريا قاسم: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر. دار الفكر العربي، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، ، القاهرة،2001. ص 298.
2. راشد عبد الله النعيمي: زايد من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد. دولة الإمارات العربية المتحدة. مركز زايد للتنسيق والمتابعة. مكتبة الإسكندرية. 2001. ص 74.
3. وثائق اتحاد الإمارات العربية: إمارة أبوظبي ، ديوان الحاكم ، بيان مشترك في 18 فبراير 1968. أشار إليها د. أحمد زكريا الشلق، ود. مصطفى عقيل الخطيب: قطر واتحاد الإمارات العربية التسع في الخليج العربي 1968 . 1971، دار الثقافة، الطبعة الثانية، الدوحة، 1989م. ص 26.
4. د. خالد بن محمد مبارك القاسمي: التطور التاريخي لقيام دولة الإمارات العربية المتحدة، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، لبنان، 2009. ص ص 351 - 354.
5. د. محمد حسن العيدروس: الإمارات بين الماضي والحاضر، دار الكتاب الحديث، 2002. ص 49.
6. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: أبوظبي .. توحيد إمارة وقيام اتحاد، ديوان رئيس الدولة، مركز الوثائق والبحوث، ط1، أبوظبي، 2004. ص 319.
7. د. جوينتي مايترا: زايد من التحدي إلى الاتحاد، مركز الوثائق والبحوث، ط1، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2007. ص 312.
8. صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم: قصتي، إكسبلور للنشر والتوزيع، ط1، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2018. ص 118.

الكتابة و الحَرْف

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس معهد الشارقة للتراث

مجتمع كمجتمع الإمارات العربية المتحدة قبل أكثر من نصف قرن غالبية أفراده كانوا غير متعلمين تعليم نظامي أو شبه نظامي، والبعض القليل جداً كان متعلم تعليم تقليدي يعتمد على تلقين الأبجدية وحفظها و حفظ أجزاء من القرآن الكريم وبعض من مبادئ الحساب، كانت القراءة و الكتابة فيه ذات شأن كبير ومكانة عالية. وقد نحت الناس الفاظ و تعبيرات خاصة لوصف حالة المعرفة بالقراءة و الكتابة و أشكالها وحالاتها المختلفة، وقد ظل المجتمع الإماراتي رغم دخول التعليم شبه النظامي الذي تبعه النظامي إلى استخدام تلك التعبيرات لفترة زمنية طويلة. ونظرا لأن المجتمع كان يعتمد على المشافهة بصورة كاملة، وكان يعتمد الشعر النبطي كوعاء أدبي راق للغة و الحكمة، فقد شاب مصطلحاته كثير من التحوير و النحت، و استحدثت ألفاظ جديدة هي غريبة عن دلالاتها المقصودة.

فتعليم الحرف الأوحد المنفرد، هو أبسط رموز الأولين لآليات التعليم التقليدية، فإذا أرادوا دفع أحدهم للتعليم قالوا له (تعلم حرف) والمعني: خذ لك طرف من العلم ولو كان جزء بسيط مما يتيسر لك من العارفين به. وكانت مجالسة الشعراء و مرافقتهم و التسامر معهم حالة إيجابية من حالات تلقي المعرفة الشعبية و الحكمة والأدب، فالشعراء هم المصدر الأغنى للمعارف التقليدية و التاريخ الشفهي و الحكمة بل والجغرافيا كذلك.

أما الكتابة فتسمى (كتْبة) بالكسر المخفف للكاف والباء، ومحترف الكتابة يسمى كَتّيب والجمع (كَتّيبة) وهناك بيت شعري شهير للشاعر النبطي راشد بن طنّاف يقول فيه: كيف تمنع حرف مالكتبه... يوم كل الناس كتيبه.

أما الخط فهو اسم الرسالة في اللهجة الإماراتية، فيقال استلمنا اليوم خط أي استلمنا رسالة والجمع خُطوط (بتسكين أولها)، و عبارة (فلان يفك الخط) تعني أن فلان متعلم و يستطيع قراءة الرسالة. أما كلمة (بَرْوَة) فتعني بطاقة توصية مختصرة، و جمع بروه براو، و كانت البراو يختص بمنحها الشيوخ و التجار و الأعيان لتسهيل أعمال الناس أو لصرف المنح أو للتوصية بالمساعدة للسفر أو لقضاء حاجات الناس حسب أشكالها المختلفة ■

فن إدارة الحياة

د. فاطمة حمد المزروعي
كاتبة وباحثة من الإمارات

هناك أسئلة تجعلنا نفكر ونتساءل، ونحن نتأمل أحوال البشر، هي أكثر إلحاحًا حين نعاين أحوال المراهقين والشباب، أسئلة لا يطرحها إلا المدققون والمتأملون، الذين يرون أبعد من المواقف والأحداث، فهم يطمحون إلى مساعدة غيرهم، من هذه الأسئلة: لماذا نجح فلان رغم أن كل الظروف المحيطة به لا تساعده أبدًا؟ ولماذا أخفق الأخ الأكبر، ونجح الأخ الأصغر، رغم وجودهما في البيئة ذاتها؟ لماذا فشل شخص ما رغم توافر كل الإمكانات والفرص له؟ لِم حياة فلان أفضل من حياة كل أصدقائه، وأحرز نجاحًا منقطع النظير في وقت قصير؟ لماذا بعض من لديهم ثروات فاقدو السعادة، في حين أن بعض من يغطون احتياجاتهم الحياتية أكثر سعادة من غيرهم؟ هذه هي الأسئلة التي تثار غالباً حين يتوقف المرء عند إنجازات الآخرين، خلال رحلتهم في هذه الحياة. قد تختلف الروايات والقصص، فتتنوع التفاصيل، لكن مدار الأمر وإجابته تكمن في كلمات قليلة هي في كيفية إدارة الحياة الشخصية.

يعني مصطلح إدارة الحياة الشخصية عند علماء النفس هو قدرة المرء على تسيير حياته بشكل إيجابي وفعال، بأن يستفيد من كل الإمكانات المتاحة له في بيئته، مع امتلاك مهارتين: الأولى القدرة على حلّ التحديات التي تواجهه،والأخرى التخطيط للمستقبل، معتمدًا في ذلك على نفسه. إن إدارة الحياة عند ماكس فيبرهي جزء من أسلوب الحياة الذي يتضمن أيضاً الفرص المتاحة، والاختيارات الكثيرة، لكن هناك من يستغلها، وهناك من يتركها مضيعًا على نفسه إمكانات جديدة.

لقد فصّلت رشا مبروك عناصر إدارة الحياة في بحثها، عن الحياة والسعادة لدى طلاب إحدى الجامعات المصرية. هذه العناصر هي: إدارة الوقت،إدارة الذات،الواقعية،المبادأة أو المبادرة، والشخصية ذات التحكم الخارجي. إن إدارة الوقت تتضمن حسن استغلاله وتنظيمه، بما يساعد الشخص على تحقيق أحلامه وأهدافه، متجنبًا إهداره فيما لا ينفع، مع اهتمامه بتطوير قدراته ومهاراته، حسب حاجاته وتطلعاته، التي لابد أن يتأكد بداية من ماهيتها، إن كانت فعلًا هي ما يحلم بها، وليست إرضاء لأهله أو معلميه فحسب. والأمر الثاني هو القدرة على إدارة الذات، وهذا يرتبط بعلاقة الإنسان بنفسه، مدى تقديره لذاته، معرفته بجوانب ضعفه ونقصه، مواطن قوته ومهاراته، وتحسينه المستمر لذاته وشؤون حياته.إضافة إلى علاقته بمحيطه، فهو لابد أن يتسم بالإيجابية والتفاؤل، والذكاء العاطفي الذي يتحقق بحسن التعامل مع الآخرين، باحترامهم وتقديرهم مع مراعاة مشاعرهم. من خلال علاقته بمن حوله يستطيع أن يختار من يسانده ويساعده في تحقيق أحلامه؛ لأن الإنسان الواعي هو من يمتلك معنى للحياة، يعرف رسالته فيها، فتتراءى أمام عينيه حياته القادمة؛ لأنه قادر على امتلاك تصور لها، ويسعى لتحقيقه. والأمر الثالث المبادأة والمبادرة، أي الجرأة والإقدام في تنفيذ الخطط والمشاريع، بأن يبتعد المرء عن التردد والخوف، ينطلق بحماس وعزيمة ثابتة. هو في ذلك يتسم بالواقعية كعنصر رابع لإدارة الحياة، فلا يبني قصورًا من الأوهام، ولا مشاريع تقام على زخرف الكلام وتنميقه. إنما واقعية تدرك الإمكانات والقدرات، وفيها من المنطق المعين لحلّ العقبات والمشاكل التي تواجهه، محولًا إياها لفرص جديدة؛ لهذا فالعثرات بالنسبة له هي جسر جديد ومختلف،بإمكانات أخرى تفتح آفاقًا جديدة. وهو لا يجلد ذاته حين يخطئ، إنما يرى في الخطأ درسًا يستفيد منه.

وفي إدارة الحياة هناك أمر أخير هو قدرة الشخصية على التحكم الخارجي؛ لأنها مدركة للأحداث الخارجية وأسبابها ونتائجها، قادرة على التحكم بها، وأخذ خير ما فيها. ولا أجمل ولا أكمل من أن يدير الإنسان حياته بحماس وإيجابية، مع التلذذ بما في الحياة من مباهج بشكل معتدل. يقول ستيفن كوفي «الإدارة هي الكفاءة في تسلق سلم النجاح، في حين أن القيادة هي القدرة على وضع السلم على الجدار الصحيح». فعلى أي جدار وضعت خريطة حياتك؟ وهل تصعد سلم النجاح أم تتكلم عنه فحسب؟ ■

إعلان طباعة كتب

وَضَع نادي تراث الإمارات ومركز زايد للدراسات والبحوث خطُة لرفد المشهد الثّقافيّ الإماراتيّ بإصدارات متنوّعة كلَّ عامٍ فيما يخص تراث وتاريخ الإمارات فقط. تغني المكتبة التراثية الإماراتية، وتفتح منافذ معرفيّة جديدة أمام الباحث الإماراتي والعربيّ، وذلك بدعوة المؤلّفين والباحثين والكُتّاب والأدباء الإماراتيين والعرب إلى طباعة كتبهم وتسهيل نشرها وتوزيعها في المركز والمشاركة بها في المعارض والفعاليّات الثّقافيّة، ويمكن للراغبين في ذلك إرسال مؤلّفاتهم؛ لنشرها بعد أن يُقِرّها فريقُ تحكيم من المختصّين. يُقدِّم المركز لمؤلّف الكتاب مكافأة ماليّة تتراوح بين (1500 - 2500 دولار أمريكي). يَشْمل هذا المبلغُ التعويضَ عن حُقوق نَشْر الكتاب، وطباعته، وترجمته، لمُدة خَمْسِ سَنَواتٍ من تاريخ إبرام العَقْدِ بين المركز والمؤلّف. كما يُقدِّم المركز عشرين نسخة للمؤلّف بعد طباعة الكتاب.

شروط النّشر

- أن يكون موضوع الكتاب متصفاً بالجِدّة، والموضوعيّة، وشمول المعالجة، والفائدة المعرفيّة، وألا يُخلَّ بالقيم العربيّة الأصيلة.
- ألا يكون الكتاب رسالة من رسائل الماجستير أو الدكتوراه أو جزءاً من هذه الرّسائل.
- ألا يكون الكتاب منشوراً سابقاً.
- ألا يكون الكتاب مُقدَّماً للنشر في جهة أخرى.
- أن تكون لغة الكتاب هي اللّغة العربيّة الفصيحة.
- ألا يكون الكتاب مترجماً.
- أن يلتزم الكتاب بالمنهجيّة العلميّة في التّأليف، وخصوصاً الأمانة العلميّة، والإحاطة بالموضوع، والاعتماد على المصادر الأصيلة، وتدوين الهوامش في أمكنتها من كلّ صفحة.
- أن تُدوَّن المصادر والمراجع في نهاية كل كتاب مرتبة ترتيباً ألفبائيّاً بحسب لقب المؤلّف، أو أسرته، أو قبيلته، وأن تُقسم بحسب أنواعها: المصادر، المراجع، الدّراسات، وبحسب لغتها العربيّة أو الأجنبيّة.
- أن يكون الكتاب مُنضَّداً بالحاسوب بصيغة الوورد، ومُصحّحاً، ومرفقاً بنسخة ورقيّة على وجه واحد.
- يُرفَق الكتاب بخلاصة وافية في حدود مائتي كلمة باللغة العربية.
- يُرفق الكاتب مع الكتاب نبذة مختصرة عن حياته العلمية، تتضمَّن اسمه الثلاثي، وبلده، وعنوانه البريديّ والإلكترونيّ، وعمله، وصورة شخصية ملونة حديثة له.
- ألا يقل الكتاب عن (مائة وخمسين صفحة)، وألا يزيد عن (250 - 350 صفحة)، على قياس A 4 وبونط 16 Simplified Arabic أو Times New Roman
- تَتَولَّى هيئةُ تحكيمٍ مختصةٌ مراجعةَ الكتاب وتَقييمِه وإصدارِ قرارٍ نهائيٍّ في أمر طباعته خلال شهرين من تاريخ إرساله.
- يلتزم الكاتبُ، في حال الموافقة على طباعة الكتاب شريطة تنفيذ بعض التّعديلات، بإجراءَ التعديلات المقترحة من هيئة التحكيم.
- لا تُرَدُّ الكتب المُعتذَر عن نشرها إلى أصحابها.
- يُستبعَد أيُّ كتاب مخالف للشروط المذكورة.
- تُرسَل الكتب على نسختين وورد وبي دي اف على الإيميل الخاص بالكتب وهو: torathbook@ehcl.ae

السلسلة التراثية الثقافية (6)
مركز زايد للدراسات والبحوث

البحر في تراث دولة الإمارات العربية المتحدة

شمسة حمد العبد الظاهري

«البحر في تراث دولة الإمارات العربية المتحدة» كتاب يتناول الدور الحيوي الذي لعبه البحر في حياة أهل الإمارات في فترة ما قبل اكتشاف النفط، وكيف شكل لهم تراثاً غنياً متنوع الجوانب والألوان وفيه العديد من الدلالات والمعاني، فهو يشمل رحلات الماء وما تحمله من وقائع وحكايات وسرديات وتاريخ وأهازيج شعبية، وأمثال وألغاز، ومصطلحات بحرية شكلت معجماً لغوياً شفوياً غنياً بدأ يتراجع أمام التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها التي طرأت على حياتنا المعاصرة؛ ومن هنا تأتي أهمية جمع هذا التراث البحري ونقله إلى الأجيال المقبلة.

ويتناول هذا الإصدار موضوعات مختلفة كطرق الصيد القديمة التي زاولها أبناء الإمارات وعن مغاصات وصيد اللؤلؤ وزراعته وتجارته، وعن صناعة السفن والمراكب وعن أنواع سفن الغوص والموانئ البحرية في الإمارات.

كما يتطرق بالحديث عن البحر في الأدب الشعبي الإماراتي، وعن ذكريات وقصص أبناء الإمارات مع البحر ودور الطب الشعبي في علاج أمراض الغوص. ويضم الباب الأخير مجموعة من القصص والحكايات من التراث البحري الإماراتي برواية خميس بن راشد بن زعل الرميثي، أحد أهم رواة التاريخ الإماراتي الحديث، وهو مختص في التراث البحري الإماراتي.